العقدة السلفية

من المقدسات الإسلامية

د. عامر الكردي



العقدة السلفية

من المقدسات الإسلامية



العقدة السلفية
من المقدسات الإسلامية

تأليف
الشيخ الدكتور عامر الكردي



{ المكتبة التخصصية للرد على الوهابية }

الطبعة الأولى

١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م



هاتف: ٠٣/٢٥٧٩٨٤ ـ فاكس: ٠١/٥٥٣٤٥٦ ـ ص.ب: ٢٥/٣٥٥ ـ غبيري ـ بيروت

Daralkatebalarabi@hotmail.com

الإهداء

إلى المنصفين من العالم الإسلامي والمفكرين والعلماء وأصحاب القول والرأي والحل والعقد وإلى الباحثين عن الحقيقة ووصلوا إليها وإلى العلماء الربانيين والمراجع العظام ومن ساعدني ووقف بجانبي وإلى كل من فعل معي خيراً وإلى الأجيال جميعاً.

أقدم هذا الجهد المتواضع ـ أخوكم أقل المحصلين تعليماً

عامر الكردي

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي أرسله رحمة للعالمين وعلى آله الطيبين الطاهرين ومن اهتدى بهديهم إلى يوم الدين وعلى أصحابه الغر الميامين ومن نهج على دربهم إلى يوم القيامة أنه مجيب الدعاء.

وهذا الكتاب بين يديك أخي القارىء العزيز هو عبارة عن عدة ردود على أباطيل الوهابية والسلفية من القرآن والسنة النبوية وعامة كتب أهل السنة في الردود وجاءت بدليل من كتبهم وأقوال علماؤهم وسبب كتابتي لهذا الكتاب، سافرت إلى السعودية إلى بيت الله الحرام لأجل العمرة ورأيت من علمائهم ما يخالف القرآن والسنة النبوية وكم يتهجمون على المسلمين من الشيعة والسنة من غير صنفهم ويكفرون الشيعة والصوفية والأشعرية والمتوردية وغيرهم وناقشت بعض علمائهم في كثير من القضايا التي تهم الأمة الإسلامية ومن بينها قضية التكفير وكانوا يشكلوْن على الأمة الإسلامية في قضية التبرك وزيارة قبر الرسول ﷺ وتقبيل القضبان والتوسل والدعاء عند القبور وقراءة القرآن وما أشبه ذلك وكانوا يقولون كل هذه الأمور بدعة لا أصل لها في الدين ولم يفعلها النبي ﷺ ولا أصحابه الكرام وهذه الأمور هي من المقدسات الإسلامية عند المسلمين في العالم الإسلامي ولهذا السبب سميت الكتاب العقدة السلفية من المقدسات الإسلامية.

أخي القارىء الكريم إذا ما وجدت أمر عليه دليل في هذا الكتاب فهو في كتاب هذا الباطل فأين الحق أو كتاب هل ضيعتم السنة والقرآن وأحببت أن أجعل كل بحث في كتاب حتى لا أطيل على القارئ العزيز ولا يشعر بالملل أو العجز وفي هذا الكتاب تبدو حقيقة الوهابية والسلفية وابن باز وابن عثيمين والشيخ ناصر الدين الألباني وابن تيمية ومن سار على نهجهم إلى يومنا هذا حيث تتهاوى هذه المرجعيات القائمة على الوهم والزيف وسيرى القارئ بوضوح أن هؤلاء لا يقدموا

للإسلام شيء بل يقدم الوهم وزيف الأمور وتضليل الناس يحللون دماء الناس بغير حق ويتهمون الرسول بالتشويش وبالاجتهاد الخاطئ ويكفرون المؤمنين ويعتبرون أنفسهم مؤمنين وهم خوارج ويضعفون الأحاديث الصحيحة ويصححون الضعيفة ويعاندون القرآن وينسبون لله الكذب ويقولون بالتجسيم والتشبيه والجهة والحلول.

ويذمون بعض مظاهر السنة النبوية ويصدرون فتاوى توفق أهواء اليهود والنصارى ومن بين فتاويهم خروج الفلسطينيين من ديارهم وتسليمها إلى الدولة الصهيونية اليهودية ويقولون عن كثير من الناس المؤمنين اليهود أفضل منهم وعن حزب الله الذي طرد اليهود خرج اليهود وجاء اليهود وهذا كلامهم نبرئ إلى الله من أقوالهم وأفعالهم ومما يعتقدون انه مجيب الدعاء والحمد لله الذي سددني لهذا العمل القليل المتواضع والله ولي التوفيق ومجيب دعوة المظلوم إذا دعاه وهو من وراء القصد.

الشيخ الدكتور عامر الكردي

بسم الله الرحمن الرحيم

الاستعانة بأرواح الأنبياء بعد الموت

لقد حرمت الوهابية الاستعانة بأرواح الأنبياء والأولياء بعد الموت واعتبرت الاستعانة للأموات شرك وضلال واعتبروا أن الأموات لا يضرون ولا ينفعون ولا يسمعون من يكلمهم ولا يستجاب الدعاء عندهم وقالوا موت الإنسان يعني فناءه وهذا كلام خطير جداً ولا أصل له وهذا يعني أمواتهم لا أموات المسلمين وأن أمواتهم أجساد بالية وأجسام نتنة وأن أمواتنا وأموات كثير من المسلمين لا تعتبر فنيه وأن أولياء الله وأنبيائه هم أحياء في قبورهم ويجوز الاستعانة بهم ونستعين بأرواحهم المقدسة والأحاديث الصحيحة التي رواها المحدثون وهي تنادي بصحة الاستعانة بأولياء الله وأن سيرة المسلمين كانت جارية على ذلك وموت الإنسان لا يعني فناءه أن الآيات القرآنية تدل بوضوح على أن الموت ليس هو النهاية للحياة بل هو محطة انتقال إلى حياة جديدة وبالموت يدخل الإنسان في عالم جديد أسمى من عالم المادة والطبيعة وكل من يعتقد بأن الموت فناء وعدم وأن الإنسان يفقد كل شيء بالموت ولا يبقى منه أثر سوى جسد لا روح فيه ثم يتحول ذلك الجسد بعد فترة من الزمن إلى التراب والعناصر الأخرى وأن أصحاب هذا القول يعتبرون الحياة إلا نتيجة مادية مسلسلة تفاعلات كيميائية وعمليات فيزيائية تحصل في المخ والأعصاب وعندما يفقد الجسم حرارته وتتوقف الخلايا عن الحركة والإنتاج تتوقف حياة الإنسان أيضاً ويتحول إلى جسد جامد هامد وأن كبار العلماء الإلهين يفندون نظريات الماديين حول الروح ويقولون بأن للإنسان بالإضافة إلى النظام المادي الحاكم في جسمه والتفاعلات المتبادلة وسلسلة الأعصاب جوهراً للروح وهذا الجوهر يلازم البدن فترة من الزمان ثم ينفصل عنه ويلحق في عالم البرزخ ليلتحق بجسم لطيف هناك وأن القرآن يدل على بقاء الأرواح ويقول سبحانه

وتعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾[1] ويقول عز وجل: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًا بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ﴾[2] ويقول تبارك وتعالى: ﴿إِنِّىٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ﴾[3] وأن المقصود من الجنة التي أمر أن يدخل فيها هي الجنة البرزخية لا الجنة الأخروية بدليل قوله عز وجل: ﴿يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ﴾ يبدو للإنسان في الوهلة الأولى أنه مركب من الروح والجسد ولكن حقيقة الإنسان هي روحه التي تلازم جسده.

ويقول عز وجل: ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾[4] ومعنى قوله تعالى: ﴿يَتَوَفَّىٰكُم﴾ معناه يأخذكم ويقبضكم وإنما هذا التعبير صحيحاً فإذا كانت الروح هي الوجود الحقيقي للإنسان فهي التي (تقبض) وتؤخذ أما لو كانت الروح تشكل جزءاً من شخصية الإنسان والجزء الثاني هو جسمه فإن هذه العبارة تكون مجازاً لأن المفروض أن ملك الموت أحد الجزأين وهو الروح وأما الجزء الثاني هو الجسد المادي فهو يتركه باقياً في الدنيا ثم يودع في القبر ولا علاقة لملك الموت به وأن القرآن الكريم لا يعتبر الموت فناء للإنسان وخاتمة لحياته بل إنه يؤكد وخاصة للشهداء والصالحين فإذا كانت حقيقة الإنسان كامنة في جسده فلا شك أن جسده سوف يتلاشى بعد أيام من موته ودفنه ويتحول إلى عناصر أخرى فأين عالم البرزخ لو كان الحال هذا ويمكن الاتصال بعالم الأرواح وفي القرآن الكريم آيات متعددة تثبت أن اتصال الإنسان بعالم الأرواح أمر ممكن تحقق ذلك فعلًا فمثلًا نبي الله شعيب عليه السلام تحدث إلى أرواح قومه قال عز

(١) سورة البقرة آية ١٥٤.

(٢) سورة آل عمران آيات ١٦٩و١٧٠و١٧١.

(٣) سورة ياسين آيات ٢٥و ٢٦ و٢٧.

(٤) سورة السجدة آية ١١.

وجل وهو أصدق القائلين في محكم كتابه العزيز ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾[1] ونبي الله صالح عليه السلام تحدث إلى أرواح قومه قال عز وجل في كتابه العزيز: ﴿فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ﴾[2] وهذه الآية بعد موتهم وفنائهم حيث تأسف على المصير الأسود الذي اختاروه لأنفسهم والنبي محمد صلى الله عليه وآله تحدث مع الأنبياء حيث يقول الله في كتابه: ﴿وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَٰنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ وهذه الآية تدل على اتصال النبي صلى الله عليه وآله بالأنبياء السابقين الذين يعيشون في النشأة الأخرى كي يثبت للمشركين أن جميع الأنبياء وفي كل العصور كانوا يدعون إلى توحيد الله وعبادته والقرآن الكريم تحدث عن السلام على الأنبياء ولا شك أن هذا السلام ليس سلاماً سطحياً وأن الماديين الذين لا يعتقدون بالروح والمعنويات يبعثون السلام والتحية إلى قادتهم وشخصياتهم في عبارات جوفاء أم نحن المسلمين فنتمتع بالعقيدة الصحيحة تجاه الروح وعليه فلا يصح أن نفسر المفاهيم القرآنية النابعة من الحقيقة والواقع تفسير قشرياً بأن نقول إن كافة التحيات في القرآن والتي نتلوها في إناء الليل وأطراف النهار ليس إلا مجاملات جوفاء وفي مستوى تحيات الماديين وانظر إلى القرآن يسلم على الأنبياء حيث يقول الله في كتابه العزيز وهو أصدق القائلين: ﴿سَلَامٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ﴾ ﴿سَلَامٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ﴾ ﴿سَلَامٌ عَلَىٰ إِلْ يَاسِينَ﴾ ﴿وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾[3] ويقول كل مسلم في صلاته السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ثم يقول السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين وقد أفتى كثير

---

(١) سورة الأعراف آية ٩١و٩٢و٩٣.

(٢) سورة الزخرف آية ٤٥.

(٣) سورة الصافات آيات ٧٩ و١٢٠ و١٣٠و ١٨١.

من أئمة المذاهب بوجوب السلام بعد التشهد فإذا كانت صلتنا وعلاقتنا بالنبي ﷺ قد انقطعت بوفاته فما معنى مخاطبته وسلام عليه يومياً وقد ورد عن الرسول ﷺ أنه قال: «من صلى عليَّ عند قبري سمعته ومن صلى عليَّ من بعد أبلغته» وروي عن سيدنا رسول الله ﷺ أنه وقف على قليب بدر وخاطب المشركين الذين قتلوا وألقيت أجسادهم في القليب «لقد كنتم جيران سوء لرسول الله أخرجتموه من منزله وطردتموه ثم اجتمعتم عليه فحاربتموه فقد وجدت ما وعدني ربي حقاً» فقال له عمر يا رسول الله ما خطابك لهم قد صديت فقال ﷺ «والله ما أنت بأسمع منهم وما بينهم وبين أن تأخذهم الملائكة بمقامع من حديد إلا أن أعض هكذا عنهم»[١] ومن خلال هذا البحث تبين لنا أن الموت ليس هو النهاية للحياة ولا يعني فناء الإنسان وإنما هو ينقل الإنسان به إلى عالم آخر كما أن حقيقة الإنسان هي روحه وأن الجسد ليس إلا رداء يغطي الروح وبقاء الروح يعني بقاء المعنويات والكمالات والشخصية الإنسانية باستثناء القدرات المادية التي تزول بزوال الجسد ومن هنا يجوز شرعاً مخاطبة أرواح أولياء الله والاستعانة بها في الحياة وبعد الموت والدليل على هذا ما رواه الهيثم بن حنش قال كنا عند عبد الله بن عمر فخدرت رجله فقال له رجل أذكر أحب الناس إليك فقال يا محمد فكأنما نشط من عقال وذكره الحافظ شيخ القراء ابن الجوزي في كتابه الحصن وعدة الحصن وذكره الشوكاني أيضاً في كتابه تحفة الذاكرين[٢] وهو غير مطعون به عندهم ورواه أيضاً ابن الجعد[٣] وهذا الذي حصل من عبد الله بن عمر استغاثة برسول الله بلفظ يا محمد وذاك عند الوهابية كفر أي الاستغاثة به ﷺ بعد موته فماذا تفعل الوهابية أيرجعون عن رأيهم من تكفير من ينادي يا محمد أم يتبرؤون من ابن تيمية في هذه القضية وهو الملقب عندهم شيخ الإسلام فيا لها من فضيحة عليهم وهو إمام الذي أخذ منه ابن عبد الوهاب بعض أفكاره التي خالف بها

---

(١) صحيح البخاري ج٥ باب قتل أبي جهل ص ٧-٧٧ سيرة ابن هشام ج٢ ص٢٩٢.
(٢) تحفة الذاكرين ص ٢٦٧.
(٣) مسند ابن الجعد ص ٣٦٩.

المسلمين وهو في هذه المسألة على موجب عقيدتهم يكونون كفروا ابن تيمية لأنه استحسن ما هو شرك عندهم وإن احتج مانعو التوسل بالأموات بقولهم إنهم لا يسمعون وكذلك الحي الغائب فلا معنى لتوسل بهم بأن يقال يا رسول الله أغثني أو أتوجه بك إلى الله ليقضي لي حاجتي لأنه لا يسمع وأما الحي الحاضر فيسمع فيجاب بأنه لا يمانع شرعاً ولا عقلًا من أن يسمع النبي أو الولي كلام من يتوسل أو يستغاث به وهو في القبر أما النبي فلأنه حي أحياه الله بعد موته كما ثبت من حديث أنس عن رسول الله ﷺ أنه قال: «الأنبياء في قبورهم يصلون» صححه البيهقي في جزء حياة الأنبياء(١) وأورد الحافظ ابن حجر على أنه ثابت في فتح الباري(٢) وذلك لما التزمه أن ما يذكره من الأحاديث شرحاً أو تتمة لحديث في متن البخاري فهو صحيح أو حسن ذكر ذلك في مقدمة الفتح(٣) ولأنه ثبت حديث ما من رجل مسلم يمر بقبر أخيه المؤمن كان يعرفه في الدنيا فيسلم عليه إلا عرفه ورد عليه السلام صححه الحافظ عبد الحق الإشبيلي(٤) فقد تقدم أن البخاري ذكر في كتابه الأدب المفرد جواز نداء النبي بعد موته يا محمد وذلك خلاف معتقد الوهابية فإنه عندهم شرك وأورد أيضاً ابن السني في كتابه عمل اليوم والليلة(٥) ونص البخاري في كتابه المذكور باب ما يقول الرجل إذا خدرت رجله وروى الترمذي(٦) في سننه أن رجلًا ضرب خباءه ليلًا على قبر فسمع من القبر قراءة: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ إلى آخرها فلما أصبح ذكر ذلك لرسول الله ﷺ فقال: «هي المانعة هي المنجية» حسنه السيوطي(٧) فإذا كان من على وجه الأرض عند القبر يسمع قراءة صاحب

---

(١) حياة الأنبياء بعد وفاتهم رقم ١٥.
(٢) فتح الباري ج٦ ص ٤٨٧.
(٣) مقدمة فتح الباري ص٤.
(٤) إتحاف السادة المتقين.
(٥) أخرجه ابن السني في عمل اليوم والليلة ص ٧٢ وص ٧٣.
(٦) جامع الترمذي كتاب فضائل القرآن باب ما جاء في فضل سورة الملك.
(٧) الجامع الصغير ج٢ ص ٥٦§.

القبر فأي مانع من أن يسمع صاحب القبر كلام من على وجه الأرض ولو كان في مسافة بعيدة من صاحب القبر بالنسبة لعباد الله الذين منحهم الله الكرامات وإدعاء الوهابية باطل عندما يقولون لم يكن أحد من سلف الأمة في عصر الصحابة ولا التابعين ولا تابعي التابعين يتخيرون الصلاة والدعاء عند قبور الأنبياء ويسألونهم ولا يستغيثون بهم ولا في مغيبهم ولا عند قبورهم والدليل على بطلان أقوالهم هو ما ذكرناه من حديث عبد الله بن عمر عندما خدرت رجله وقد ذكر هذا الحديث ابن تيمية في كتابه الكلم الطيب في ص ٧٣ وقال حديث صحيح فإذاً تجوز الاستغاثة بالأموات ثم من العجب العجاب أنهم في هذا خالفوا زعيمهم الأول ابن تيمية الذي أخذ منه ابن عبد الوهاب بمطالعة كتبه فإنه ذكر في كتابه الكلم الطيب قول عبد الله بن عمر لما خدرت رجله (يا محمد) مستحسناً لذلك فهم من غير أن يستشعروا يكونون كفروا ابن تيمية لأن مستحسن الشرك شرك فابن تيمية استحسن هذا أي قول يا محمد لمن خدرت رجله اقتداءً بالبخاري وغيره من المحدثين وحتى الشوكاني الذي كان في عصر محمد بن عبد الوهاب أقول والعجب أيضاً من ابن تيمية الذي ذكر حديث ابن عمر الذي هو توسل واستغاث بالرسول بعد موته ﷺ أنه قال في كتابه التوسل والوسيلة لا يجوز التوسل إلا بالحي الحاضر فسبحان مصرف القلوب يصرفها كيف يشاء وتبين أن انتسابكم أيها الوهابية إلى السلف دعوة كاذبة وكذلك تسميتكم محمد بن عبد الوهاب شيخ الإسلام كتسميتكم ابن تيمية شيخ الإسلام تناقض منكم والحقيقة أن تسميتكم لكل منهما شيخ الإسلام وضع للكلمة في غير محلها كيف أن يكون قول يا محمد شركاً مع قول آخر إنه شيء حسن ولا يخف على ذي عقل أن إيراد ابن تيمية قول من خدرت رجله يا محمد مستحسناً لذلك يكون على مقتض عقيدتكم دعوة للشرك مع أنه هو قدوتكم في تجسيم البارئ أي إثبات الحد لله تعالى وإثبات الأعضاء والحركة والسكون وكل ذلك عند العقلاء المنزهين تشبيه الخالق ولعل الإنسان الجاهل بتاريخ الصحابة والتابعين ينخدع بكلام الوهابية ويتصور صدق وصحت كلمهم ولكن سرعان ما يثبت له كذب دعواهم وبطلانها إذا قام بنظرة خاطفة إلى التاريخ

وقرأ بعينه توسل الصحابة وغيرهم بالنبي والاستغاثة به ﷺ وقد جاء الدليل على ذلك أصاب الناس قحط في عهد عمر بن الخطاب فجاء رجل إلى قبر النبي ﷺ فقال يا رسول الله ﷺ استسق الله لأمتك فإنهم هلكوا فأتاه رسول الله ﷺ في المنام فقال: «ائت عمر فاقرأه السلام أخبره إنهم مسقون» [١]ثم يقول السمهودي بعد ذكر هذه القضية ومحل الاستشهاد طلب الاستسقاء منه ﷺ وهو في البرزخ ودعاؤه لربه في هذه الحالة غير ممتنع وعلمه بسؤال من يسأله قد ورد فلا مانع من سؤال الاستسقاء وغيره منه كما كان في الدنيا[٢] إن طلب الحوائج من أولياء الله ليس عبادة لهم أبداً وخاصة بعد أن تحدثنا بالتفصيل عن معنى العبادة ومواردها وأن الاعتقاد بالوهابية والربوبية هو الذي يصبغ العمل بصبغة العبادة ومن الواضح أن التوسل بأولياء الله لا يعتقد بألوهيتهم ولا بتدبيرهم لشؤون الكون ولا بقيامهم بأفعال الله بالاستقلال والاختيار بل يعتبر هم عباداً مكرمين أطهاراً طيبين وجهاء عند الله مطيعين له وغير مرتكبين لأدنى ذنب ومعصية وقد ثبت بالدليل والبرهان أن أولياء الله يملكون القدرة على قضاء حاجة المتوسل نظراً لحياتهم عند الله وأن كل ما يصدر منهم غنماً هو بإذن الله تعالى فهم من مصاديق قوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ ولو سألت بأولياء الله عن الذي دعاه إلى التوسل به لأجابك فوراً بأنه وسيلة إلى الله سبحانه وتعالى أن الإنسان يتوسل إلى الله بالصلاة والصوم والطاعات كذلك يتوسل إليه سبحانه بأوليائه الصالحين المكرمين لديه وأن المؤمن يعتقد في قرارة نفسه بأن توسله بالنبي وغيره من المعصومين والصالحين يدفع ذلك المتوسل به إلى السؤال من الله تعالى لقضاء حاجة من توسل به سواء كانت الحاجة غفران ذنب أو أداء دين أو شفاء مريض أو رفاهية عيش أو غير ذلك.



(١) وفاء الوفا ج٢ ص ١٣٧١.
(٢) وفاء الوفا ج٢ ص ١٣٧١.

التبرك بآثار النبي وآثار أولياء الله والاستشفاء

تعتقد الوهابية بأن التبرك بآثار النبي وأولياء الله شرك بالله وتعتبر الذي يقبل محراب رسول الله ﷺ ومنبره مشركاً وإن لم يأت بذلك بنية العبادة بل كانت المحبة والمودة تجاه النبي الكريم هي الدافع له إلى التبرك والاستشفاء بآثاره ﷺ أما التبرك فقد وردت عدة أمور في عصر الرسول ترد على هؤلاء الجلاوزة اعلموا أن الصحابة كانوا يتبركون بآثار النبي ﷺ في حياته وبعد مماته ولا زال المسلمون بعدهم إلى يومنا هذا على ذلك وجواز هذا الأمر يعرف من فعل النبي ﷺ وذلك أنه ﷺ قسم شعره حين حلق في حجة الوداع وأظفاره أما اقتسام الشعر فأخرجه البخاري[1] ومسلم[2] من حديث أنس وأحمد[3] من حديث عبد الله بن زيد ففي لفظ مسلم عنه قال لما رمى ﷺ الجمرة ونحر نسكه وحلق ناول الحالق شقه الأيمن فحلق ثم دعا أبا طلحة الأنصاري فأعطاه ثم ناوله الشق الأيسر فقال: «احلق» فحلق فأعطاه أبا طلحة فقال: «أقسمه بين المسلمين» وفي رواية: فبدأ بالشق الأيمن فوزعه الشعرة والشعرتين بين الناس ثم قال بالأيسر أي فعل فصنع مثل ذلك ثم قال: هاهنا أبو طلحة فدفعه إلى أبي طلحة وفي رواية أنه ﷺ قال للحلاق «ها» وأشار بيده إلى الجانب الأيمن فقسم شعره بين من يليه ثم أشار بيده إلى جانب الأيسر.

فحلقه فأعطاه أم سليم فمعنى الحديث أنه وزع بنفسه بعضاً بين الناس الذين

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الوضوء باب الماء الذي يغسل به شعر الإنسان..

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الحج باب بيان أن السنة يوم النحر أن يرمي ثم ينحر ثم يحلق والابتداء في الحلق بالجانب الأيمن من رأس المحلوق..

(٣) أخرجه أحمد في مسنده ج٤ ص ٤٢ وقال الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد ج٤ ص١٩ رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح..

يلونه وأعطى بعضاً لأبي طلحة ليوزعه في سائرهم وأعطى بعضاً أم سليم فقيه التبرك بآثار رسول الله لأن الشعر لا يؤكل إنما يستعمل في غير الأكل فأرشد الرسول أمته إلى التبرك بآثاره كلها حتى بصاقه وكان أحدهم أخذ شعرة والآخر أخذ شعرتين وما قسمه إلا ليتبركوا به فكانوا يتبركون به في حياته وبعد وفاته حتى إنهم كانوا يغمسونه في الماس فيسقون هذا الماء بعض المرضى تبركاً بأثر رسول الله ﷺ وهذا الحديث في البخاري[1] ومسلم[2] وأبي داود[3] وقد صح أنه ﷺ بصق في فيّ طفل المعتوه وكان يعتريه الشيطان كل يوم مرتين وقال أخرج عدوا الله أنا رسول الله ﷺ رواه الحاكم[4] فقسم ﷺ شعره ليتبركوا به وليستشفعوا إلى الله بما هو منه ويتقربوا بذلك إليه ويكون بركة باقية بينهم وتذكرة لهم ثم تبع الصحابة في خطتهم في التبرك بآثاره ﷺ من أسعده الله وتوارد ذلك الخلف عن السلف فلو كان التبرك به في حال الحياة فقط لبين ذلك وخالد بن الوليد كانت له قلنسوة وضع في طيها شعراً من ناحية رسول الله ﷺ أي ومقدم رأسه لما حلق في عمرة الجعرانة وهي أرض بعد مكة إلى جهة الطائف فكان يلبسها يتبرك بها في غزواته روى ذلك الحافظ ابن حجر في المطالبة العالية[5] عن خالد بن الوليد أنه قال اعتمرنا مع رسول الله ﷺ في عمرة أعمرها فحلق شعره فسبقت إلى الناحية فاتخذت قلنسوة فجعلتها في مقدمة القلنسوة فما وجهت في

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الوضوء باب الماء الذي يغسل شعر الإنسان..

(٢) صحيح مسلم كتاب الحج باب بيان أن السنة يوم النحر أن يرمي ثم ينحر ثم يحلق والابتداء في الحلق في الجانب الأيمن من رأس المحلوق..

(٣) سنن أبي داود كتاب المناسك باب الحلق والتقصير..

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرك كتاب التاريخ باب اجتماع الشجرتين بأمر رسول الله ﷺ ج٢ ص ٦١٨ وصححه وأقره الذهبي في تلخيصه..

(٥) انظر المطالب العالية ج٤ ص٩٠ قال الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي في تعليقه على حديث كذا في الأصلين وفي الإتحاف فما وجهته في وجه إلا فتح له وفي الزوائد فلم أشهد قتالاً وهي معي إلا رزقت النصرة قال البوصيري رواه أبو يعلى بسند صحيح ج٩ ص٣٤٩ انظر مسند أبي يعلى ج١٣ ص١٣٩.

وجه إلا فتح لي وعزاه الحافظ لأبي يعلى وقال ابن كثير في البداية والنهاية عند ذكره محنة الإمام أحمد ما نصه [(١)] قال أحمد فعند ذلك قال بعني المعتصم لي لعنك الله طمعت فيك أن تجيبني ثم قال خذوه واخلعوه واسحبوه قال أحمد وسحبت وخلعت وجيء بالعقبين والسياط وأنا أنظر وكان معي شعرات من شعر النبي ﷺ مصرورة في ثوبي فجردوني منه وصرت بين العاقبين وأما أظفاره فأخرج الإمام أحمد في مسنده[(٢)] أن النبي ﷺ قلم أظفاره وقسمها بين الناس أما جبته ﷺ فقد أخرج مسلم في صحيح[(٣)] عن عبد الله بن كيسان مولى أسماء بنت أبي بكر قال أخرجت إلينا جبة طيالسة كسروانية لها لبنة ديباج وفرجاها مكفوفان وقالت هذه جبة رسول الله ﷺ كانت عند عائشة فلما قبضت قبضتها وكان النبي ﷺ يلبسها فنحن نغسلها للمريض يستشفي بها وفي رواية نغسلها للمريض منا وعن حنظلة بن حذيم قال وفدت مع جدي إلى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله إن لي بنين ذوي لحى وغيرهم هذا أصغرهم فأدناني رسول الله ﷺ ومسح رأسي وقال بارك الله فيك قال الذيال فلقد رأيت حنظلة يؤتى بالرجل الوارم وجهه أو الشاة الوارم ضرعها فيقول بسم الله على موضع كف رسول الله ﷺ فيمسحه فيذهب الورم رواه الطبراني في الأوسط والكبير وأحمد في المسند[(٤)] وقال الحافظ الهيثمي[(٥)] ورجال أحمد ثقات وعن ثابت قال كنت إذا أتيت أنساً يخبر بمكاني فأدخل عليه فآخذ بيديه فأقبلهما وأقول بأبي هاتان اليدان اللتان مستا رسول

---

(١) انظر البداية والنهاية ج١ ص٣٣٤.

(٢) أخرجه الإمام في مسنده ج٤ ص ٤٢ من حديث عبد الله بن زيد بن عبد ربه صاحب الأذن عن النبي ﷺ وقال الحافظ الهيثمي في المجمع ج٣ ص١٩ بعد غزوه لأحمد ورجاله رجال الصحيح..

(٣) صحيح مسلم كتاب اللباس والزينة باب تحريم استعمال إناء الذهب والفضة على الرجال وإباحته للنساء وإباحة العلم ونحوه للرجل ما لم يزد على أربعة أصابع..

(٤) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ج٤ ص١٦ بنحوه وأحمد في مسنده ج٥ ص٦٧ و٦٨ في حديث طويل..

(٥) مجمع الزوائد ج٩ ص ٤٠٨.

الله ﷺ وأقبل عينيه وأقول بأبي هاتان العينان اللتان رأتا رسول الله ﷺ رواه أبو يعلى[1] وهذا أبو أيوب الأنصاري الذي هو أحد مشاهير الصحابة والذي هو أول من نزل الرسول عنده لما هاجر من مكة إلى المدينة جاء ذات يوم إلى قبر رسول الله ﷺ فوضع وجهه على قبر النبي تبركاً وشوقاً روى ذلك الإمام أحمد عن داود بن أبي صالح قال أقبل مروان بن الحكم يوماً فوجد رجلًا واضعاً وجهه على القبر فقال أتدري ما تصنع فأقبل عليه أبو أيوب فقال نعم جئت رسول الله ﷺ ولم آت الحجر سمعت رسول الله يقول: «لا تبكوا على الذين إذا وليه أهله ولكن ابكوا عليه إذا وليه غير أهله» رواه أحمد[2] والطبراني في الكبير[3] وأخرج البخاري[4] من حديث سهل بن سعد قال جاءت امرأة ببردة قال أتدرون ما البردة فقيل له نعم هي الشملة منسوج.

في حاشيتها قال قالت يا رسول الله إني نسجت هذه بيدي أكسوكها فأخذها النبي ﷺ محتاجاً إليها فخرج إلينا وإنها إزاره فقال رجل من القوم يا رسول الله أكسنيها فقال: «نعم» فجلس ثم رجع خطواها ثم أرسل بها إليه فقال له القوم ما أحسنت سألتها إياه لقد علمت أنه لا يرد سائلًا فقال الرجل والله ما سألته إلا لتكون كفني يوم أموت قال سهل فكانت كفنه وأخرج[5] أيضاً في صحيحه عن عون بن أبي جحيفة عن أبيه قال أتيت النبي ﷺ وهو في قبة حمراء من أدم ورأيت بلالًا أخذ وضوء النبي ﷺ والناس يتبدلون الوضوء فمن أصاب منه شيئاً تمسح به

---

(١) أخرجه أبو يعلي في مسنده ج٦ ص ٢١١ وقال الحافظ الهيثمي في المجمع ج٩ ص ٣٢٥ رواه أبو يعلي ورجاله رجال الصحيح غير عبد الله بن أبي بكر المقدمي وهو ثقة..

(٢) أخرجه أحمد في مسنده ج٥ ص ٤٢٢.

(٣) المعجم الكبير ج٤ ص ١٨٩ ,أخرج الحاكم في المستدرك ج٤ ص٥١٥ وصححه ووافقه الذهبي..

(٤) مجمع الزوائد ج٥ ص٢٤٥.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب البيوع باب ذكر النساج.

ومن لم يصب منه شيئاً أخذ من بلل يد صاحبه ونرد على قول الوهابية بتهمهم الحجاج عندما يتقربون إلى المنبر أو القبر ليتبركوا بآثار الرسول يقول لهم المطوع ابتعد من هذا الشرك فقد حكمتم على الصحابة وكثير من المسلمين بشرك فإذاً أين الإسلام وحكمت أيضاً على أحمد بن حنبل بأنه مشرك فلماذا هذا التناقض فقد روى ابن أبي شيبة(١) عن أبي مودودة قال حدثني يزيد بن عبد الملك بن قسيط رأيت نفر من أصحاب النبي ﷺ إذا خلا لهم المسجد قاموا إلى رمانة المنبر القرعاء فمسحوها ودعوا قال ورأيت يزيد يفعل ذلك(٢) وهذا الكلام يدل على تبرك الصحابة ولو كان شرك كما تزعم الوهابية ما فعلوا أصحاب رسول الله ﷺ وفي كتاب سؤلات عبد الله بن أحمد بن حنبل لأحمد(٣) قال سألت أبي عن مس الرجل رمانة المنبر يقصد التبرك وكذلك عن مس القبر لا بأس بذلك وهذا يوجب ابنه ويقول له لا بأس بذلك فإذا كان إمامكم احمد يجوز ذلك ولا يقول شرك فلماذا أنتم تقولون شرك لقد اقتديتم بني أمية الذين كانوا يمنعون الناس من زيارة النبي واقتديتم بأساتذتكم اليهود.

وفي كتاب العلل ومعرفة الرجال ما نصه(٤) سألته عن الرجل يمس منبر النبي ﷺ ويتبرك بمسه ويقبله ويفعل بالقبر مثل ذلك أو نحو هذا يريد بذلك التقرب إلى الله عز وجل فقال لا بأس بذلك وروى ابن الجوزي في مناقب أحمد(٥) بالإسناد المتصل إلى عبد الله بن أحمد بن حنبل قال رأيت أبي يعني أحمد بن حنبل يأخذ شعرة من شعر النبي ﷺ فيضعها على فيه ويقبلها وأحسب أني رأيته يضعها على عينيه ويغمسها في الماء ثم يشربه فيشفي به ورأيته قد أخذ قطعة النبي ﷺ فغسلها في جب الماء ثم شرب فيها أقول ولماذا هذه الضجة العمياء

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب اللباس باب القبة الحمراء من أدم..

(٢) مصنف ابن شيبة باب مس قبر النبي ج٤ ص١٢١.

(٣) أنظر كشاف القناع ج٢ ص ١٥٠.

(٤) العلل لأحمد بن حنبل ج٢ ص ٤٩٢.

(٥) مناقب الإمام أحمد بن حنبل ص ١٨٦ و١٨٧.

التي تثيرها حول التبرك بضريح رسول الله ﷺ والذي جرى عليه سيرة السلف من الصحابة والتابعين دون أن يروا أي استنكار أو استقباح أو منع أو تحريم من النبي ﷺ أو حوله من الصحابة ولماذا لا يتركون المسلمين ليقبلوا ضريح رسول الله ﷺ ويتبركوا به ويعبروا عن مشاعرهم وعواطفهم تجاه نبي الله أفلا يعلمون أن النهي عن التبرك بالضريح النبوي الطاهر وآثار رسول الله كان من دأب الأمويين لا سيما مروان الذي لعنه رسول الله.



الاستعانة بأولياء الله تعالى في حياتهم

إن الاستعانة بالأحياء للشؤون العادية التي لها أسباب طبيعية تشكل الحجر الأساس للتمدن البشري حيث إن حياة البشرية في الكرة الأرضية كلها تقوم على أساس التعاون وأن العقلاء في العالم يتعاونون لأمورهم الحيوية إن حكم هذه الصورة واضح جداً لدرجة أنه لم يستنكره أحد ولم يعترض عليه إنسان وبما أن بحثنا قائم على ضوء القرآن والأحاديث فإننا نعالج هذه المسألة من الزاوية القرآنية ونكتفي بآية واحدة عندما أراد (ذو القرنين) أن يبني سداً يحول هجوم (يأجوج)و(مأجوج) التفت إلى سكان المنطقة وقال: ﴿فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾(١) إن الاستعانة بالإنسان الحي في هذا العالم المادي للدعاء إلى الله تعالى بالخير والاستغفار منه هي من الضرورات الواضحة التي لا يتخلف فيها اثنان والقرآن الكريم يؤكد على ذلك في موارد متعددة والقيام بجولة خاطفة في رحاب الآيات الكريمة يأمر الله تعالى نبيه المصطفى ﷺ أن يستغفر لأمته فيقول: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾(٢) و﴿فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾(٣) والآية الأخرى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾(٤)وفي هذه الآية الأخيرة يأمر الله تعالى نبيه محمداً ﷺ بالدعاء لهم وأن دعاءه يبعث السكينة والطمأنينة في قلوبهم وتارة كان الأنبياء يعدون المذنبين والعاصين بالاستغفار لهم في الفرصة المناسبة فمثلاً يقول تعالى: ﴿إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾(٥) وقوله وتعالى: ﴿سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ

---

(١) سورة الكهف آية ٩٥.

(٢) سورة آل عمران آية ١٥٩.

(٣) سورة الممتحنة آية ١٢.

(٤) سورة التوبة آية ١٠٣.

(٥) سورة الممتحنة آية ٤.

رَبِّيٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا﴾[1] وقوله عز وجل: ﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ﴾[2] إن الأنبياء كانوا يبشرون المذنبين بالاستغفار حتى أن النبي إبراهيم عليه السلام وعد (آزر) بالاستغفار له ولكنه لما رأى (آزر) مصراً على عبادة الأصنام عدل عن وعده لأن من شروط استجابة الدعاء أن يكون المدعو له مؤمناً بالله تعالى وقد أمر الله تعالى مؤمنين المذنبين بالحضور عند رسول الله صلى الله عليه وآله وطلب الاستغفار لهم لأن الله يغفر لهم ببركة استغفار النبي لهم يقول عز وجل: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾[3] والواضح من هذه الآية يأمر الله المذنبين من هذه الأمة بالحضور عند رسول الله صلى الله عليه وآله وطلب الاستغفار منه له فائدتان إنه يبعث في الإنسان روح الطاعة والانقياد لرسول الله صلى الله عليه وآله وذلك بالانتباه والتوجه إلى عظمة النبي ووجاهته عند الله بحيث إن استغفار له يوجب مغفرة الله له وبصورة عامة الحضور عند النبي وطلب الاستغفار منه يوجب الخضوع له ويهيئ الإنسان نفسياً لامتثال قوله تعالى: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾[4] إن هذا يجسد منزلة النبي صلى الله عليه وآله لدى الأمة ويبين لهم أن الإفاضة المادية كما إنها متوقفة على أسباب وعوامل طبيعية كذلك الإفاضة المعنوية التي هي مغفرة الله لعباده إن عالم الوجود هذا عالم الأسباب والمسببات وإن الخيرات المادية والمعنوية تأتي عبر الأسباب المناسبة لها وإن المذنبين سألوا النبي موسى عليه السلام الدعاء لهم وتدل جملة (بما عهد عندك) على أنهم كانوا يعلمون بأن لله تعالى عهداً مع موسى ﴿ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ﴾ ففيه احتمالان أما الأول أن يكون الدعاء لكشف العذاب عنهم عن طريق المعجزة وذلك بإيمانهم بقدرة نبي موسى على ذلك بالاستعانة بقدرة الله سبحانه والاحتمال الثاني أن يكون طلب مجرد الدعاء لكشف العذاب لا المعجزة وخرق العادة والظاهر هو الاحتمال

---

(١) سورة مريم آية ٤٧.
(٢) سورة التوبة آية ١١٤.
(٣) سورة النساء آية ٦٤.
(٤) سورة النساء آية ٥٩.

الثاني لأن المفهوم من جملة ﴿ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ﴾ هو مجرد الدعاء لكشف العذاب وبعض الآيات القرآنية يستفاد منها أن بعض المؤمنين كان يستغفر للبعض الآخر كما قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾[1] وقوله تعالى: «﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْۖ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ﴾[2] وأن المقصود من الاستعانة هو أن يسأل الإنسان ربه بأن يشفي مريض أو يسدد ديونه وغير ذلك لأن هذه الأفعال خاصة بالله تعالى وما دعاء النبي والإمام إلا وسيلة إلى الله تعالى ولهذا فإن نسبة هذه الأفعال إلى النبي والغمام هي من باب المجاز لا الحقيقة[3] إلا أن في القرآن آيات تدل بوضوح على أن طلب هذه الحوائج من الأنبياء والأولياء أمر صحيح وليس مجازاً فإننا إذ نطلب من المعصوم نفسه القادر على المعجزة بأن يشفي المريض الذي صعب علاجه فإن ذلك يتحقق بحول الله وقوته صحيح أن القرآن الكريم يعتبر الشفاء من الله تعالى فيقول: ﴿وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ﴾[4]وفي الوقت نفسه ينسب الشفاء إلى القرآن والعسل أيضاً فيقول: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٞ وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[5] وقوله تعالى: ﴿يَخۡرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٞ مُّخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٞ لِّلنَّاسِۚ﴾[6] وقوله تعالى: ﴿قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ﴾[7] والجدير بالذكر أن في القرآن الحكيم آيات تصرح بأن الناس كانوا يرجعون الأنبياء وغير الأنبياء أيضاً كي يقوموا بأعمال استثنائية خارقة

---

(١) سورة الحشر آية ١٠.
(٢) سورة المؤمن آية ٧.
(٣) كشف الارتياب ص ٢٧٤.
(٤) سورة الشعراء آية ٨٠.
(٥) سورة الإسراء آية ٨٢.
(٦) سورة النحل آية ٦٩.
(٧) سورة يونس آية ٥٧.

للعادة الطبيعية وإليك بعض تلك الآيات: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ﴾(١) والواضح من الآية أن بني إسرائيل لم يطلبوا من النبي موسى أن يدعوا لله ويسأله توفر الماء بل طلبوا أن يوفر لهم الماء فجأةً ومن دون سبب مادي ولهذا أمره الله بأن يضرب بعصاه الحجر كي ينفجر منه الماء بطريقة إعجازية قال سبحانه وتعالى: ﴿فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾(٢) والآية التي تحكي قصة نبي الله سليمان عليه السلام عندما طلب من الحاضرين عنده بإحضار عرش بلقيس على الرغم من الحواجز والموانع التي كانت في طريقه(٣) ويقول الله تعالى حاكياً قول سليمان لمن حوله: ﴿أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ﴾(٤) وكان هدف نبي الله سليمان عليه السلام إحضار عرش بلقيس بطريقة غير عادية ولقد تحقق ذلك فعلًا بطريقة خرق الطبيعة كما قال سبحانه: ﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ﴾(٥) وإن الموضوع وبيت القصيد هو تصور البعض بأن الأعمال العادية هي من صلاحيات الإنسان وأن الأعمال الاستثنائية التي يعجز الناس منها عادة خاصة بالله سبحانه وهذا هو الخطأ لأن المقياس في تمييز أفعال الله عن غيره هو الاستقلال وعدم الاستقلال فيها إن الأعمال الإلهية هي التي ينفذها الفاعل وهو الله دون تدخل الغير فيها ودون الاستعانة بقدرة الآخرين وبعبارة أخرى إن الأعمال الإلهية التي يكون الفاعل مستقلًا تماماً في تنفيذها ولا يحتاج إلى الغير في إنجازها أبداً أما الأعمال غير الإلهية سواء كانت بسيطة وعادية أو صعبة وغير ذلك فهي التي لا يكون الفاعل مستقلًا في تنفيذها بل يتم التنفيذ تحت ظل قدرة مستقلة وبالاستمداد منها وهي

---

(١) سورة الأعراف آية ١٦٠.
(٢) سورة البقرة آية ٦٠.
(٣) كان النبي سليمان في الأردن وكان عرش بلقيس في اليمن وبينهما مئات الفراسخ والكيلومترات.
(٤) سورة النمل آية ٣٨.
(٥) سورة النمل آية ٤٠.

قدرة الله تعالى بناءً على هذا فليس هناك أي مانع من أن يتفضل الله على أوليائه بالقدرة على إنجاز الأعمال الخارقة للعادة والطبيعة والتي يعجز البشر عادة القيام بها يقول الله تعالى للنبي عيسى عليه السلام : ﴿وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى﴾[1] وأن مجموعة من الآيات تدل على أن أولياء الله كانوا يملكون هذه القدرة وان طلب الناس منهم القيام بالأعمال الاستثنائية والإعجازية كان أمراً متداولًا ومعروفاً.



(١) سورة المائدة آية ١١٠.

التوسل بأولياء الله والأنبياء والصالحين

يعتبر التوسل بالأولياء والصالحين مسألة معروفة بين المسلمين في كافة أنحاء العالم وقد وردت أحاديث بجوازه واستحبابه فهو ليس ظاهرة غريبة بل هو أمر ديني تعارف عليه المسلمون منذ فجر الإسلام حتى هذا اليوم ولا تجد مسلماً ينكر سوى ابن تيمية وتلاميذه محمد بن عبد الوهاب فاعتبر التوسل بأولياء الله بدعة تارة وعبادة للأولياء تارة أخرى ولا شك أن عبادة غير الله شرك وحرام والتوسل بأولياء الله ليس عبادة حتى يكون بدعة وشرك وإنما التوسل عليه عدة أدلة من الأحاديث النبوية والآيات القرآنية وأما الأحاديث الواردة في التوسل عن عثمان بن حنيف أنه قال إن رجل ضريراً أتى إلى النبي ﷺ فقال ادع الله أن يعافيني فقال رسول الله ﷺ : «إن شئت دعوت وإن شئت صبرت وهو خير فأدعُهُ فأمر رسول الله أن يتوضأ فيحسن وضوءه ويصلي ركعتين ويدعو بهذا الدعاء (اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبي الرحمة يا محمد إني أتوجه بك إلى ربي في حاجتي لتقضى اللهم شفعه فيَّ».

قال عثمان ابن حنيف فوالله ما تفرقنا وطال بنا الحديث حتى دخل علينا كأن لم يكن به ضُر وأن هذا الحديث صحيح بلا شك ومشهور عند المسلمين وقد ثبت ارتداد بصر الأعمى بدعاء رسول الله ﷺ [1] وقد ذكر هذا الحديث ابن ماجة في سننه المجلد الأول ص ٤٤١ رقم الحديث ١٣٨٥ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي نشر دار إحياء الكتب العربية وقد ذكره أحمد في مسنده المجلد الرابع ص١٣٨ عن مسند عثمان بن حنيف طبع المكتب الإسلامي مؤسسة دار صادر / بيروت وقد روي الحديث هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه الجامع الصغير

(١) التوصل إلى حقيقة التوسل ص١٥٨ مسند احمد بن حنبل ج٣ ص٣١٠ ابن ماجة ج١ ص١٧٩.

للسيوطي ص ٥٩ عن الترمذي والحاكم تلخيص المستدرك للذهبي المتوفى ٧٤٨ هـ وهو كتاب جمع أحاديث الصحاح الخمسة باستثناء صحيح ابن ماجة بعد هذا كله لا مجال للمناقشة في سند الحديث أو الطعن فيه روى عطية العوفي عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ «قال من خرج من بيته إلى الصلاة فقال اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك وأسألك بحق ممشاي هذا فإني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا رياءً ولا سمعةً وخرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك فأسألك أن تعيذني من النار وأن تغفر لي ذنوبي أنه لا يغفر الذنوب إلا أنت أقبل الله عليه بوجهه واستغفر له سبعون ألف ملك»[1] والتوسل ليس حرام ولا شرك ولا كفر ولو التوسل كفر ما أو صلى الرسول ﷺ أصحابه بتوسل أيهما أعظم من التوسل وقد ثبت أن معاذ بن جبل لما قدم من الشام سجد لرسول الله ﷺ فقال الرسول «ما هذا» فقال يا رسول الله أني رأيت أهل الشام يسجدون لبطارقتهم وأساقفتهم وأنت أولى بذلك فقال: «لو كنت أمرت أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها»[2] ولم يقل له رسول الله ﷺ كفرت ولا قال له أشركت مع أن سجوده للنبي مظهر كبير من مظاهر التذلل وعن عائشة أن رسول الله ﷺ كان في نفر من المهاجرين والأنصار فجاء بعير فسجد له فقال أصحابه يا رسول الله ﷺ سجد لك البهائم والشجر فنحن أحق أن نسجد لك فقال: «اعبدوا ربكم وأكرموا أخوكم» رواه أحمد[3] وإسناده جيد فهؤلاء الذين يكفرون الشخص لأنه قصد قبر الرسول أو غيره من الأولياء للتبرك فهم جهلوا معنى العبادة وخالفوا ما عليه المسلمون لأن المسلمين سلفاً وخلفاً لم يزالوا يزورون قبر النبي وليس معنى

(١) سنن ابن ماجة ج١ ص٢٥٦ رقم الحديث ٧٧٨.
(٢) أخرجه البيهقي في سننه ج٧ ص٢٩١ و٢٩٢ وأخرجه ابن ماجة في سننه كتاب النكاح باب حق الزوج على المرأة وقال الحافظ البوصيري في المصباح ج١ ص٣٢٤ رواه ابن حبان في صحيحه وقال السندي كله يريد أنه صحيح الإسناد وانظر الإحسان ج٦ ص١٨٦ و١٨٧.
(٣) مسند أحمد بن حنبل ج٦ ص٧٦.

الزيارة التوسل أن الرسول يخلق لهم ما يردون بل المعنى أنهم يرجون أن يخلق الله لهم البركة بزيارتهم وتوسلهم برسوله ﷺ وابن تيمية هو أول من صنع التوسل بالنبي عليه السلام كما ذكر ذلك الفقه علي السبكي في كتابه شفاء السقام [1] ونص عبارته أعلم أنه يجوز ويحسن التوسل والاستعانة والتشفع بالنبي ﷺ إلى ربه سبحانه وتعالى وجواز ذلك وحسنه من الأمور المعلومة لكل ذي دين المعروفة من فعل الأنبياء والمرسلين وسير السلف الصالحين والعلماء والعوام ولم ينكر أحد ذلك من أهل الأديان ولا سمع به في زمان من الأزمان حتى جاء ابن تيمية فتكلم في ذلك بكلام يلبس فيه على الضعفاء الأغمار وابتدع ما لم يسبق إليه في سائر الأعصار قال بعض أهل العصر في كلام له في رد على ابن تيمية فسعى ابن تيمية في منع الناس من زيارته ﷺ يدل على ضغينةٍ كامنةٍ فيه نحو الرسول وكيف يتصور الإشراك بسبب الزيارة والتوسل في المسلمين الذين يعتقدون في حقه ﷺ أنه عبده ورسوله وينطقون بذلك في صلواتهم نحو عشرين مرة في كل يوم على أقل تقدير إدامة لذكرى ذلك ولم يزل أهل العلم ينهون العوام عن البدع في كل شؤونهم ويرشدونهم إلى السنة في الزيارة والتوسل وإذا صدرت منهم بدعة في شيء ولم يعدوهم في يوم الأيام مشركين بسبب التوسل أو الزيارة وكيف وقد أنقذهم الله من الشرك وأدخل في قلوبهم الإيمان وأول من رماهم بالإشراك بتلك الوسيلة هو ابن تيمية وجرى خلفه من أراد استباحة أموال المسلمين ودمائهم لحاجة في النفس ولم يخف ابن تيمية من الله في رواية عد التوسل بدعة وشرك قال ابن الحاج المالكي المعروف بإنكاره للبدع في كتابه المدخل [2] ما نصه فالتوسل به عليه الصلاة والسلام هو محل حط أحمال الأوزار وأثقل الذنوب والخطايا لأن بركة شفاعته عليه الصلاة والسلام وعظمها عند ربه لا يتعاظمها ذنب إذ أنها أعظم من الجميع فليستبشر من زاره ويلجأ إلى الله تعالى بشفاعة نبيه عليه الصلاة والسلام من لم يزره اللهم لا تحرمنا شفاعته بحرمته عندك أمين يا رب العالمين ومن اعتقد

---

(١) شفاء السقام ص ١٦٠.

(٢) المخل ج١ ص٢٥٩ و٢٦٠.

خلاف هذا فهو المحروم ألم يسمع قول الله عز وجل: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ٦٤].

فمن جاءه ووقف ببابه وتوسل به وجد الله تواباً رحيماً لأن الله عز وجل منزه عن خلف الميعاد وقد وعد سبحانه وتعالى بالتوبة لمن جاءه ووقف ببابه وسأله واستغفر ربه فهذا لا يشك فيه ولا يرتاب إلا جاحد للدين معاند لله ولرسوله ﷺ نعوذ بالله من الحرمان انتهى كَلام ابن الحاج.

وذكر المردوي الحنبلي أيضاً في كتاب الانصاف[١] تحت عنوان فوائد ما نصه منها أي ومن الفوائد يجوز التوسل بالرجل الصالح على الصحيح من المذهب وقيل يستحب فماذا يقول هؤلاء عن المذهب الحنبلي الذي قرر أن التوسل بالنبي بعد موته سنة على رأي وجائز فقط على رأي فهل يكفرون الحنابلة وما معنى اعتزاز هؤلاء بأحمد مع أن أحمد في واد آخر وقد قال الإمام أحمد للمر والسروذي[٢] يتوسل أي الداعي عند القحط وقلة المطر أو انقطاعه بالنبي ﷺ في دعائه وفي كتاب إتحاف السادة المتقين[٣] بشرح إحياء علوم الدين ما نه وكان صفوان بن سليم المدني أبو عبد الله وقيل أبو الأحرث القرشي الزهري الفقه العابد وأبوه سليم مولى حميد بن عبد الرحمن بن عوف قال أحمد: هو يُستسقى بحديثه وينزل المطر من السماء بذكره وقال مرة هو ثقة من خيار عباد الله الصالحين قال الواقدي وغيره مات سنة مائة واثنتين وثلاثين عن اثنتين وسبعين سنة هـ أي أنه توفي قبل أن يولد أحمد فهذا أحمد لم يقل يستسقى بدعائه كما يقول ابن تيمية إن التوسل بدعاء الشخص لا بذاته ولا بذكره بل جعل أحمد ذكره سبباً لنزول المطر فمن أين تحريم ابن تيمية للتوسل بالذوات الفاضلة واستدل ابن تيمية على عدم التوسل بذوات من

(١) لإنصاف ج٢ ص٤٥٦.
(٢) الإنصاف ج٢ ص٤٥٦.
(٣) إتحاف السادة المتقين ج١٠ ص١٣٠.

حديث إذ مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث قال هذا الحديث دلالة على أن الميت لا ينفع غيره فالجواب أنه ليس في الحديث الذي رواه ابن حبان [1](إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعوا له) دلالة على أن الميت لا ينفع غيره إذ أن الحديث نفي استمرار العمل التكليفي الذي يتحدد به الميت ثواب أما أن ينفع غيره فغير ممنوع بدليل حسب دعواكم أن النبي موسى عليه الصلاة والسلام قال لمحمد ﷺ في حديث المعراج ارجع فسل ربك التخفيف[2] وهذا نفع كبير لأمة محمد كان بعد موت موسى بسنين عديدة فإن قالوا الوهابيون أليس في التوسل عمر بالعباس[3] موت النبي ما يدل على أنه لا يتوسل بالنبي بعد موته فالجواب أن عمر توسل بالعباس بعد موت النبي ليس لأن الرسول قد مات بل كان لأجل رعاية حق قرابته من النبي ﷺ بدليل قول العباس حين قدمه عمر اللهم إن القوم توجهوا بي إليك لمكانتي من نبيك روى هذا الأثر الزبير بن بكار وروى الحاكم[4] أيضاً أن عمر خطب الناس فقال أيها الناس أن رسول الله كان يرى للعباس ما يرى الولد لوالده يعظمه وينفخه ويبر قسمه فاقتدوا إليها الناس برسول الله ﷺ في عمه العباس واتخذوه وسيلة إلى الله فيما نزل بكم وهذا يوضح سبب توسل بالعباس وأيضاً فإن ترك الشيء لا يدل على منعه كما هو مقرر في كتب الأصول فترك عمر للتوسل بالنبي ﷺ لا دلالة فيه أصلًا على منع التوسل إلا بالحي الحاضر وقد ترك النبي ﷺ كثير من المباحات فهل دل تركه لها على حرمتها وقد أراد عمر بفعله ذلك أن يبين جواز التوسل بغير النبي ﷺ من أهل الصلاح ممن ترجى بركته ولذا

---

(١) صحيح ابن حبان فصل في الموت وما يتعلق به من راحة المؤمن وبشراه وروحه وعمله والثناء عليه انظر الإحسان ج٥ ص٩.
(٢) صحيح مسلم كتاب الإيمان باب الإسراء برسول الله إلى السموات وفرض الصلوات..
(٣) صحيح البخاري كتاب فضائل الصحابة باب ذكر العباس بن عبد المطلب..
(٤) مستدرك الحاكم كتاب معرفة الصحابة ج٣ ص٣٣٤.

قال الحافظ في الفتح [1] عقب هذه القصة ما نصه ويستفاد من قصة العباس استحباب الاستشفاع بأهل الخير والصلاح وأهل بيت النبوة فإن احتجت الوهابية في حديث ابن العباس الذي رواه الترمذي [2] إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله ما يدل على عدم جواز التوسل بغير الله أقول إن هذا ليس فيه معارضة ما ذكرنا إذ أن التوسل يسأل الله والحديث ليس معناه لا تسأل غير الله ولا تستعن بغير الله إنما معناه أن الأولى بأن يسأل ويستعان به هو الله تعالى ونظير ذلك قوله ﷺ : «لا تصاحب إلا مؤمناً ولا يأكل طعامك إلا تقي» رواه ابن حبان [3] فكما لا يفهم من هذا الحديث عدم جواز صحبة غير المؤمن وعدم جواز إطعام غير تقي وإنما يفهم منه إلا الأولوية كما أن رسول الله ﷺ لم يقل لا تسأل غير الله وتستعن بغير الله أليس هناك فرق بين أن يقال لا تسأل غير الله وبين أن يقال إذا سألت فاسأل الله وقال الحافظ ابن حجر في قصائده المسماة النيرات السبع:

يا سيد الرسل الذي بك يتقي ... أهوال يوم الدين والتعذيب
فلأحمد بن علي الأثري في ... مأهول مدحك نظم كل غريب
قد صح أن ضناه زاد وذنبه ... أصل السقام وأنت خير طبيب

ثم قال في قصيدة أخرى:

يا سيدي يا رسول الله قد شرفت ... قصائدي بمدحي فيك قد رصفا

إلى أن قال:

بباب جودك عبد مذنب كلف ... يا أحسن الناس وجهاً مشرقاً وقفا
بكم توسل يرجو العفو عن زللٍ ... من خوفه جفنه إلهامي لقد ذرفا
وإن يكن نسبة يعزى إلى حجرٍ ... فطالما فاض عذباً طيباً وصفا

---

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري ج٢ ص٤٩٧ .
(٢) جامع الترمذي كتاب صفة القيامة والرقائق والورع باب (٥٩) وقال الترمذي هذا حديث حسن صحيح . .
(٣) صحيح ابن حبان كتاب البر والإحسان ج١ ص٣٨٣ إلى ٣٨٥ .

ثم قال في قصيدة أخرى:

أصرح بمدح المصطفى واصدع به — قلب الحسود ولا تخف تفنيدا
واقصد له واسأل به تعط المنى — وتعيش مهما عشت فيه سعيدا
خير الأنام ومن لجا لجنابه — لا [illegible] أضحى به مسعودا

وقال في قصيدة أخرى:

ولي إن توسلت الهناء بمدحه — لأني مستجد هناك وسائل
فإن أحزن فمدحك لي سروري — وإن أقنط فمحك لي رجائي
نبي يراه الله أشرف خلقه — وأسماه إذ سماه في الذكر أحمدا
خرج نداه إنه الغيث في الندى — وخف من سطاه إنه الليث في العدا
وإن قنطت من العصيان نفسٌ — فباب محمد باب الرجاء

إن النبي آدم ﷺ عندما صدر منه ما كان الأولى عدم صدوره وتاب إلى الله تعالى مما صدر منه[1] تلقى من ربه كلمات كما أشار القرآن الكريم: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ٣٧][2] إن المفسرين والمحدثين أعربوا عن آرائهم ووجهات نظرهم تجاه هذه الآية ومعناها وذلك

---

(١) سنن ابن ماجة ج١ ص٢٥٦ رقم الحديث ٧٧٨ ط دمشق مطبعة الحلبوني سنة ١٩٨٥ م.

(٢) يقول الشيخ جعفر سبحاني - لقد ثبت أن النهي الوارد في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾ [البقرة آية ٣٥] إنما هو نهي إرشادي وتنزيهي وليس نهياً تحريمياً مولوياً والنهي الإرشادي هو بمثابة النصيحة والموعظة ومخالفة هذا النهي لا توجب عقاباً ولا مؤخذة ولا تنافي لعصمة بأي وجه وإنما توجب تأثير العمل ذاته فمثلًا لو نهى الطبيب المريض المصلب الزكام عن تناول الحمضيات فمخالفة المريض لأن المخالفة تعكس الأثر الطبيعي لها وهو اشتداد الزكام والمرض وفي القرآن الكريم آيات تدل علة أن نهي آدم عن اقتراب الشجرة كان نهياً إرشادياً ولا أثر لمخالفة هذا النهي سوى الخروج من الجنة كنتيجة طبيعية لتلك المخالفة يرجى مراجعة الآية ١١٨ و١١٩ من سورة طه..

استناداً إلى بعض الأحاديث وفيما يلي نذكر تلك الأحاديث لنرى النتيجة التي نحصل عليها بعد ذلك أخرج الطبراني في المعجم الصغير والحاكم في مستدركه وأبو نعيم الأصفهاني في حلية والبيهقي في تفسير الدر المنثور والآلوسي في تفسير روح المعاني عن عمر بن الخطاب عن رسول الله ﷺ أنه قال لما أذنب آدم الذي أذنبه رفع رأسه إلى السماء فقال أسألك بحق محمد إلا غفرت لي فأوحى الله إليه ومن محمد فقال تبارك اسمك لما خلقت رفعت رأسي إلى عرشك فإذا فيه مكتوب لا إله إلا الله ومحمد رسول الله فقلت إنه ليس أحد أعظم عندك قدراً ممن جعلت اسمه مع اسمك فأوحى إليه إنه آخر النبيين من ذريتك ولولا محمد لما خلقت(١)وفي حديث الذي مر عليك ترى اسم محمد ﷺ فقط مذكوراً إما في أحاديث المذهب الحق مذهب الشيعي ترى الحديث مروياً بصورة تتطابق مع الآية الكريمة والحديث مروي بصورتين فتارة فسرت كلمة (كلمات) بأسماء الخمسة الطيبة عليهم السلام وفسرت بأشباحهم النورانية تارةً أُخرى وإليك الحديث فيما يلي إن آدم رأى مكتوباً على العرش أسماء معظمة مكرمة فسأل عنها فقيل لهُ هذه أسماء أجل الخلق منزلة عند الله والأسماء محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين فتوسل آدم عليه السلام إلى ربه بهم في قبول توبته ورفع منزلته(٢) وتدل بعض الأحاديث على أن آدم رأى الأشباح النورانية للخمسة الطيبة فتوسل بهم بعد ذلك(٣)وعند مراجعة كتب التاريخ والحديث يظهر لنا أن قضية توسل النبي آدم بالنبي محمد ﷺ كان معروفاً ومشهوراً بين الناس ولهذا ترى مالك بن أنس إمام المالكية يقول للمنصور الدوانيقي في مسجد رسول الله (هو وسيلتك ووسيلة أبيك

---

(١) مستدرك الصحيحين ج٢ ص٦١٥ روح المعاني ج١ ص٢١٧ الدر المنثور ج١ ص٥٩ نقلًا عن الطبراني وأبي نعيم والبيهقي والمتن موافق لما في الدر المنثور.

(٢) مجمع البيان ج١ ص٨٩ طبعة لبنان تفسير البرهان ج١ ص٨٦ إلى ٨٨ رقم ٢و٥و١١و١٢و١٤و٢٧.

(٣) للتفصيل راجع تفسير البرهان ج١ ص٨٧ رقم الحديث ١٣و١٥و١٦.

آدم)[1] وقد أشار شعراء المسلمين إلى هذه الحقيقة في قصائدهم فترى أحدهم يقول:

به أجاب الله آدم إذ دعا ونجي في بطن السفينة نوح [2]

ويقول الأخر:

قوم بهم غفرت خطيئة آدم وهم الوسيلة والنجوم الطلع [3]

وقد توسل النبي بحقه وحق من سبقه من الأنبياء لما ماتت فاطمة بنت أسد دخل عليها رسول الله ﷺ فجلس عند رأسها فقال: رحمك الله يا أمي بعد أمي ثم دعا رسول الله أُسامة بن زيدٍ وأبا أيوب الأنصاري وعمر بن الخطاب وغلاماً أسود يحفرون فحفروا قبرها فلما بلغوا اللحد حفره رسول الله ﷺ بيده وأخرج ترابه فلما فرغ دخل رسول الله فاضطجع فيه ثم قال الله الذي يحيي ويميت وهو الحي لا يموت اغفر لأمي فاطمة بنت أسد وسع عليها مدخلها بحق نبيك والأنبياء الذين من قبلي قال مؤلف خلاصة الكلام رواه الطبراني في الكبير الأوسط وابن حبان والحاكم وصححوه[4] وكتب السيد أحمد زيني دحلان في كتاب الدرر السنية في الرد على الوهابية روى ابن أبي شيبة عن جابر مثل ذلك وكذا روى مثله ابن عبد البر عن ابن عباس ورواه أبو نعيم في حيلة الأولياء عن أنس ذكر ذلك كله الحافظ جلال الدين السيوطي في الجامع الكبير[5] أما نحن ذكرنا هذا الحديث المذكور

---

(١) ذكر السيد أحمد زيني دحلان في كتابه الدرر السنية ج١٠ أن القاضي عياض ذكر هذا الحوار بسند صحيح كذلك ذكره السبكي في شفاء السقام والسمهودي في وفاء الوفا والقسطلاني في المواهب اللدنية قال ابن حجر في جواهر المنظم قدوري هذا بسند صحيح وقال العلامة الزرقائي في شرح المواهب إن ابن فهد ذكر هذا بسند حسن وذكره القاضي عياض بسند صحيح..

(٢) كشف الارتياب ص ٣٠٧ نقله عن المواهب والشعر لأبن جابر..

(٣) كشف الارتياب ص ٣٠٨ والشعر للواسطي..

(٤) كشف الارتياب ص٣١٢ نقلًا عن خاصة الكلام..

(٥) الدرر السنية ص٨.

عن مصدرين يشمل أحدهما على الدعاء الذي هو موضوع البحث والأخر لا يشتمل عليه والمصدران هما حلية الأولياء لأبي نعيم الأصفهاني في المجلد الثالث ص١٢١ وفاء الوفا للسمهودي المجلد الثالث ص٨٩٩ روى جمع من المحدثين أن إعرابياً دخل على رسول الله ﷺ وقال لقد آتيناك وما لنا بعير يئط[1] ولا صبي يغط[2] ثم أنشأ يقول:

آتيناك والعذراءُ تدمى لبانُها ... وقد شغلت أُ الصبيَّ عن الطفلِ
ولا شيء مما يأكل الناس عندنا ... سوى الحنظل العامي والعلهز الغسل
وليس لنا إلا إليك فرارنا ... وأين فرار الناس إلا إلى الرُسل

فقام رسول الله ﷺ يجُرُ رداءه حتى صعد المنبر فرفع يديه وقال: «اللهم اسقنا غيثاً مغيثاً» فما رد النبي يديه حتى ألقت السماء ثم قال لله در أبي طالب لو كان حياً لقرّت علناه من ينشدنا قوله فقام علي بن أبي طالب وقال كأنك تُريدُ يا رسول الله ﷺ قوله:

وأبيض يسقيني الغمام بوجهه ... ثمال اليتامى عصمةٌ للأرامل
يطوف به الهلاك من آل هاشم ... فهم عنده في نعمةٍ وفواضل

فقال النبي ﷺ: «أجل» فأنشد علي أبياتاً من القصيدة والرسول يستغفر لأبي طالب على المنبر ثم قام رجل من كنانة وأنشد يقول:

لك الحمد والحمد ممن شكر ... سُقينا بوجه النبي المطر

ومن كتب الحديث التي فيها مصادر هذه القضية كثيرة جداً منها عمدة القاري في شرح صحيح البخاري المجلد السابع ص٣١ تأليف بدر الدين محمود بن أحمد العين المتوفى عام ٨٥٥ طبعة إدارة الطباعة المنيرية وشرح نهج البلاغة لابن حديد ج١٤ ص٨٠ والسيرة الحلبية تأليف علي بن برهان الدين الحلبي المجلد الثالث

---

(١) يئط: مشتق من الأطيط وهو صوت البعير لسان العرب ج٧ ص ٢٥٦ مادة أطط.
(٢) يغط: مشتق من الغطيط وهو صوت النائم لسان العرب ج٧ ص ٣٦٢ مادة غطط.

ص٢٦٣ والحجة على المذاهب إلى تكفير أبي طالب تأليف شمس الدين أبي علي فخار بن معد المتوفى عام ٦٣٠ طبعة النجف الأشرف مطبعة العلوي ص٧٩ وسيرة زيني دحلان المطبوعة بهامش السيرة الحلبية المجلد الأول ص٨١ روي أن سواد بن قارب أنشد لرسول الله ﷺ قصيدته التي يتوسل بالنبي وفيها يقول:

وأشهد أن الله لا رب غيره ... وأنك مأمون على كل غائب
وأنك أدنى المرسلين وسيلة ... إلى الله يا بن الأكرمين الأطائب
فمرنا بما يأتيك يا خير مرسلٍ ... وإن كان فيما فيه شيب الذوائب
وكن لي شفيعاً يوم لا ذو شفاعة ... بمُطن فتيلًا عن سواد بن قارب[1]

ولنا أن نتساءل هل يجب أن نأخذ المعرف الإسلامية والأحكام الشرعية من ابن تيمية ومحمد بن عبد الوهاب ونظرائهما أم من عترة رسول الله ﷺ التي نصب النبي في حديث الثقلين على أنها الثقل الأصغر وعدل القرآن إن كل مسلم يملك ذرة من الوعي والإنصاف يحكم الأخذ من العترة الطاهرة التي أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً وابن تيمية يقول التوسل بدعة وجاء محمد عبد الوهاب وابن باز يقولون إن التوسل شرك فإذاً أنه مشرك بهذه الدعوة والتي هي دعوة التوسل وهل ترضون أن يكون عمر بن الخطاب مشرك ومبتدع بالدين فإذا كان أنتم ترضون الأمة الإسلامية لا تقبل علمكم لا السفهاء يقبلون كلامكم وأنتم أيها السلفية أصلًا عندكم عقدة نفسية من المقدسات الإسلامية أما تعلمون أن التوسل أحد المقدسات الإسلامية لدى المسلمين أجمعين فإذا كان التوسل حرام وبدعة في الدين لماذا أنتم تتوسلون بقبر أحمد بن حنبل وتتبركون في قبر أحمد بن حنبل فإذا كان التوسل شرك فأنتم أيضاً مشركين أم أنتم يجوز لكم ما لا يجوز لأمة الإسلامية فنستطيع أن نقول أنتم شعب الله المحتار أي محتارين بين أن تجمعون بين اليهودية وبين الأفكار الإسلامية فأخذتم كثيراً من أفكار اليهود وأفكار النصرانية وجعلتوها في كتبكم حتى تتوارثها الناس من بعدكم بفعل ورثتها السفهاء وسوف أثبت لكم أن شاء الله عن أفكار ابن تيمية ومحمد عبد الوهاب وأفكار اليهود.

(١) الدرر السنية ص٢٧ تأليف زيني دحلان التوصل إلى حقيقة التوسل ص٣٠٠.

الحلف بحق الأولياء على الله تعالى

وقد حرمت الوهابية الحلف على الله بحق الأولياء وقالت إن الحلف على الله تعالى بحق الأولياء والصالحين والأنبياء شرك وضلال وهذا الأمر يقسم المسلمين إلى فريقين فريق يؤيد الحلف بحق الأولياء والصالحين على الله عز وجل وفريق ذهب مع الوهابية ولا يؤيد هذا الموضوع ولا يعرف الأحكام المترتبة عليه أقول أمر الحلف على الله بحق الأولياء والأنبياء والصالحين جائز بالأدلة الشرعية والأدلة القرآنية ويصف القرآن الكريم بعض عباده ويقول: ﴿ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ﴾[1] ولو إن إنساناً قام في جوف الليل وصلى لربه وقال اللهم إني أسألك بحق المستغفرين بالأسحار اغفر لي ذنبي فكيف نعتبر قول هذا شرك وكيف نكفر صاحب هذا القول وإذا قال إنسان بدعاء علي عليه السلام (اللهم إني أسألك بحرمة من عاذ بك منك ولجأ إليك واستظل بفيئك واعتصم بحبلك ولم يثق إلا بك) وقال آخر وبحق السائلين عليك والراغبين إليك والمتعوذين بك والمتضرعين إليك وبحق كل متعبد لك بر أو بحر أو سهل أو جبل أدعوك دعاء من اشتد فاقته وهل هذا القسم على الله بحق الأولياء يدل على أنه شرك وشارك الله في عبادته فإذا كان هذا شرك كيف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علم ذلك الأعمى الذي جاء يطلب منه أن يرد الله عليه بصره علمه أن يقول اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك نبي الرحمة وروى أبو سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم هذا الدعاء اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك وأسألك بحق ممشاي هذا[2] وقد تاب النبي آدم عليه السلام إلي بقوله أسألك بحق محمد إلا غفرت لي[3] وبعد ما دفن النبي صلى الله عليه وآله وسلم السيدة فاطمة بنت

(١) سورة آل عمران آية ١٧.

(٢) سنن ابن ماجة ج١ ص ٤٤١ مستدرك الصحيحين ج١ ص٣١٣ مسند أحمد ج٢ ص ١٣٨.

(٣) سنن ابن ماجة ج١ ص ٢٦١ مسند أحمد ج٣ حديث ٢١.

أسد وسع عليها مدخلها بحق ولدها الإمام علي عليه السلام دعا لها بقوله: «اغفر لأمي فاطمة بنت أسد ووسع عليها مدخلها بحق نبيك والأنبياء الذين من قبلي»[1].



(١) الفصول المهمة ص ٣١ لابن الصباغ المالكي..

النذر لأهل القبور

قال ابن تيمية من نذر شيئاً للنبي أو غيره من النبيين والأولياء من أهل القبور أو ذبح ذبيحة كان كالمشركين الذين يذبحون لأوثانهم وينذرون لها فهو عابد لغير الله فيكون كافراً[1] ثم جاء محمد بن عبد الوهاب بعد ثلاثة قرون تقريباً فجعل ينهق بنهيق سلفه ويحيي بدعه ومفترياته لقد جهلا أو تجاهلا إن المقياس العام هو القصد والنية القلبية فـ(الأعمال بالنيات)وإذا كان مجرد العمل الظاهري دليلًا على النية فإن كثيراً من مناسك الحج وفرائضه تشبه في ظاهرها أعمال عبدة الأصنام فقد كانوا يطوفون حول أصنامهم ويقبلونها ونحن نطوف حول الكعبة المشرفة ونُقبل الحجر الأسود ونذبح الذبائح ونقرب القرابين في منى يوم عيد الأضحى فهل كفرنا وأشركنا بالله بأداء هذه الناسك إن المقياس هو النية القلبية ولا يصح التسرع في الحكم وإصدار الفتوى لمجرد عمل ظاهري إن كل من ينذر لأحد أولياء الله إنما يقصد في قلبه النذر لله وإهداء الثواب لذلك الولي الصالح ليس إلا ومن حسن الحظ أن العلماء والمفكرين من الشيعة الأبرار والسنة قد تصدوا لأباطيل ابن تيمية وأمثاله فهذا الخالدي يرد على ابن تيمية ويقول إن المسألة تدور مدار نيات الناذرين وإنما الأعمال بالنيات فإن كان قصد الناذر الميت نفسه والتقرب إليه بذلك لم يجز قولًا واحداً وإن كان قصده وجه الله تعالى وانتفاع الأحياء بوجه من الوجوه به وثوابه لذلك المنذور له سواء عيّن وجهاً من وجوه الانتفاع أو أطلق القول فيه وكان هناك ما يطرد الصرف فيه عرف الناس أو أقرباء الميت أو نحو ذلك ففي هذه الصورة يجب الوفاء بالنذور[2] ثم ذكر ما صرح به علماء عصره ومن قارب عصره حول هذه المسألة وقال العزامي في كتاب فرقان القرآن ومن استخبر حال من يفعل

---

(١) فرقان القرآن للعزامي ص ١٣٢ نقلًا عن ابن تيمية. .

(٢) صلح الإخوان للخالدي ص ١٠٢.

ذلك من المسلمين وجدهم لا يقصدون بذبائحهم ونذورهم للأموات من الأنبياء والأولياء إلا الصدقة عنهم وجعل ثوابها إليهم وقد علموا أن إجماع أهل السنة منعقد على أن صدقة الأحياء نافعة للأموات واصلة إليهم والأحاديث في ذلك صحيحة مشهورة فمنها ما صح عن سعد أنه سأل النبي ﷺ قال يا نبي الله إن أمي قد أفتلتت[1] واعلم أنها لو عاشت لتصدقت أفإن تصدقت عنها أينفعها ذلك قال ﷺ: «نعم» فسأل النبي أي الصدقة أنفع يا رسول الله قال: «الماء» فحفر بئر وقال هذه لأم سعد[2] لقد أخطأ ابن تيمية فادعى أن المسلم إذا قال هذه الصدقة للنبي أو لولي فاللام بنفسها هي اللام الموجودة في قولنا (نذرت لله) المراد منها الغاية فالعمل لله بينما لو قال للنبي يريد بها الجهة التي يصرف فيها الصدقة من مصالح النبي ﷺ في حياته ومماته وفي هذا الصدد يقول العزامي بعد ذكر قصة سعد اللام في هذه لأم سعد هي اللام الداخلة على الجهة التي وجهت إليها الصدقة لا على المعبود المتقرب إليه وهي كذلك في كلام المسلمين فهم سعديون لا وثنيون وهي كاللام في قوله تعالى: إنما الصدقات للفقراء لا كاللام في قوله سبحانه: ﴿رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا﴾ أو في قول القائل صليت لله ونذرت لله فإذا ذبح للنبي أو للولي أو نذر شيء له فهو لا يقصد إلا أن يتصدق بذلك عنه ويعد ثوابه إليه فيكون من هدايا الأحياء للأموات المشروعة المثاب على إهدائها والمسألة مبسوطة في كتب الفقه وفي كتب الرد على الرجل ومن شايعه[3] ويظهر للقارئ العزيز جواز النذر للأنبياء والأولياء من دون أن يكون فيه شائبة شرك فيثاب به الناذر إن كان لله وذبح المنذور باسم الله فقول القائل (ذبحت للنبي) لا يريد أنه ذبحه للنبي ﷺ بل يريد أن الثواب له كقول القائل ذبحت للضيف بمعنى أن نفع والفائدة له فهو السبب في حصول الذبح ويوضح ذلك ما روي عن ثابت بن الضحاك قال نذر رجل على عهد رسول الله ﷺ أن ينحر إبلًا ب(بوانة) فأتى رسول

---

(١) أي ماتت.

(٢) فرقان القرآن ص ١٣٣.

(٣) فرقان القرآن ص ١٣٣.

الله ﷺ فأخبره فقال: «هل كان فيها وثن يعبد من أوثان الجاهلية قالوا لا قال فهل كان فيها عيد من أعيادهم قالوا: لا قال النبي الأقدس ﷺ للسائل أوف بنذرك فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله ولا فيما لا يملك ابن آدم»[1] وروي أيضاً إن امرأة أتت النبي الأعظم ﷺ فقالت يا رسول الله ﷺ «إني نذرت أن أذبح بمكان كذا وكذا مكان كان يذبح فيه أهل الجاهلية فقال النبي: الصنم قالت: لا قال: الوثن قالت لا قال وفي بنذرك»[2] وعن ميمونة بنت كردم أن أباها قال لرسول الله ﷺ يا رسول الله ﷺ «إني نذرت إن ولد لي ذكر أن أنحر على رأس (بوانة) في عقبةٍ من الثنايا عدة من الغنم قال الراوي عنها لا أعلم إلا أنها قالت خمسين فقال رسول الله ﷺ هل من الأوثان شيء قال لا فأوف بما نذرت به لله»[3] أرأيت أيها القارئ الكريم كيف النبي يكرر السؤال عن وجود الأصنام في المكان تذبح فيه الذبائح إن هذا دليل على أن النذر الحرام هو النذر للأصنام حيث كان عادة أهل الجاهلية وكل من اطلع على أحوال الزائرين للعتبات المقدسة ومراقد أولياء الله الصالحين يعلم جيداً أنهم ينذرون لله تعالى لرضاه ويذبحون الذبائح باسمه عز وجل بهدف انتفاع صاحب القبر بثوابها وانتفاع الفقراء بلحومها وابن تيمية ومحمد عبد الوهاب قد امتثاله لقول الخوارج على عدم جواز النذر في أماكن الأنبياء والصالحين زاعمين أن الأنبياء والصالحين أوثان والعياذ بالله وأعياد من أعياد الجاهلية فهو من ضلالاتهم وخرافاتهم وتجاسرهم على أنبياء الله وأوليائه حتى سموهم أوثاناً وهنا غاية التحقير لهم خصوصاً الأنبياء فإن من انتقصهم ولو بالكناية يكفر ولا تقبل توبته في بعض الأقوال وهؤلاء المخذولون بجهلهم يسمون التوسل بهم عبادة ويسمونهم أوثاناً فلا عبرة بجهالة هؤلاء وضلالاتهم والله أعلم[4] إذا كان امتثال ابن تيمية ومحمد عبد الوهاب لمذهب الخوارج وفهمهم إلى الأنبياء والأولياء

(١) سنن أبي داود ج٢ ص٨٠.
(٢) سنن أبي داود ج٢ ص٨١.
(٣) سنن أبي داود ج٢ ص٨١.
(٤) صلح الإخوان للخالدي ص ١٠٩.

والصالحين والمسلمين وبهذه الصورة عن أي دين هم يتحدثون وعن أي سنة هم يتكلمون فإذا ابن تيمية يقول عصاتي هذه أفضل من النبي بعد موته وأي دين عليه ابن تيمية على دين الخوارج فالخوارج كفار بتحقيرهم للأنبياء وابن تيمية أيضاً كافر بتحقيره لشخص النبي..



بركة أحمد لا بركة النبي

زعم ابن تيمية وابن القيم الجوزي أن زيارة القبر للتبرك شرك وفي ذلك أيضاً بيان واضح أن هذا كان عمل المسلمين بلا نكير وإنما التشويش على المتبركين جاء ابن تيمية وأتباعه على نقيض واضح ولم يعترضوا على المتبركين بقبر أحمد بن حنبل أخرج ابن الجوزي في مناقب أحمد[(١)] عن أبي يوسف بن بختان وكان من خيار المسلمين قال لما مات أحمد بن حنبل رأى رجل في منامه كأن على كل قبر قنديلًا فقال ما هذا فقيل له أما علمت أنه نور لأهل القبور بنورهم بنزول هذا الرجل بين أظهرهم وقد كان فيهم من يعذب فرحم وبإسناده عن عبيد بن شريك قال مات رجل مخنث فرُئي في النوم فقال قد غُفر لي دفن عندنا أحمد بن حنبل فغفر لأهل القبور وبإسناده عن أبي علي الحسن بن أحمد الفقيه قال لما ماتت أم القطيعي دفنها في جوار أحمد بن حنبل فرآها بعد الليل فقالت يا بني رضي الله عنك فلقد دفنتني في جوار رجل ينزل على قبره في كل ليلة أو قالت في كل ليلة جمعة رحمة نعم بجميع أهل المقبرة وأنا منهم[(٢)] قال: قال أبو علي وحكى أبو ظاهر الجمال شيخ صالح قال قرأت ليلة وأنا في مقبرة أحمد بن حنبل قوله تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾ ثم حملتني عيني فسمعت قائلًا يقول ما فينا شقي والحمد لله ببركة أحمد كل هذه البركات موجودة عندكم وعند إمامكم فلماذا تكفرون المسلمين ولماذا تقولون لمن أراد أن يتبرك بقبر الرسول مشرك ولا تقولون لأنفسكم نحن مخطئون حين نقول لزوار قبر الرسول والمتبركين كلمة شرك إما أنتم جهلاء في الحكم على المسلمين أو أنتم تعتقدون أحمد بن حنبل أفضل من النبي ﷺ وأفضل من الصحابة والأولياء والصالحين فإن اعترفتم أنكم جهلاء فلا يحق لكم إصدار

---

(١) مناقب أحمد لابن الجوزي ص ٤٨٢ ط مصر المطبعة الخيرية سنة ١٣٢٠.

(٢) مناقب لابن الجوزي ص ٤٨٣ ط مصر المطبعة الخيرية سنة ١٣٢٠.

الفتوى على المسلمين ولا يحق لكم أن تتكلموا بالأحاديث وتضعفون هذا الحديث وتقولون هذا قوي ولا يحق لكم أن تستلموا إمامة الحرمين فيجب أن تبتعدوا كلياً عن هذه الأمور وترجعوا وتدرسوا العلم وتتعلمون وأما إن فضلتم أحمد وأنتم على كل الحال خارجين من الدين ولا تفهمون من الدين لا اللهم اللحية والمسواك وتقصير الثوب فقط وإن كان التبرك بقبر النبي شرك فأنتم مشركين حين تبركتم بقبر أحمد وهناك نموذج من البركات بقبر أحمد وأتباعه ولا أريد أن أطيل الكلام وأنتم على كل الأحوال عندكم عقدة نفسية من الإسلام ومن المقدسات الإسلامية واتبعتم أساتذتكم اليهود والأمريكان لأن اليهود عندهم عقدة حين دخلوا الإسلام استسلاماً مثل هولاء وتفرقوا بشدة.

وفي كتاب الحكايات المنثورة للحافظ الضياء المقدسي الحنبلي أنه سمع الحافظ عبد الغني المقدسي الحنبلي يقول إنه خرج في عضده شيء يشبه الدمل فأعيته مداواته ثم مسح به قبر أحمد بن حنبل فبرئ ولم يعد إليه وهذا الكتاب بخط الحافظ المذكور محفوظ بظاهرية دمشق.

قال أبو إسحاق إبراهيم بن عمر البرمكي الحنبلي قال أنا أتبرك بقبر أحمد حين ولادته فتنقضي جميع أموري وفي السنة القادمة أيضاً أذهب إلى قبر أحمد فأتبرك وتنقضي أموري كلها إلى سنة فتنقضي أيام ولا يصيبني بلاء إلى حين الولادة والدعاء والبركة كلها في قبر أحمد(١).

قال إسحاق بن يحيى أبو إبراهيم الأعرج ما أصابني شيء أو كرب إلا وقد ذهبت إلى قبر أحمد وتبركت به ودعوت الله وندبت أحمد فينقضي كربي ويستجاب دعائي(٢).

فإذا لماذا تحرمون علينا التبرك والدعاء عند قبر الرسول والأولياء وتقولون لنا مشركين أم يجوز لكم ما لا يجوز لغيركم وأنتم تجوزون لأنفسكم ولا تجوزون

---

(١) نتائج الأفكار في تخريج أحاديث الأذكار ص٢٢٧.
(٢) نتائج الأفكار في التخريج أحاديث الأذكار ص٢٢٦.

لغيركم فأنتم تحكمون على أنفسكم بشرك حين تقولون لمن يتبرك بقبر النبي يا مشرك لماذا أنتم تتبركون بقبر أحمد ملاذ المخنثين والمزلجين فلذلك يقول لأهل الرصفة عرب زلج أليس هذه فتوى أحمد وبركت أحمد يغفر لهم.



جواز البناء المساجد

على قبور الأولياء والأنبياء والصالحين وبجوارها

ومما أفتى به علماء الوهابية تحريم البناء على قبور الأولياء والأنبياء والصالحين وزيارة قبر النبي ﷺ وحرمة السفر لزيارة القبور والتوسل بأولياء الله والصالحين والأنبياء وحرمة المواليد سواء كانت للنبي أو لرسول أو لأولياء وحرمة التبرك والاستشفاء بآثار الرسول أو الأولياء والصالحين وطلب الشفاعة من أولياء الله تعالى والاستعانة بأولياء الله وقد ضعفت الأحاديث الواردة في زيارة قبر الرسول وجعلها ضعيفة ولا يؤخذ بها واعتبروا كل هذه الأمور من الشرك ومن الكفر وأخذوا لا يفصلون بين الكافر والمشرك ومن الذين أفتوا في تحريم هذه الأمور ابن تيمية وأخذ يقول إنها أمور بدعة ولا أصل لها في الدين ومن فعلها مبتدع وضال مضل وأتبعه بهذه الفتوى محمد بن عبد الوهاب وعبد العزيز ابن باز وابن عثيمين وغيرهم وهذا مذهب السعوديين الآن وأننا نرد على فتوى هؤلاء الذين تجرؤوا على الله ورسوله وأوليائه بغير حق وهؤلاء مدسوسين على الدين الإسلامي وأدخلوا ما ليس فيه وكل ما تكلم عالم من علماء المسلمين ورد عليهم قالوا هذا مبتدع في الدين وقتله حلال وكل مصائب فتن المسلمين اليوم كلها من هؤلاء فقهاء النفط والملوك والسلاطين واليهود وأول فتوى كانت لفضيلة الشيخ الراحل عبد العزيز بن باز يجوز الصلح مع إسرائيل وبتكفير الشيعة والصوفية أيضاً والأشاعرة والمتردية والمعتزلة وغيرهم وفي عام ١٩٩٤ ضربت إسرائيل في البحر مقابل العقبة قنبلة تجريبية واهتز ميناء العقبة وميناء النويبع وغيرها من المدن الأردنية والمصرية فقال عبد العزيز بن باز هذه ذنوب العباد التي فعلت هكذا وليس إسرائيل فرد عليه العقيد معمر القذافي برد حلو وجميل فقال أنت أيها الشيخ الضرير أنت أعمى لا ترى هذه قنبلة الإسرائيلية النووية التجريبية وليست ذنوب العباد أيها

الشيخ الضرير أنت تقول الأرض غير كروية أنت لا تفهم لا في السياسة ولا في الدين يجب أن تصمت إلى الأبد لأنك تشجع إسرائيل على الأمة العربية والإسلامية وقد وصف العقيد القذافي ابن باز أنه أحمق ويهودي الأصل وكان هذا عام ١٩٩٤ شهر ٤ في يوم١٥ وهو خطاب له في مدينة ابن غازي وقد أفتى المفتي الحالي آل الشيخ بتحريم العمليات الاستشهادية ضد إسرائيل وقد ردوا عليه كثير من العلماء والمفكرين وهذين المفتيين من أين أخذا نص الفتوى أخذاها من أسلافهما ابن تيمية ومحمد بن عبد الوهاب ومن أحبابهم اليهود شارون وعماله وإن شاء الله نرد عليهم ونبين ما هو وجه الشبه بينهما وبين شامير وشارون وهذين المفتيين وعاض السلاطين والملوك والفاسقين وقد حرما زيارة القبور وتحريم البناء على قبور الأولياء والصالحين والأنبياء هذه من فتوى ابن تيمية وأتباعه وقد ذهبت إلى السعودية لأداء العمرة في شهر الخامس عام ٢٠٠١ وأول وصولي كان إلى المدينة المنورة وفي اليوم الثاني حضرت محاضرة في المسجد النبوي وكان يلقيها شيخ اسمه أبو بكر الجزائري وكان الناس حول الشيخ منصتين وكنت أنا أسمع إليه وكان عنوان المحاضرة البدع والشعوذة وعند انتهاء المحاضرة سأله أحد الجلوس قائلًا يا سماحة الشيخ عندي سؤال قال تفضل اسأل ما شئت فقال الرجل هل يجوز البناء على قبور الأولياء والأنبياء وهل تجوز الصلاة عندهم فأجاب بالحرف الواحد لا يجوز البناء على قبور الأولياء والأنبياء والصالحين ولا تجوز الصلاة في مسجد فيه قبور وأول مسجد هذا المسجد أي مسجد رسول الله وأجاب بكل صراحة لو ما نخاف من الأمة الإسلامية تتكالب علينا لشلنا هذا القبر فاهتز جسمي من هذا القول فعزمت الرد عليه وعلى أمثاله من فقهاء السلاطين وفقهاء النفط وفقهاء الدولارات وأصحاب الشيكات في البنوك وهؤلاء أصحاب الحل والعقد عند الأمراء يفتون كما يريدون وعلى قدر الدولارات الأمريكية وعلى قدر الشيكات وبهذه الفتاوى أرادوا طمس معالم أهل البيت ومراقدهم وهكذا أرادوا اليهود قتل أهل البيت ودفن معالمهم حتى لا يكون لهم شيء يذكر بسبب قتل علي لهم يوم خيبر وغيرها من الغزوات ودخلوا الإسلام استسلاماً وسلطوا علينا هؤلاء

العلماء أي علماء السلفية وعلماء السوء الذين لا يفقهون في الإسلام شيئاً أخذوا يحللون ويحرمون حسب آراءهم ولا يتورعون ولا يتقون الله في السر والعلن ومن هنا أنطلق إلى مسألة البناء على القبور وفتوى ابن تيمية ونرد عليهم جميعاً هؤلاء المتنطعين في الدين ابن تيمية وتلميذه ابن القيم أول من أفتى بحرمة بناء القبور الأولياء والصالحين ويقول ابن تيمية يجب هذه المشاهد التي بينت على القبور ولا يجوز إبقاؤها بعد القدرة على هدمها وإبطالها يوم واحد[1] وفي عام ١٣٣٤ هـ بعدما استولى آل سعود على مكة المكرمة والمدينة المنورة وضواحيهما بدؤوا يبحثون عن دليل يبرر لهم هدم المراقد المقدسة في البقيع ومحو آثار أهل البيت عليهم السلام والصحابة فلجؤوا إلى الاستفتاء من علماء المدينة المنورة حول حرمة البناء على القبور محاولة منهم لتبرير موقفهم أمام الرأي العام الإسلامي وخاصة في الحجاز لأنهم كانوا يدركون جيداً أن المسلمين في الحجاز هم كالمسلمين في كل مكان يعتقدون بكرامة أولياء الله وقدسيتهم وجواز البناء على قبورهم فحاول الوهابيون أن يلبسوا جريمتهم هذه بلباس الإسلام دفعاً لنقمة المسلمين سبحان الله أرسلت السلطات السعودية قاضي القضاة في نجد اسمه سليمان بن بليهد إلى المدينة المنورة للاستفتاء من علمائها حول بناء مراقد أولياء الله ولكن الجدير بالذكر هو أن الأسئلة التي طرحها ابن بليهد كانت تحمل في ثناياها الأجوبة المطابقة لأراء الوهابيين أنفسهم وما كان من العلماء إلا الإجابة بمثل ما هو مذكور في الاستفتاء نفسه ولم يكن علماؤهم يملكون الشجاعة والبطولة في التجاهر بالحق والإفتاء بالصواب بل كانوا هم كذلك طول التاريخ يرتزقون على أبواب السلطان وكانوا يعلمون مسبقاً أن الإفتاء على خلاف أراءهم يعرضهم للتهمة بالكفر والشرك ومن ثم يحكمون عليهم بالقتل إن رفضوا التوبة وقد نشرت جريدة (أم القرى) الصادرة في مكة المكرمة في شوال ١٣٤٤ هـ تلك الأسئلة والأجوبة وقد أثارت ضجة كبرى بين المسلمين الشيعة والسنة معاً لأنهم

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد لأبن القيم ص٦٦١ .

كانوا يعلمون أن وراء هذا الاستفتاء الذي قد صدر وطأة التهديد والترهيب هو البدء بهدم القباب والبناء المشيد على قبور قادة الإسلام وعظماء المسلمين وهذا ما حصل بالفعل فبعد ما صدرت تلك الفتوى من خمسة عشر عالماً من علماء المدينة وانتشرت في الحجاز بدأت السلطة الوهابية الحاقدة بهدم قبور آل رسول الله ﷺ وفي الثامن من شوال من نفس العام قضت على أثار أهل البيت عليهم الصلاة والسلام والصحابة ونهبت كل ما كان في ذلك الحرم المقدس من فُرش وهدايا ثمينة وغيرها وحولت تلك الزمرة الوحشية البقيع المقدس إلى ارض قفراء موحشة وبعث ابن بليهد ورقة بيضاء إلى علماء المدينة يطلب منهم التوقيع عليها وإن لم توقعوا اعلموا أنكم مفارقين الدنيا وبالفعل كل واحد منهم وقع ولكن لا يعلم لماذا وقع وعلى أي شيء وقع بعدما ما نشرت الجريدة (أم القرى) نص الاستفتاء وجوابه في تاريخ ١٧ شوال سنة ١٣٤٤هـ وحددت تاريخ صدور الفتوى من علماء المدينة في ٢٥ رمضان حين ذاك علموا علماء المدينة لماذا وقعوا وابن بليهد هو السائل والمجيب وهذا نص الفتوى ما قول العلماء المدينة المنورة زادهم الله فهماً وعلماً في البناء على القبور واتخاذها مساجد هل هو جائز أم لا وإذا كان غير جائز بل ممنوع منهي عنه نهياً شديداً فهل يجب هدمها ومنع الصلاة أم لا وإذا كان البناء في مسبلة[1] كالبقيع وهو مانع من الانتفاع بالمقدار المبنى عليه فهل هو غصب يجب رفعه لما فيه من ظلم المستحقين ومنعهم استحقاقهم أم لا وأما المجيب هو نفسه كما هو السائل أما البناء على القبور فهو ممنوع إجماعاً لصحة الأحاديث الواردة في منعه ولهذا أفتى كثير من العلماء بوجوب هدمه مستندين بحديث علي عليه السلام قال لأبي الهياج ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله أن لا تدع تمثالاً إلا طمسته ولا قبراً مشرفاً إلا سويته ويقول الشيخ النجدي في مقال نشرته جريدة (أم القرى) في عددها الصادر في شهر جمادى الثانية سنة ١٣٤٥هـ إن بناء القباب على مراقد الأولياء صار متداولاً منذ القرن الخامس الهجري وهناك نماذج

---

(١) مسبلة موقوفة في السبيل الله تعالى..

من أقوال الوهابيين حول بناء القبور وترى اعتمادهم في كتبهم ومؤلفاتهم على الحرمة تعتمد على أمرين:

١ - إجماع علماء الإسلام على التحريم

٢ - حديث أبي الهياج عن الإمام علي عليه الصلاة والسلام

ونفند دعواهم على أن الإجماع عند علماء المسلمين بتحريم البناء على القبور كيف يصح دعوى الإجماع على تحريم البناء على القبور في حين أن المسلمين قد دفنوا رسول الله ﷺ في البيت الذي كانت تسكنه عائشة ثم دفنوا من بعده أبا بكر وعمر إلى جواره وبعدها أقاموا جواراً في وسط البيت ليصبح نصفها منزلًا للسيدة عائشة والنصف الأخر مقبرة لرسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر وبما أن ارتفاع الجدار كان قليلًا فقد زيد في ارتفاعه في زمن عبد الله بن الزبير.

ثم كان هذا البيت المقبرة يتجدد أو يعاد بناؤه بين حين وأخر على مر العصور والأزمان وفقاً للفن المعماري الخاص بكل عصر وفي عهد الأمويين والعباسيين كان البناء على القبر يحظى باهتمام بالغ وكان يتجدد كما يقتضيه الفن المعماري الخاص بكل عصر وأخر بناء أُقيم على القبر الشريف والذي لا يزال حتى الآن كان في عهد السلطان عبد الحميد في عام ١٢٧٠هـ واستغرق أربع سنوات وبإمكانك أيها القارئ مراجعة كتاب وفاء الوفا للسمهودي من ص٣٨٣ إلى ص ٣٩٠ للحصول على تفاصيل أخرى حول ما مر على مرقد رسول الله ﷺ من بناء وتجديد وتعمير طوال التاريخ المدينة المنورة وأما دعواهم بحديث أبي الهياج وحان الوقت أن نبحث في الحديث الذي يتمسك به الوهابيون في حرمة البناء على القبور وهو من صحيح مسلم[1] حدثنا يحيى بن يحيى وأبو بكر بن أبي شيبة وزهير بن حرب قال يحيى أخبرنا وقال الآخران حدثنا وكيع عن سفيان بن حبيب ابن أبي ثابت عن أبي وائل عن أبي الهياج الأسدي قال قال لي علي بن أبي طالب ألا أبعثك

(١) صحيح مسلم ج٣ كتاب الجنائز ص ٦١ سنن الترمذي ج٢ ص٢٥٦ باب ما جاء في تسوية القبر سنن النسائي ج٤ ص٨٨ باب تسوية القبر.

على ما بعثني عليه رسول الله أن لا تدع تمثالًا إلا طمسته ولا قبراً مشرفاً إلا سويته لقد اتخذ الوهابيون هذا الحديث دليلًا على حرمة البناء على القبور من دون أي تحقق في رجاله وسنده إذا أردنا الاستدلال بحديث من الأحاديث على حكم من أحكام الله تعالى فلا بد أن يتوفر في ذلك الحديث هذان الشرطان:

أ - صحة السند بأن يكون رواة الحديث ورجاله في جميع المراحل والطبقات رجالًا ثقات يمكن الاعتماد عليهم وعلى أقوالهم.

ب - دلالة الحديث بأن تكون في ألفاظ الحديث وعباراته دلالة كاملة على مقصودنا منه بحيث يفهمه غيرنا ممن يحسن لغة ذلك الحديث ويعرف قواعدها بمثل ما نفهمه نحن.

ويستنتج ما نستنتجه وأن حديث أبي الهياج فاقد لهذين الشرطين وخاصة للشرط الثاني فلا علاقة له بالبناء على القبور إطلاقاً وأما بالنسبة إلى السند لم تتفق كلمة علماء الرجال على وثاقتهم وفيما يلي نذكر أسماء الرواة في الحديث الذين رفض علماء الرجال أحاديثهم وكيع وسفيان الثوري وحبيب بن أبي ثابت وأبو وائل الأسدي وهؤلاء الرواة انتقدهم ابن حجر العسقلاني في كتابه تهذيب التهذيب وذكرهم بما يسلب الثقة من حديثهم هذا وأحاديثهم الأخرى فبالنسبة إلى وكيع يروي الحافظ العسقلاني عن أحمد بن حنبل إمام الحنابلة أنه قال فيه إنه أخطأ في خمسمائة حديث [1] ويقول أيضاً نقلًا عن محمد بن نصر المروزي كان وكيع يحدث بالمعنى ولم يكن من أهل اللسان[2] وبالنسبة إلى سفيان الثوري يقول ابن حجر العسقلاني عن ابن مبارك حدث سفيان بحديث فجئتُه وهو يدلس فلما رآني استحيى[3] إن التدليس بأي معنى كان في الحديث يدل على أن الراوي المدلس كان فاقداً لملكة العدالة والصدق ولذلك كان يصور غير الواقع واقعاً كما هو معنى

(١) تهذيب التهذيب للعسقلاني ج١١ ص١٢٥.
(٢) تهذيب التهذيب للعسقلاني ج١١ ص١٣٠.
(٣) تهذيب التهذيب للعسقلاني ج٤ ص١١٥.

التدليس في اللغة وعند ترجمة حياة يحيى القطان يقول الحافظ العسقلاني إن يحيى القطان قال جهد سفيان الثوري أن يُدلس عليّ رجلًا ضعيفاً فما أمكنه[١] وبالنسبة إلى حبيب كان مدلساً[٢].

وكتب نقلًا عن قطان أن حبيب لا يتابع عليه وليست بمحفوظة[٣] وأما بالنسبة إلى أبي وائل فقد كان من المنحرفين عن الإمام علي أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام وممن نصب العداء والبغضاء له عليه السلام[٤] فكيف يُعتمد عليه وقد قال رسول الله ﷺ: «يا علي لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق»[٥] والجدير بالذكر أن راوي حديث أبي الهياج ليس له في الصحاح الستة من أولها إلى أخرها إلا هذا الحديث فقط فماذا تقول في رجل ليس له إلا رواية واحدة وهذا يدل على أن الرجل ليس راوياً للحديث وعلى هذا الأساس فالاعتماد على حديثه لا يخلوا من إشكال أيها الوهابي المستدل بهذا الحديث قد عرفت ضعف رواته وعدم اتفاق علماء الرجال عليهم فهذا الحديث محفوفاً بهذه الإشكالات المتعددة فلا يمكن لأي فقيه أن يستند عليه في استنباط الحكم وإصدار الفتوى وأن النقطة المهمة التي يستشهدون بها في هذا الحديث هو قوله ولا قبراً مشرفاً إلا سويته ولا بد لنا أن نقف مع الكلمتين ونحقق فيهما:

١ - مشرفاً.

٢ - سويته.

وإن لفظ المشرف معناه العالي المرتفع قال في المنجد (المشرف) من الأماكن العالي والمطل وقال صاحب القاموس (الشرف) محركة العلو ومن البعير سنامه

---

(١) تهذيب التهذيب للعسقلاني ج ١١ ص٢١٨.
(٢) تهذيب التهذيب للعسقلاني ج ٣ ص١٧٩.
(٣) تهذيب التهذيب للعسقلاني ج٣ ص١٧٩.
(٤) تهذيب التهذيب للعسقلاني ج ٩ ص٩٩.
(٥) مجمع الزوائد للهيثمي ج٩ ص١٣٣ روى قريباً منه الترمذي في صحيحه ج٢ ص٣٠١ ومسلم في صحيحه كتاب الإيمان وغيرهم..

ومعنى مشرف هو الارتفاع المطلق وخاصة الارتفاع الذي على شكل سنام البعير لفظة سويته ومعناها جعل الشيء متساوياً وتقويم المعوج سوى الشيء جعله سوياً يقال سويت المعوج فاستوى صنعته متساوياً والقرآن الكريم خير دليل الذي قال: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ﴾ والاحتمال الذي يتمسك به الوهابيون مردود ومرفوض لعدة أسباب أولًا لفظة (التسوية) لم تأت في اللغة بمعنى الهدم والتدمير ولو كان المقصود به هنا ذلك لكان المفروض أن يقال: (ولا قبر إلا سويته بالأرض) والحديث يخلو من ذلك البناء على قبور الأولياء وتعظيم للشعائر الإلهية ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾(١) أو البناء على القبور كانت في الأمم السابقة موجدي يعترض القرآن عليهم ولم يأمر النبي بهدم قبورهم حيث جاء في القرآن الكريم ﴿ٱبْنُوا۟ عَلَيْهِم بُنْيَـٰنًا﴾ وقال مرة أخرى ﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾ ويقول المفسرون أن النزاع حول مدفن أصحاب الكهف إنما وقع بين المؤمنين والكافرين أما الكافرون فقالوا: ﴿ٱبْنُوا۟ عَلَيْهِم بُنْيَـٰنًا﴾ والمؤمنون قالوا ﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾ وكانت الغلبة مع المؤمنين حيث قال سبحانه: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾(٢) وبني المسجد وصار قبور أصحاب الكهف مركزاً للتعظيم والاحترام لنا ويظهر لنا أن الهدف من البناء على قبور أصحاب الكهف إنما كان نوعاً من التعظيم لأولياء الله الصالحين وجاء في القرآن العظيم: ﴿فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَـٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾(٣) والمراد من البيوت هو المساجد فقط بل المراد فيها ما هو الأعم من المساجد والأماكن التي يذكر فيها اسم الله سواء كانت مساجد أو غيره كبيوت الأنبياء والأئمة عليهم السلام والصالحين الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله فهذه البيوت تعتبر من المصاديق البارزة للآية الكريمة ويمكن أن نقول إن المراد من البيوت هو غير المساجد لأن البيت هو البناء الذي يتشكل من جدران

---

(١) سورة الحج آية ٣٢.
(٢) سورة الكهف آية ٢١.
(٣) سورة النور الآيتان ٣٦ و٣٧.

أربعة وعليها سقف قائم وإذا كانت الكعبة يقال لها بيت الله فإنما هو بسبب كونها مسقفة والقرآن يعتبر البيت هو المكان المسقف فيقول سبحانه: ﴿وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ﴾[1] وعلى كل الحال فالمقصود من البيوت إما هو الأعم من المساجد أو غير المساجد وكيف يجوز للوهابيين أن يهدموا بيوت آل رسول الله ﷺ التي كانت مهبطاً لملائكة الله ومركزاً لذكر الله ونشر دينه وأحكامه لماذا أقدم الوهابيون على تحقير هذه البيوت المقدسة وإذلالها وإهمالها وحولوها إلى قفار موحشة مهجورة يُرثى لها ويحن قلب كل مؤمن لوضعها المأساوي وقد روى الحافظ السيوطي عن أنس بن مالك وبريدة أن رسول الله ﷺ قرأ قوله تعالى.

---

(١) سورة الزخرف آية ٣٣.

زيارة القبور

لقد أفتى علماء الإسلام وفقهاء الشريعة وحماة الدين وحراس العقيدة بجواز زيارة القبور وخاصة قبور الأنبياء والصالحين واستناداً إلى الآيات من القرآن الكريم والأحاديث الشريفة وأفتوا بجوازها واستحبابها وفضيلتها وأما الوهابيون لا يحرمون أصل الزيارة بل يحرمون السفر وشد الرحال إلى زيارة قبور الصالحين والأنبياء وذلك يضعفون الأحاديث الواردة في فضل الزيارة لقد أخذ ابن تيمية ومحمد بن عبد الوهاب والشيخ الألباني وابن عثيمين بتضعيف هذه الأحاديث وقالوا هذه كلها ضعيفة المتن والسند وأما الزيارة على قسمين القسم الأول فهي محرمة مطلقاً ألا وهي زيارة السفر وأما القسم الثاني الزيارة العادية لا اشكال فيها والآن نناقش أنواع الزيارة وأقسامها نورد الأدلة والأحاديث يقول الرسول الأعظم ﷺ «زوروا القبور فإنها تذكركم الآخرة»[1] بالرغم من أن مسألة زيارة القبور ليست بحاجة إلى إقامة الدليل والبرهان على صحتها وضرورتها لكننا نضطر إلى التحدث عنها لأولئك الذين يتوفقون فيها القرآن وزيارة القبور أن الله تعالى ينهي حبيبه محمداً ﷺ عن الصلاة على جنازة المنافق والقيام على قبره فيقول سبحانه: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ﴾[2] وهل معنى هو القيام وقت الدفن فقط حيث لا تجوز ذلك للمنافقين ويستحب للمؤمن أم المعنى أعم من وقت الدفن وغيره وأما جواب المفسرين قال البيضاوي (لا نقم على قبره) إن النهي هو عن الدفن والزيارة معنى الآية الكريمة أن الله عز وجل ينهى نبيه ﷺ عن مطلق الاستغفار والترحم على المنافقين سواء كان بالصلاة أو مطلق الدعاء وينهى عن مطلق القيام على القبر سواء

---

(١) صحيح ابن ماجة ج١ ص١١٣ باب ما جاء في زيارة القبور..

(٢) سورة التوبة آية ٨٤.

كان عند الدفن أو بعده وقد جاءت جملة من الأحاديث في زيارة القبور وقد روى أصحاب الصحاح والسنن أنه ﷺ قال: «كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإنها تزهد في الدنيا وتذكر بالآخرة»(١) وعلى هذا الأساس كان الرسول ﷺ يزور قبر أمه السيدة آمنة بنت وهب رضوان الله عليها وكان يأمر الناس بزيارة القبور لأن زيارتها تذكر بالآخرة وقد روى مسلم في صحيحه زار النبي قبر أمه فبكى وأبكى من حوله وقال استأذنت ربي في أن أزور قبرها فأذن لي فزوروا القبور فإنها تذكركم الموت(٢) وقالت عائشة أن رسول الله رخص في زيارة القبور(٣) وقالت إن النبي قال: «ما أمرني ربي أن آتي البقيع فأستغفر لهم قلت كيف أقول يا رسول الله قال قولي السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين يرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين وإنّا إن شاء الله بكم لاحقون اللهم اغفر لأهل بقيع الفرقد»(٤) وجاء نص آخر عن رسول الله السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين وإنّا إن شاء الله بكم لاحقون أنتم لنا فرط ونحن لكم تبع أسأل الله العافية لنا ولكم.(٥) وجاء حديثاً آخر: «السلام عليكم دار قوم مؤمنين وإنّا إن شاء الله بكم لاحقون»(٦) وعن عائشة أن النبي ﷺ كان يخرج إلى البقيع في آخر الليل من كل ليلة ويقول: «السلام عليكم دار قوم مؤمنين وأتاكم ما توعدون وغداً

(١) السنن لابن ماجة ج١ ص١١٤ ط الهند باب ما جاء في زيارة القبور صحيح الترمذي أبواب الجنائز ج٣ ص٢٧٤ المطبوع مع شرح ابن العربي المالكي وفي صحيح مسلم ج٣ باب استئذان النبي ربه عز وجل في زيارة قبر أمه ص٦٥ صحيح أبي داود ج٢ ص٧٣ باب زيارة القبور صحيح مسلم كتاب الجنائز باب زيارة القبور ج٤ ص٧٣ سنن أبي داود ص١٩٥.
(٢) صحيح ابن ماجة ج١ ص١١٤.
(٣) صحيح مسلم ج٣ ص٦٤ باب ما يقال عند دخول القبور سنن النسائي ج٣ ص٧٦.
(٤) السنن للنسائي ج٤ ص ٧٦و ٧٧.
(٥) نفس المصدر السابق..
(٦) السنن لأبي داود ج٢ ص ١٩٦.

مؤجلون وإنّا إن شاء الله بكم لاحقون اللهم اغفر لأهل بقيع الفرقد»[1] وفي حديث آخر أن النبي كان يزور المقابر مع جماعة من أصحابه ويعلمهم كيفية الزيارة كان رسول الله ﷺ يعلمهم إذا خرجوا إلى المقابر فكان قائلهم يقول السلام على أهل الديار أو السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين وإنّا إن شاء الله لاحقون أسأل الله لنا ولكم العافية[2] وجواز زيارة النساء للقبور يشير صاحب كتاب مفتاح الحاجة في شرح صحيح ابن ماجة فيقول اختلفوا في الكراهة هل هي كراهة تحريم أو تنزيه ذهب الأكثر إلى الجواز إذا أمنت الفتنة [3]ولقد مر علينا أن النبي ﷺ رخص في زيارة القبور عندما أخذ عائشة وعلمها كيفية الزيارة والسلام على أهل البقيع وعندما قتل عبد الرحمن بن أبي بكر شقيق عائشة في الجنتي حملوا جثمانه إلى مكة ودفنوه فيها ولما جاءت عائشة إلى مكة من خرجت لزيارة قبر أخيها وأنشدت بيتين من الشعر في رثائه[4] ويقول الحافظ ابن العربي والصحيح أن النبي ﷺ سمح للرجال والنساء بزيارة القبور والذي يقول بالكراهة فإنما هو بسبب جزعهن عند القبر وقلة صبرهن أو لعدم رعايتهن للحجاب وعن أنس أنه قال مر النبي ﷺ بامرأة تبكي عند قبر فقال: «اتقي الله واصبري» قالت إليك عني فإنك لم تصب بمصيبتي ولم تعرفه فقيل لها إنه النبي فأتت باب النبي فقالت لم أعرفك فقال النبي: «إنما الصبر عند الصدمة الأولى»[5] فإذا كانت زيارة القبور محرمة لنهاها رسول الله ﷺ عن الزيارة ولكنك ترى أن رسول الله ﷺ أوصاها بالتقوى والصبر عند المصيبة ولم ينهها عن زيارة المقابر وإن السيدة فاطمة بنت رسول الله ﷺ كانت تخرج إلى زيارة قبر عمها حمزة في كل ليلة جمعة أو أقل من ذلك وكانت تصلي عند قبره وتبكي[6] وفي هذه الأيام عندما يدخل

(١) صحيح مسلم ج٣ ص٦٣ ما يقال عند دخول القبور..
(٢) صحيح مسلم ج٣ ص١١ باب ما يقال عند دخول القبر..
(٣) حواشي صحيح ابن ماجة ج١ ص١١٤ ط الهند..
(٤) صحيح الترمذي ج٣ ص ٢٧٥ كتاب الجنائز باب ما جاء في زيارة القبور..
(٥) صحيح البخاري كتاب الجنائز ج٢ ص٧٩ باب زيارة القبور..
(٦) المستدرك على الصحيحين للحاكم ج١ ص٢٧٧ وفاء الوفا ج٢ ص١١٢.

الإنسان مقبرة البقيع لزيارة قبور آل الرسول ﷺ وقبور قادة الإسلام وحماة الدين وحراس العقيدة والصحابة يرى تلك القبور في حالة يرثى لها من الإهانة والتصغير مما يهتز له الضمير وتأخذه الدهشة من قساوة قلوب الزمرة الوهابية التي تدعي حماية الإسلام وصيانة الدين أستغرب من هؤلاء الوهابية من جانب يذكرون الصحابة بالخير والتمجيد ويثنون عليهم على المنابر ومن جانب آخر يتركون قبورهم عارية عن كل احترام وأما لفض الشرك والمشرك فهي الهدية الوحيدة التي يقدمها الوهابيون يضمرون الحقد والبغضاء لأولياء الله قادة دينه وقد حرم ابن تيمية السفر إلى زيارة قبر الرسول وقال إنها حرام ألبتة ولا يجوز السفر إلى زيارة قبر الرسول مطلقاً أما إذا قصد المسجد فممكن ذلك أقول ابن تيمية لإنسان لا يؤخذ منه بل يورد إليه بدليل الصحابي الجليل بلال مؤذن رسول الله ﷺ سافر من الشام إلى المدينة المنورة لزيارة قبر الرسول الأعظم ﷺ وأن عمر بن عبد العزيز كان يبرد البريد من الشام ويقول سلم لي على رسول الله[1] وزيارة قبر الرسول في قصد السفر إليها فقد وردة عند كثير من فقهاء المذاهب التسعة يجوزوا ذلك ولكن ابن تيمية أكبه الله على وجهه يوم القيامة يقول لا يجوز مع العلم لا يوجد عنده دليل مطلقاً زيارة قبر الرسول المقدس ﷺ بشهادة القرآن قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾[2] فقد جاء في الصحاح إن رسول الله قال: «ما من أحداً يسلم عليَّ إلا رد الله عليَّ روحي حتى أرد عليه السلام»[3] وقال النبي الأعظم: «صلوا عليَّ فإن صلاتكم تصلني حيث كنتم»[4] وقد ذكر تقي الدين السبكي في كتابه شفاء السقام والسمهودي في كتابه وفاء الوفا نماذج من زيارة المسلمين لقبر رسول الله وتلاوة

(١) البيهقي في شعب الإيمان كما نقله في الصارم ص ٢٤٦.
(٢) سورة النساء آية ٦٤.
(٣) سنن أبي داود ج١ ص٤٧٠ و٤٧١.
(٤) التاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول بقلم الشيخ منصور علي نايف ج٢ ص١٨٩.

هذه الآية عند قبره الشريف وفيما يلي نذكر بعض تلك النماذج روى سفيان بن عنبر عن العتبي وكلاهما مشايخ الشافعي وأساتذته أنه قال كنت جالساً عند قبر رسول الله ﷺ فجاء أعرابي فقال السلام عليك يا رسول الله سمعت الله يقول: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ وقد جئتك مستغفراً من ذنبي مستشفعاً إلى ربي ثم بكى وأنشأ يقول:

يا خير من دفنت في القاع أعظمه   فطاب من طيبهن القاع والأكم
نفسي فداء لقبر أنت ساكنه   فيه العفاف وفيه الجود والكرم

ثم استغفر وانصرف[1] ويروي أبو سعيد السمعاني عن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام أن أعرابياً جاء بعد ثلاثة أيام من دفن رسول الله فرمى بنفسه على القبر الشريف وحثا من ترابه على رأسه وقال يا رسول الله قلت فسمعنا قولك ووعيت عن الله ما وعيت عنك وكان فيما أنزله عليك ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ وقد ظلمت نفسي وجئتك تستغفر لي إلى ربي[2] ويجوز زيارة قبر رسول الله ﷺ لأن حقيقة الزيارة لا تعني سوى حضور الزائر عند المزور فإذا كان الموقوف عند قبر النبي والسؤال منه أن يستغفر الله لنا جائزاً فقد تحقق أمران الأمر الأول سألنا منه أن يستغفر الله لنا والأمر الثاني حضرنا عنده وتحثنا إليه والزيارة ليست إلا هذا وذكر العلامة تقي الدين السبكي في كتابه شفاء السقام في زيارة خير الأنام ذكر جملة من كلمات العلماء في استحباب الزيارة استحباباً مؤكداً والسمهودي استحباب الزيارة في كتابه وفاء الوفا.

---

(١) وفاء الوفا ج٤ ص١٣٦١ الدرر السنية لأحمد دحلان ص٢١.
(٢) الجوهر المنظم لابن حجر وذكره السمهودي في وفاء الوفا ج٢ ص٦١٢ وأحمد دحلان في الدرر السنية ص٢١.

زيارة قبر أحمد بن حنبل

أنتم تقولون من يزور القبور بكثرة آثم ومن يسافر إلى زيارة القبور آثم ومبتدع وضال فلماذا هذا القول فإنه قول باطل بدليل أن الله ينزل إلى قبر أحمد فيزور أحمد أليس هذا سفر الله أم لا فإن كان السفر لله من السماء السابعة إلى قبر أحمد فقد جعلتم لله مكان وزمان والله لا يحده لا مكان ولا زمان فإن حده مكان وزمان فهذا حادث وكل حادث مخلوق وكل مخلوق لا بد أن يرى بالعين المجردة ويلمس بالحواس الخمس فإن دعوة أحمد باطلة حين قال إن الله نزل وزارني فهذه الدعوى دعوة كفر ولا تثبت إلى الإسلام بصلة فعلى أي أساس تُكفرون من يزور القبور أو يسافر إلى قبر النبي أليس الله سافر من السماء إلى قبر أحمد أما أن تقولوا هذه دعوا كذب وتُكذبون ابن القيم أو تقرون هذا الكلام فإن قلتم ابن القيم كذب بهذه المسألة وكلامه غير صحيح من هنا نستنتج من هذا الكلام أن ابن القيم كذاب بكل شيء ومفتري والمفتري لا نقبل منه العلم ولا دين وإن قلتم إن الله زار أحمد ونزل فقد كفرتم بدعواكم هذه باعتبار جعلتم لله مكان وزمان والله لا يحده مكان وزمان روى ابن القيم الجوزي في مناقب أحمد(١) قال حدثني أبو بكر بن مكارم بن أبي يعلى الحربي وكان شيخاً صالحاً قال كان قد جاء في بعض السنين مطر كثير جداً قبل دخول رمضان بأيام فنمت ليلة في رمضان فرأيت في منامي كأني قد جئت على عادتي إلى قبر الإمام أحمد بن حنبل أزوره فرأيت قبره قد التصق بالأرض مقدار ساف(٢) أو سافين فقلت إنما تمم هذا على قبر الإمام أحمد من كثرة الغيث فسمعته من القبر وهو يقول لا بل هذا من هيبة الحق عز وجل لأنه عز وجل وقد نزل وزارني فسألته عن سر نزوله وزيارته إياي في كل عام فقال عز وجل يا أحمد

---

(١) مناقب أحمد ص٤٥٤ طبعة القاهرة مطبعة الحلبي البابي مصطفى سنة ١٣١٧.
(٢) الساف والسافة الصف من الطين أو اللبن.

لأنك نصرت كلامي فهو ينشر ويتلى في المحاريب فوقفت على حد قبره ثم قلت يا سيدي ما السر في أنه لا يقبل قبر إلا قبرك فقال لي يا بني ليس هذه كرامة لي ولكن هذه كرامة لرسول الله ﷺ لأن معي شعرات من شعره ﷺ ألا ومن يحبني يزورني في شهر رمضان قال ذلك مرتين أنتم تقولون من يقول يا رسول الله كافر فكيف هذا الشيخ الصالح يقول لأحمد يا سيدي فهذا الشيخ أيضاً كافر هذا واحد من عندكم كفر وأنتم تمنعون الناس أن تقبل قبر رسول الله ﷺ في الحج أو العمرة أو غير ذلك ومن يقترب حول القبر يقول له المطوع ابتعد يا حاج وإذا ما ابتعد في المرة الأولى يقول له المطوع ابتعد يا كافر أو يا مشرك وإذا ما ابتعد تجيء شرطة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتأخذه إلى حيث لا يعلم أجارنا الله منهم هؤلاء الجلاوزة ويقول أحمد ألا ومن يحبني يزورني في شهر رمضان مرتين ألا تكون زيارة أحمد سفر فإذا على هذه الحالة السفر جائز وإذا قلتم غير جائز كذبتم إمامكم ومن يكذب إمامه لا دين له فأنتم على أي دين على دين النبي أم على دين أحمد إذا كنتم على دين النبي تتبرؤون من الوهابية وترجعون إلى الدين الإسلامي الأصيل وهو مذهب أهل البيت عليهم السلام وإن بقيتم على دين أحمد خرجتم من أمة الإسلام أخرج الحافظ ابن عساكر في تاريخه(1) عن أبي بكر بن أنزويه قال رأيت رسول الله ﷺ في منام ومعه أحمد بن حنبل فقلت يا رسول الله من هذا فقال هذا أحمد ولي الله وولي رسول الله على حقيقة وأنفق على الحديث ألف دينار ثم قال من يزوره غفر الله له ومن يبغض أحمد فقد أبغضني ومن أبغضني فقد أبغض الله وأخرج الخطيب البغدادي عن عبد العزيز قال سمعت أبا الفرج الهندبائي يقول كنت أزور قبر أحمد بن حنبل فتركته مدة فرأيت في المنام قائلاً يقول لي تركت زيارة قبر إمام السنة(2) أقول أنتم تعترضون على الشيعة عندما يزورون أئمة أهل البيت وعندكم من يزور أحمد بن

---

(1) تاريخ ابن عساكر ج٢ ص٤٦ ط القاهرة مطبعة بولاق سنة ١٢٩٠.

(2) مناقب أحمد لابن الجوزي ص ٤٨١ مطبعة مصر مطبعة الخيرية سنة ١٣٢٠ طبقات الحنبلية ج٤ ص٤٢٣ ط لاهور من بلاد الهند مطبعة محمدية سنة ١٢٨٠.

حنبل يغفر الله له ذنوبه فكيف من يزور رسول الله ﷺ وأهل بيته الطاهرين وأنتم تعترضون علينا عندما نقول أشهد أن علياً ولي الله فكيف أحمد ولي الله ورسوله ﷺ فأقول أنتم عندكم عقدة من المقدسات الإسلامية فلذلك تعترضون على المسلمين في مقدساتهم الإسلامية.



طلب الشفاعة من الأنبياء والأولياء والصالحين

لقد حرمت الوهابية المجرمة طلب الشفاعة من الأنبياء والأولياء والصالحين وقالت إن طلب الشفاعة شرك بالله تبارك وتعالى وقالوا طلب الشفاعة هي عبادة وقالوا إن الصوفية والشيعة جعلوا رجالهم الصالحين آله يعبدون من دون الله وقالوا إن هؤلاء عندهم أصنام تعبد من دون الله تبارك وتعالى وأن طلب الشفاعة من دون الله شرك به سبحانه وتعالى وإن الشرذمة الوهابية تلجأ دوماً إلى مسألة الشرك في رد الفرق والمذاهب الإسلامية وتتهم المسلمين بالكفر ستار الدفاع عن وحدانية الله واختصاص العبادة به وأن هؤلاء الشرذمة تجاهلت وتغافلت عن الأدلة العقلية والشرعية التي تثبت حياة الأولياء بعد الموت وقالوا إن الأجساد الراقدة تحت التراب غير قادرة على الفهم والإدراك أقول وهذا طبيعي إذ أن الجسد عندما يتجرد عن الروح يبقى جماداً لا فهم له ولا إدراك ولكن النقطة المهمة هنا هو أن الذين نخاطبهم ونستشفع فهم وكما يؤكد القرآن العزيز ليس هو الجسد المدفون تحت التراب وإنما هي الروح الطاهرة والحية التي تعيش في الجسد البرزخي فلو تتمكن الأجساد المدفونة في الأرض من الإدراك والفهم فهذا لا يدل على أن أرواحها الطاهرة ونفوسها الطيبة التي هي روح حية ترزق في العالم الآخر غير قادرة على الإدراك والفهم وأن السلام والتحية والزيارة هي تلك الأرواح النورانية الخالدة وطلب الشفاعة منها فإذاً لماذا يقوم المسلمون بزيارة قبور أولياء الله وقد وردت الأحاديث الشريفة المتواترة في استحباب زيارة مراقد الأولياء وفي طليعتهم رسول الله وأهل بيته المعصومين عليهم الصلاة والسلام وأن فيها مرضاة الله وحسن ثوابه وقد ذكرنا بعض تلك الأحاديث عند البحث عن زيارة النبي ﷺ وقالت الوهابية المجرمة إن الاستشفاع بالأولياء لغو ولا فائدة فيه لكونهم موتى وقالوا المجرمين السلفية أن طلب الشفاعة من الأولياء يعتبر ألوهيةً وربوبيةً لهم أقول كلا وألف كلا إن الشفاعة من الأولياء إنما يشفعون في إطار إذن الله سبحانه وتعالى لمن يستحق الشفاعة وأن طلب الشفاعة من الميت لو كان الميت معناه عبادته لكان الطلب من

الشفيع الحي عبادة له أيضاً وأن الشفاعة يجوز أن نطلبها من النبي والأولياء والصالحين في الدنيا قبل الآخرة وإن طلب الشفاعة هو طلب الدعاء بالضبط وإن طلب الدعاء من الصالحين أمرٌ مستحب في الإسلام كقولك: (يا وجيهاً عند الله اشفع لنا عند الله) ويروي نظام الدين النيسابوري في تفسير قوله تعالى: ﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا﴾[1] يروى عن مقاتل أنه قال: (الشفاعة إلى الله إنما هي الدعوة لمسلم) وقوله تعالى: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً﴾[2] وهذه الآية تدل على حصول الشفاعة من الملائكة للمذنبين[3] وقال تعالى: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ وحكى عن نوح عليه السلام أنه قال ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾[4] وعن ابن عباس عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ما من رجل مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلًا لا يشركون بالله شيئاً إلا شفعهم الله فيه»[5] وأفرد البخاري في صحيحه باباً بعنوان إذا استشفعوا إلى الإمام ليستسقى لهم لم يردهم وأفرد أيضاً باباً آخر بعنوان إذا استشفع المشركون بالمسلمين عند القحط[6] إن الآيات القرآنية تشهد بأنه طلب النبي ﷺ المغفرة من الله لبعض عباده مفيد ونافع جداً يقول تعالى: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾[7] وقوله تعالى: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ﴾[8] وإن دعاء النبي ليس إلا شفاعة للمسلمين وجاء في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾[9] وجاء في القرآن الكريم أن أولاد يعقوب ﷺ أنهم طلبوا من

---

(١) سورة النساء آية ٨٥.

(٢) سورة غافر آية ٧.

(٣) لأن نهاية الآية قوله تعالى ﴿وقهم عذاب الجحيم﴾..

(٤) تفسير الرازي ج٧ ص٣٣و٣٤.

(٥) صحيح مسلم ج٣ ص٥٤.

(٦) صحيح البخاري ج١ ص٤٥.

(٧) سورة محمد ﷺ آية ١٩.

(٨) سورة التوبة ١٠٣.

(٩) سورة النساء آية ٦٤.

أبيهم أن يستغفر الله لهم فلبى ذلك يعقوب وجاء قوله تعالى: ﴿قَالُواْ يَـٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَـٰطِـِٔينَ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيٓ﴾(١).

وجاءت الأحاديث النبوية مصرحة بذلك روى الترمذي في صحيحه عن أنس أنه قال سألت النبي أن يشفع لي يوم القيامة فقال: «أنا فاعل» قلت فأين أطلبك قال «على الصراط»(٢) ثم يأتي سواد بن قارب إلى رسول الله ويطلب منه الشفاعة في أبيات أنشدهن منها:

فكن لي شفيعاً يوم لا ذو شفاعة   بمعن فتيلًا عن سواد بن قاربِ(٣)

وجاءت في كتب التاريخ أن رجلًا اسمه (تبع)كان قبل النبي ﷺ بأكثر من ألف سنة وكان قد بلغه أن نبي آخر الزمان سوف يظهر من مكة فكتب كتاباً ودفعه إلى بعض أقربائه كي يسلموه إلى رسول الله وجاء فيه «فإن لم أدرك فاشفع لي يوم القيامة ولا تنسني» ومات الرجل وكان الكتاب ينتقل من واحد لآخر حتى بعث النبي ﷺ فلما وصل الكتب بيده قال ثلاث مرات مرحباً بالأخ الصالح(٤) فإذا كان طلب الشفاعة شركاً بالله لما عبر النبي عن تبع بالأخ الصالح ولما قال ثلاثاً مرحباً وأن طلب الشفاعة بعد الموت يجوز كما فعل أمير المؤمنين قال ابن عباس لما فرغ أمير المؤمنين ﷺ من تغسيل النبي ﷺ قال بأبي أنت وأمي حياً وطبت ميتاً واذكرنا عند ربك(٥) ويروى أنه لما توفي رسول الله كشف أبو بكر عن وجهه وقبله وقال بأبي أنت وأمي طبت حياً وميتاً اذكرنا عند ربك فإذا لا فرق بين طلب الشفاعة من اشفع في حياته وبعد وفاته.



(١) سورة يوسف الآيتان ٩٧و٩٨.
(٢) سنن الترمذي ج٤ ص ٤٢ باب ما جاء في شأن الصراط.
(٣) الدرر السنية لزيني دحلان ص ٢٩.
(٤) نهج البلاغة رقم الخطبة ٢٣٠.
(٥) كشف الارتياب ص ٦٥.

مواليد الأنبياء والأولياء تكريماً لهم

فقد حرمة الوهابية المجرمة مواليد الأنبياء والأولياء وقد قالت إن المواليد بدعة وشرك وقد خطى ابن تيمية ومحمد بن عبد الوهاب هذه الخطوة المشؤومة تجاه الأنبياء والأولياء والصالحين وتضمر الوهابية الحقد الدفين والعداء البغيض لأولياء الله وقادة الإسلام حيث إنها تمنع من إقامة الاجتماعات في مواليدهم ووفياتهم يقول الوهابي محمد حامد الفقي رئيس جماعة أنصار السنة المحمدية في حواشيه على كتاب الفتح المجيد الذكريات التي ملأت البلاد باسم الأولياء هي من نوع العبادة لهم وتعظيمهم[1] والعلة الأساسية في كل هذه الانحرافات هي أن الوهابيين لم يحددوا معنى التوحيد والشرك والعبادة والبدعة والكفر حتى الآن ولهذا فهم يعتبرون كل تكريم لأولياء الله عبادة لهم وشركاً بالله ففرق بين كلمتي العبادة التعظيم وذكرهما بازاء الأخر ظناً منه أن المعنى فيهما واحد وتكريم وتعظيم أولياء الله ليس عبادة لهم أبداً والحديث حول جواز تكريم مواليد الأولياء ووفياتهم على ضوء القرآن الكريم والقرآن الكريم ذكر الأنبياء بكلمات المدح والثناء والتجليل والاحترام يقول الله بالنسبة إلى نبي الله زكريا ويحيى وغيرهما ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾[2] ويقول الله بالنسبة إلى أهل البيت عليهم السلام ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾[3] فإذا أقيم حفل تكريم لهؤلاء الأنبياء ووقف خطيب يتحدث عنهم بمثل ما جاء في القرآن الكريم من كلمات المدح والثناء لهم وذكرهم بالتجليل والاحترام فهل ارتكب خطيئة بذلك سوى أنه اقتدى بالقرآن الكريم فإذا اجتمع شيعة الإمام علي

---

(١) الفتح المجيد ص ١٥٤.

(٢) سورة الأنبياء آية ٩٠.

(٣) سورة الإنسان آية ٨.

أمير المؤمنين عليه السلام في يوم ميلاده الشريف وقال خطيبهم إن هذا الإمام هو من أُولئك الذين قدموا طعامهم للمسكين واليتيم والأسير فهل هذا يعني أنهم عبدوه وهكذا الحال بالنسبة إلى ميلاد رسول الله صلى الله عليه وآله فإذا أقمنا احتفالًا عظيماً يوم ميلاده السعيد وتحدثنا فيه عن الآيات القرآنية التي امتدحت النبي صلى الله عليه وآله وذكرنا معنى تلك الآيات في قوالب شعرية أو ما شابه ذلك نكون عاصين بهذا العمل إن الوهابيين هم أعداء تكريم الأنبياء والأولياء ويلبسون عداءهم هذا بلباس الدين فيقولون إن التكريم بدعة منعاً من إقامته بين المسلمين وإن الموضوع الذي تثيره الوهابية وتهرج ضده في أبواقها الإعلامية هو أن الاحتفال بذكرى الأولياء بما أنه يقام باسم الإسلام يجب أن يقره الإسلام بنص خاص أو عام وإلا فهو بدعة وحرام يا للعجب إن الوهابية يعظمون شخصياتهم وإهداءهم أكبر تعظيم تعظيماً يعتبرون جزءاً منه بدعة وشركاً إذا كان للنبي أو منبره ومحرابه صلى الله عليه وآله وابن باز يعتبر المولد بدعة وشرك وأنا أقول لابن باز ألا تعتبر لقب أمير المؤمنين الذي لقبته لملك فيصل في فترة حكومته بأمير المؤمنين ومما أثار سخط واشمئزاز لهذا في الأوساط كلها حتى الملك نفسه أعرب عن عدم استحقاقه لهذا اللقب ألا يعتبر هذا بدعة وإن الوهابية بهذه العقائد الجافة تشوه سمعة الإسلام أمام الرأي العام العالمي وتعرفه ديناً عارياً من كل عاطفة وفاقداً للمشاعر الإنسانية وناقصاً عن كل تكريم واحترام ورافضاً لتكريم عظمائه وقادته بهذا انتفر الناس من الإسلام وتركهم في رفض واشمئزاز منه والإسلام الذي جعله الله ديناً سهلًا يتجاوب مع الفطرة البشرية ويتماشى مع العاطفة الإنسانية ويجذب بجماله وروعته الشعوب والأمم إلى اعتناقه والعجب من هؤلاء الوهابيين كيف يحرمون الاحتفال بالنبي صلى الله عليه وآله وبيوم ميلاده المبارك ذلك النبي الذي أسدى إلى البشرية عامة أعظم العطاء الزاخر الدائم ويعدون الاحتفاء به والاحتفال بميلاده شركاً ولكنهم يقيمون الاحتفالات الضخمة تشييداً لرجالهم وأمرائهم وينفقون في هذا السبيل ملايين الرايات تقديراً لخدماتهم كما يزعمون انظر إلى العدد ١٠٢ من مجلة الفيصل التي تصدر في طباعة أنيقة جداً في السعودية فهو يحتوي على تقرير مفصل عن الاحتفالات الكبرى التي أقامتها

سلطات الاحتلال السعودي بمناسبة عودة الأمير سلطان من الرحلة الفضائية في المركبة (ديسكفري) ويحتوي هذا العدد على صور كثيرة تنبئ عن حجم المبالغ الطائلة التي صرفت في تلك الاحتفالات وقد نشرت الكلمات والقصائد التي ألقيت في تلك الاحتفالات وتقرأ فيها المدح المفرط والثناء المسرف لآل سعود عامة ولأمير خاصة وهل يستحق أمير لم يفعل شيئاً سوى أنه رافق مجموعة من الأجانب الغربيين في رحلة فضائية أعدها الأمريكيون هل يستحق هذا الاحتفال والتكريم وصرف الأموال الطائلة وهدر الطاقات والنشاط فيما لا فائدة فيه ولا يستحق رسول الله ﷺ الذي أخرج الناس من الظلمات إلى النور وحلق بهم في سماء الكمالات المعنوية والفضائل النفسية والصفات العالية وأنقذهم من كل سوء وانحطاط ألا يستحق رسول الإسلام أن تخلد ذكرى مولده الشريف تشرح مناقبه وفضائله وإنجازاته العظيمة وعطاؤه الزاخر وخدماته الجليلة وجهاده وجهوده وكيف لا يجوز مدح النبي ﷺ وإلقاء القصائد في فضله وعظمته ويجوز مدح آل سعود والأمراء الفسقة الذين ليسوا إلا وبالاً على المجتمع وضرراً على الأمة ما هذا التناقض بين القول والعمل الذي يقع فيه الوهابيون دائماً لماذا يمنعون إقامة الاحتفالات بمولد النبي الأكرم بحجة أنه لم يرد في الشرع الإسلامي ولكنهم يقيمون أعظم الاحتفالات والمهرجانات لرجالهم السياسيين قال تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾[١].



(١) سورة البقرة آيتان ١٤-١٥.

هل تجوز الصلاة عند القبور والدعاء؟

ومسألة الصلاة عند القبور والدعاء عندها من المسائل التي تثيرها الوهابية وتقول لفاعلها مشرك ومن اتجه إلى حجرة النبي ﷺ عند الدعاء فالأولى منعه كما هو معروف عند ابن تيمية ومحمد بن عبد الوهاب وإن أصر على البقاء اعتبره كافر لماذا يقولون هذا الكلام يعتبرونه أنه يعبد النبي ﷺ ويصلي له وفي الحقيقة ليس هناك من يعبد النبي أو ولي أو رجل صالح فإن فكرة الشرك هذه ليست سوى وهماً وخيالًا يتخبط فيه الوهابيون وإن هدف المسلمين من إقامة الصلاة عند القبور والدعاء عند الأنبياء والأولياء هو التبرك بذلك المكان الذي احتضن حبيباً من أحباء الله وأن ذلك المكان يتمتع بمنزلة سامية لكونه يضم حسد عزيز من أعزاء الله ولذلك فالصلاة والدعاء هناك يعود بثواب أكثر على فاعله وهناك ما يدل على صحة أفعالهم من القرآن والأحاديث وفي قصة أصحاب الكهف نظر وهذا النظر ما هو جاء قول الله عز وجل: ﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾ وأن الهدف الذي دعاهم إلى اتخاذ مدفنهم مسجداً إنما كان من أجل أداء الفرائض الدينية فيه(١) أن أولئك هكذا كانوا يتفكرون إن هذا المكان صار ذا كرامة وشرف بسبب احتضانه لأجساد مجموعة من عباد الله الصالحين ولذا من تبرك به باتخاذه مسجداً للصلاة والعبادة لله سبحانه لنيل الثواب الأكثر وإن القرآن الكريم يأمر حجاج بيت الله الحرام بأن يقيموا الصلاة عند مقام إبراهيم الخليل (عليه الصلاة والسلام) وهي الصخرة التي وقف عليها إبراهيم لبناء الكعبة فيقول سبحانه: ﴿وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ ومن يقرأ هذه الآية يفهم بوضوح أن الصلاة إنما وجبت بسبب مقام النبي إبراهيم هو الذي منح الفضيلة والكرامة لذلك المكان وترى ملايين المسلمين يتخذون من

---

(١) يقول الزمخشري في تفسير الكاشف في تفسير الآية يصلي فيه المسلمون ويتبركون بمكانهم ويقول النيسابوري أيضاً يصلي فيه المسلمون ويتبركون بمكانهم.

مقام إبراهيم مكاناً للصلاة والدعاء وينبغي أن نكون كذلك بالنسبة إلى مثوى رجال الله وقادة الإسلام لقد سأل المنصور العباسي الدوانيقي من مالك بن أنس إمام المالكية وهما في مسجد رسول الله ﷺ فقال يا أبا عبد الله استقبل القبلة وادعوا أم أستقبل رسول الله فقال مالك لم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم إلى الله يوم القيامة بل أستقبله وأستشفع به فيشفعك الله(١) وسؤال المنصور من الإمام مالك إنما كان عن رجحان الدعاء إلى جهة القبلة أم إلى جهة قبر الرسول ﷺ ويفتي مالك بأن التوجه إلى قبر الرسول إنما هو كالتوجه إلى القبلة فإذا كانت الصلاة محرمة عند القبور والدعاء فلماذا عائشة قضت كل عمرها وحباتها بالصلاة في البيت الخاص بها عند قبر رسول الله ﷺ ولماذا ما اعترض رسول الله على ابنته فاطمة حين تخرج إلى قبر عمها حمزة كل جمعة فتصلي وتبكي عنده ولو كان الأمر مخالف للإسلام لمنع رسول الله فاطمة ولو كان الأمر مخالف للإسلام لتركت عائشة البيت وذهبت إلى مكان آخر ولكن هؤلاء خدمة اليهود والنصارى بتكفيرهم لمسلمين وتشويشهم على المسلمين يخدمون الاستعمار ويخدمون اليهود ومن يخدم اليهود والاستعمار لا نقبل منه كلام ولا دين ومعرفة بل نجعل لعائنه عليه وعلى من اتبعه ولو كانت الصلاة والدعاء عند القبور حرام وشرك لكانت الوهابية الفاسقة المشركة بدليل أبو عبد الله محمد بن علي بن عبد الله الصوري الحنبلي قال زرت مع ابن تيمية قبر أحمد وفوضع يده على قبر ومسحها بلحيته وصلى ركعتين ودعى الله وبكى حتى احمرت وجنتيه فقلت يا شيخ الإسلام أتصلي عند قبر أحمد وتبكي وأنت القائل بتحريم ذلك قال بلى ولكن عند أحمد تجوز الصلاة لأن شعرتي النبي معه في القبر وهو الذي حمى السنة من التحريف وهذا يجوز عنده أن أفعل هكذا (٢).

---

(١) وفاء الوفا ج٤ ص١٣٧٦.

(٢) سقام الشفا بتعريف حقوق المصطفى ج٢ ص٩٢ و٩٣.

استعمالات البدعة في الحادثة المذموم

ورد أن رجل قد أخبر عبد الله بن مسعود بأن قوماً يجلسون في المسجد بعد المغرب فيهم رجل يقول كبروا الله كذا وكذا وسبحوه كذا وكذا واحمدوه كذا وكذا فقال عبد الله بن مسعود للرجل فإذا رأيتهم فعلوا ذلك فائتني فأخبرني بمجلسهم فأتاهم الرجل فجلس فلما سمع ما يقولون قام فأتى ابن مسعود فأخبره فجاء ابن مسعود وكان رجلًا حديداً فقال أنا عبد الله بن مسعود والله الذي لا إله غيره لقد جئتم ببدعة ظلماً ولقد فضلتم أصحاب محمد ﷺ علماً فقال عمر وابن عتبة استغفر الله فقال عبد الله عليكم الطريق فألزموه ولئن أخذتم يميناً وشمالًا لتضلن ضلالًا بعيداً[1] فبغض النظر عن طبيعة الأسلوب الذي عالج به عبد الله بن مسعود هذه الحادثة التي لم يكن لها سابق مثال في حياة الرسول ﷺ وأصحابه نجد أنه قد استعمل لفظ البدعة في مورد ألزم وعد انحراف الإنسان عن طريق الحق نحو اليمين أو الشمال بدعة وضلالًا بعيداً والظاهر من الحديث أن هذا المعنى البدعة هو المرتكز في أذهان القوم آنذاك روي عن ابن مسعود أيضاً انه قال اتبعوا آثارنا ولا تبتدعوا فقد كفيتم[2] وروي أيضاً عن ابن مسعود أنه قال إن الله عند كل بدعة كيد بها الإسلام ولياً من أولياء يذب عنها وينطق بعلامتها فاغتنوا حضور تلك المواطن وتوكلوا على الله[3] فاستعمال لفظ البدعة مذمومة واضح في الحديث عد البدعة مما يُكاد به الإسلام وأن لله تعالى في كل زمن ولياً يدافع عن الإسلام ويذب هذه المحدثات عنه ولعل كلام ابن مسعود هذا مستفاد من قوله ﷺ إن الله عند كل بدعة تكون بعدي يكاد بها الإيمان ولياً من أهل بيتي موكلًا به يذب عنه ينطق بإلهام

(١) ابن الجوزي تلبيس إبليس تحقيق د الجميلي ص ٢٥.
(٢) ابن وضاح القرطبي البدع والنهي عنها تصحيح وتعلق محمّد أحمد دهمان ص ١٠.
(٣) ابن وضاح القرطبي البدع والنهي عنها ص ٤.

من الله ويعلن الحق وينوره ويرد كيد الكائدين ويعبر عن الضعفاء فاعتبروا يا أولي الأبصار وتوكلوا على الله[1] وعن عبد الله بن الحلبي عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليه السلام إنهما قالا حج عمر أول سنة حجج وهو خليفة فحج تلك السنة المهاجرين والأنصار وكان علي عليه السلام قد حج تلك السنة بالحسن والحسين عليهما السلام وبعبد الله ابن جعفر قال فلما أحرم عبد الله لبس إزاراً ورداءً ممشقين مصبوغين بطين المشق ثم أتى فنظر إليه عمر وهو يلبي وعليه الإزار والرداء وهو يسير إلى جنب علي عليه السلام فقال عمر من خلفهم ما هذه البدعة التي في الحرم فالتفت إليه علي عليه السلام فقال له يا عمر لا ينبغي لأحدٍ أن يعلمنا السنة فقال عمر صدقت يا أبا الحسن لا والله ما علمت أنكم هم[2] فنرى في هذا الحديث أن عمر يستعمل لفظ البدعة في مورد ألزم بنظره إلا أن أمير المؤمنين عليه السلام يبين له أن هذا العمل ليس ببدعة كما يتصور وإنما هو من صميم السنة فيعتذر لأجل ذلك وينسحب كما تفوه به من كلام روى البخاري عن مجاهد أنه قال دخلت أنا وعروة بن الزبير المسجد صلاة الضحى قال فسألناه عن صلاتهم فقال بدعة[3] وقال في فتح الباري بصدد عدد الأقوال الواردة في صلاة الضحى وهي سنة السادسة إنها بدعة صح ذلك من رواية عروة عن ابن عمر وسُئل أنس عن صلاة الضحى فقال الصلوات خمس وعن أبي بكرة أنه رأى ناساً يصلون الضحى فقال ما صلاها رسول الله ولا عامة أصحابه[4] وهذا يدل أن الاستعمال كان في مورد الذم وأنه في خصوص الأمر الذي يدخل إلى الدين من دون أن يستند إلى أصل شرعي من خلال إطلاق لفظ البدعة في كلام عبد الله بن عمر قال الشاطبي في الاعتصام وأخرج أبو داود وغيره عن معاذ بن جبل أنه قال يوماً إن من ورائكم فتناً يكثر فيها المال ويفتح فيها القرآن حتى يأخذه المؤمن والمنافق والرجل والمرأة والصغير والكبير والعبد والحر

---

(١) محمد باقر المجلسي بحار الأنوار ج٢ كتاب العلم باب ٣٤ حديث ٧٩ ص٣١٥.

(٢) تفسير العياشي ج٢ ص ٣٨.

(٣) البخاري ج٢ كتاب الحج باب العمرة ج٤ ص ١٩٨و ١٩٩.

(٤) ابن حجر العسقلاني فتح الباري بشرح صحيح البخاري ج٣ ص ٥٥.

فيوشك قائل أن يقول ما للناس لا يتبعوني وقد قرأت القرآن ما هم بمتبعي حتى ابتدع لهم غيره وإياكم وما ابتدع فإن ما ابتدع ضلالة[١] فاستعملت البدعة هنا أيضاً مذمومة وأطلق القول بأن كل ما ابتدع وأحدث فهو ضلالة نقل ابن وضاح عن حذيفة انه أخذ حجرين من النور قالوا يا أبا عبد الله ما نرى بينها من نور إلا قليلًا قال والذي نفسي بيده لتظهرن البدع حتى لا يرى من الحق إلا بقدر ما بين هذين الحجرين من النور والله لتفشون البدع حتى إذا ترك منها شيء قالوا تركت السنة[٢] وأخرج ابن وضاح عن ابن عباس أنه قال ما يلي على الناس من عام إلا أحدثوا فيه بدعة وأماتوا سنة حتى تحيى البدع وتموت السنن[٣] وعنه أيضاً أنه قال عليكم بالاستفاضة والأثر وإياكم والبدع[٤] ولسان المقولين واضح في ضم البدع وعدها في مقابل السنة والتحذير منها وهذا يعني أنها استعملت في كلام ابن عباس في مورد ألزم أيضاً قال الكاندهلوي في حياة الصحابة اخرج الطبراني عن عمر بن زرارة قال وافق عليَّ عبد الله يعني ابن مسعود وأنا أقص فقال يا عمرو لقد ابتدعت بدعة ضلالة أو أنك لأهوى من محمد ﷺ وأصحابه ولقد رأيتهم تفرقوا عني حتى رأيت مكاني ما فيه أحد [٥]والكلام في قول ابن مسعود لقد ابتدعت بدعة ضلالة كالكلام في قول النبي الأكرم ﷺ ومن ابتدع بدعة ضلالة[٦] وقد تقدم القيد لا يدل على مفهوم ولا يخرج البدعة عن أصل وضعها لخصوص الموارد الحادثة المذمومة وروي عن أيوب السجيتاني أنه قال ما ازداد صاحب بدعة اجتهاداً إلا ازداد من الله بعداً[٧] وروي عن يحيى بن أبي عمر الشيباني أنه قال كان يقال

---

(١) أبو إسحاق الشاطبي الاعتصام ج١ ص ٨٢.
(٢) ابن وضاح القرطبي البدع والنهي ص ٥٨.
(٣) ابن وضاح القرطبي البدع والنهي ص ٣٩.
(٤) أبو إسحاق الشاطبي الاعتصام ج١ ص ٨١.
(٥) الكاندهلوي حياة الصحابة ج٤ ص ٧٧.
(٦) الدارمي سنن الدارمي ج٥ كتاب العلم باب ١٦ حديث ٢٦٧٧ ص ٤٤.
(٧) ابن الوضاح القرطبي البدع والنهي عنها ص ٢٧.

يأبى الله لصاحب بدعة بتوبة وما انتقل صاحب بدعة إلا إلى أشرس منها[1] وروي عن مالك أنه كثيراً ما كان ينشد:

وخير أُمور الدين ما كان سنةً وشر الأمور المحدثات البدائع [2]

وروي عن عمر بن عبد العزيز أنه لما بايع الناس صعد المنبر فقال (ألا وأني لستُ بمبتدع ولكني متبع[3] وقال عروة بن أذينة يرثه:

ففي كل يوم كنت تهدم بدعةً وتبني لنا من سنةٍ ما تهدما [4]

إن لفظ البدعة قد استعمل في موارد الذم بشكل واضح وصريح وأن البدعة لم تستعمل في محاورات المتشرعة إلا مذمومة وأنهم إنما تلقوا هذا المعنى من الشريعة وتعملوا معه على هذا الأساس ولم يحتملوا أن البدعة في الاصطلاح الشرعي يمكن أن تطبع على الحادث الممدوح.



(١) أبو إسحاق الشاطبي الاعتصام ج١ ص ٨٥.
(٢) أبو إسحاق الشاطبي الاعتصام ج١ ص ٥٠٨.
(٣) أبو إسحاق الشاطبي الاعتصام ج١ ص ٨٦.
(٤) أبو إسحاق الشاطبي الاعتصام ج١ ص ٩٠.

البدعة تعني الغش والضلال واتباع الأهواء

ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من غش من أمتي فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين» قالوا يا رسول الله وما الغش فقال ﷺ: «أن يبتدع لهم بدعة فيعملوا بها»(١) وعنه ﷺ قال: «إن أحسن الحديث كتاب الله وخير الهدي محمد وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة»(٢) وعن أبي جعفر الباقر عليه السلام في قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾(٣) قال عليه السلام هم النصارى والقسيسون والرهبان وأهل الشبهات والأهواء من أهل القبلة والحرورية وأهل البدع(٤) وقال الإمام الباقر عليه السلام في قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ﴾(٥) قال عليه السلام: هؤلاء أهل بدعة والشبهات والشهوات يسود وجوههم ثم يلقونه(٦).

البدعة أدنى مراتب الكفر والشرك

وعن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال وأدنى ما يكون به العبد كافراً من زعم أن شيئاً نهى الله عنه أمر به وإنما يعبد الشيطان(٧) وعن الحلبي قال قلت لأبي عبد

---

(١) كنز العمال ج١ ص ٢٢٢ حديث ١١٨.
(٢) محمد باقر المجلسي بحار الأنوار ج٢ باب ٣٤ حديث ٣١ ص ٣٠١.
(٣) سورة الكهف آيتان ١٠٣-١٠٤.
(٤) علي بن إبراهيم القمي تفسير القمي ج٢ ص ٤٦.
(٥) سورة يونس آية ٢٧.
(٦) علي بن إبراهيم القمي تفسير القمي ج١ ص ٣١١.
(٧) محمد بن يعقوب الكليني الأصول من الكافي ج٢ باب أدنى ما يكون به العبد مؤمناً أو كافراً أو ضالاً ج١ ص ٤١٤.

الله عليه السلام ما أدنى ما يكون به العبد كافراً فقال عليه السلام أن يبتدع الرجل شيئاً فيتولى عليه ويبدأ ممن خالفه(١) وقال أبو جعفر الباقر عليه السلام أدنى الشرك أن يبتدع الرجل رأياً فيحب عليه ويبغض (٢).

البدع موارد وتطبيقات

وردت في النصوص الإسلامية عدة تطبيقات على موارد معينة كانت تجسد بوضوح ظاهرة الابتداع كما ورد أيضاً نفي الابتداع عن موارد أخرى وسوف نستعرض أمثلة تاريخية لكلا القسمين لكي نتمكن من خلال ذلك أخذ صورة واقعية عن طبيعة هذه التطبيقات والحدود التي تمت فيها فأما الموارد التي ورد فيها تطبيق معنى الابتداع فهي كثيرة سوف نتجنب للقارئ الكريم بعض النماذج البارزة لها طبق رسول الله صلى الله عليه وآله (البدعة) على عملية إكراه الناس للدخول في الإسلام حيث إن الله تعالى لم يأمر بذلك فيكون تطبيقاً لما ليس له أصل في الدين فقد ورد عن علي عليه السلام أنه قال إن المسلمين قالوا لرسول الله لو أكرهت يا رسول الله من قدرت عليه من الناس على الإسلام لكثر عددنا وقوينا على عدونا فقال رسول الله صلى الله عليه وآله ما كنت لألقى عز وجل بسرعة لم يحدث إلي فيها شيئاً وما أنا من المتكلفين فأنزل الله عز وجل عليه يا محمد ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا﴾(٣) على سبيل الإلجاء والاضطرار في الدنيا كما يؤمنون عند المعاينة ورؤية البأس في الآخرة ولو فعلت ذلك بهم لم يستحقوا مني ثواباً ولا مدحاً لكني أُريد منهم أن يؤمنوا مختارين غير مضطرين ليستحقوا مني الزلفى والكرامة ودوام الخلد(٤) ﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ﴾(٥).

---

(١) محمد باقر المجلسي بحار الأنوار ج٢ باب ٣٤ حديث ٣٣ ص ٣٠١.
(٢) أبو جعفر الصدوق ثواب الأعمال وعقابها تحقيق علي أكبر الغفاري ص ٥٨٧ ج٣.
(٣) سورة يونس آية ٩٩.
(٤) أبو جعفر الصدوق التوحيد باب ٥٥ ج١١ ص ٣٤٢.
(٥) سورة يونس آية ٩٩.

طبق رسول الله ﷺ (البدعة) على قيام نافلة شهر رمضان جماعة في لياليه وهو المسمى بصلاة (التراويح)وطبقها كذلك على صلاة (الضحى) باعتبار أنه ﷺ لم يشرع ذلك للمسلمين بل وقد ورد عنه النهي عن ذلك فقد ورد عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنه قال: صوم شهر رمضان فريضة والقيام في ليلته بدعة وما صلاها رسول الله ﷺ في لياليه بجماعة ولو كان خيراً ما تركه وقد صلى في بعض ليالي شهر رمضان وحده فقام خلفه فلما أحس بجماعة بهم دخل بيته فعل ذلك ثلاث ليالٍ فلما أصبح بعد ثلاث صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه قال أيها الناس لا تصلوا النافلة ليلًا في شهر رمضان ولا غيره فإنها بدعة ولا تصلوا الضحى فأنها بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة سبيلها إلى النار ثم نزل وهو يقول: «قليل في سنة خير من كثير في بدعة»[1].

طبق (البدعة في كلام أمير المؤمنين علي عليه السلام على فعل أهل النهروان الذين حاربوا وخرجوا عليه بغير حق ففي حديث طويل يحاور فيه (ابن الكواء) أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال يا أمير المؤمنين أخبرني عن قول الله عز وجل ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾[2] فقال عليه السلام كفرة أهل الكتاب اليهود والنصارى وقد كانوا على الحق فابتدعوا في أديانهم وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً ثم نزل عليه السلام عن المنبر وضرب بيده على منكب(ابن الكواء) ثم قال يا ابن الكواء وما أهل النهروان منهم ببعيد فقال يا أمير المؤمنين ما أريد غيرك ولا أسأل سواك قال الراوي فرأينا (ابن الكواء) يوم النهروان فقيل له ثكلتك أمك بالأمس كنت تسأل أمير المؤمنين عليه السلام عما سألته وأنت اليوم تقتله فرأينا رجلًا حمل عليه فطعنه فقتله[3] طبق أمير المؤمنين عليه السلام

(١) محمد باقر المجلسي بحار الأنوار ج٩٤٣ ج٤ ص ٣٨١ عن كتاب دعائم الإسلام ج١ ص ٢١٣.
(٢) سورة الكهف آيتان ١٠٣ - ١٠٤.
(٣) أحمد بن علي الطبرسي الاحتجاج ج١ ص ٦١٧ وقال في هامش الاحتجاج ونحوه في التبيان ٣٧٨/٩ والعياشي ج٣ ص ٢٨٣ والمجلسي ج١٠ ص ١٢١.

(البدعة) على الخوض في أمر القدر والجدل في الأمور الاعتقادية التي تكون منشأً للاختلاف وسبباً لفرقة المسلمين وتمزيق وحدتهم وذلك عندما مر على قوم من أخلاط المسلمين ليس فيهم مهاجري ولا أنصاري وهو قعود في بعض المساجد في أول يوم شعبان وإذا هم يخوضون في أمر القدر مما اختلف الناس فيه قد ارتفعت أصواتهم واشتد فيه جدالهم فوقف عليهم وسلم فردوا عليه ووسعوا له وقاموا إليه يسألونه القعود إليهم فلم يحفل ثم قال لهم وناداهم (يا معشر المتكلمين ألم تعلموا أن لله عباداً قد أسكتتهم خشيته من غير عي ولا بكم فأين أنتم منهم يا معشر المبتدعين ألم تعلموا أن علم الناس بالضرر أسكتهم عنه وأن أجهل الناس بالضرر أنطقهم فيه[(١)] طبقت (البدعة) على قول المؤذن (الصلاة خير من النوم) وعده جزءاً من الأذان الشرعي وذلك باعتبار أنَّ هذا القول ليس له أصل في الدين فقد ورد عن أبي الحسن عليه السلام أنه قال (الصلاة خير من النوم بدعة بني أُمية وليس ذلك من أصل الأذان ولا بأس إذا أراد الرجل أن ينبه الناس للصلاة أن ينادي بذلك ولا يجعله من أصل الأذان فأنّا لا نراه أذاناً[(٢)] طبقت (البدعة) على الأذان الثالث يوم الجمعة الذي أحدثه عثمان بن عفان ولم يكن له أية صلة بالتشريع فقد ورد عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال الأذان الثالث يوم الجمعة بدعة[(٣)] طبقت(البدعة)على الجدال في القرآن بغير علم فعن الكليني قال كتب أبو الحسن الثالث إلى بعض شيعته ببغداد بسم الله الرحمن الرحيم عصمنا الله وإياك من الفتنة فأن يفعل فأعظم بها نعمة وألا يفعل فهي الهلكة نحن نرى أن الجدال في القرآن بدعة اشترك فيها السائل والمجيب فتعاطى السائل ما ليس له وتكلف المجيب ما ليس عليه وليس الخالق إلا الله وما سواه مخلوق[(٤)] هذا بالنسبة إلى تطبيق (البدعة) على بعض

---

(١) محمد باقر المجلسي بحار الأنوار ج٣ باب ٩ ج٣٠ ص ٢٦٦.
(٢) محمد باقر المجلسي بحار الأنوار ج٨١ باب ١٣ ح٧٦ ص ١٧٢.
(٣) محمد باقر المجلسي بحار الأنوار ج٨ باب ١٠ ح ٢٦ ص ١١٤ عن الكافي ج٣ ص ٤٢١ والتهذيب ج١ ص ٢٥٠.
(٤) محمد باقر المجلسي بحار الأنوار ج٨٩ باب ١٤ ح٤ ص ١١٨ عن أهالي الصدوق ص ٣٢٦.

الموارد البارزة لها في لسان الروايات كما جاء أيضاً نفي الابتداع عن موارد أُخرى لعدم انطباق حدود المفهوم عليها ولما تمتلك من أصول دينية مشروعة فمن تلك الموارد أنه نفى الابتداع عن سجدة الشكر بعد الفريضة باعتبار ارتباط هذا العمل بالدين ووجود أصل له فيه فقد سأل محمد بن عبد الله الحميري من صاحب الزمان عليه السلام عن سجدة الشكر بعد الفريضة هل يجوز أن يسجدها الرجل بعد الفريضة فإن بعض أصحابنا ذكر أنها (بدعة) فأجاب عليه السلام سجدة الشكر من ألزم السنن وأوجبها ولم يقل أنَّ هذه السجدة بدعة إلا من أراد أن يحدث في دين الله بدعة[1] أنه نفى الابتداع عن إظهار البسملة باعتبار وجود أصل لها في التشريع فعن خالد بن المختار قال سمعت جعفر بن محمد عليه السلام يقول ما لهم قاتلهم الله عمدوا إلى أعظم آية في كتاب الله فزعموا أنها بدعة إذا أظهروها وهي بسم الله الرحمن الرحيم[2].



(١) أحمد بن علي الطبرسي الاحتجاج ج٢ ص ٥٧٦.
(٢) محمد باقر المجلسي بحار الأنوار ج٨٢ كتاب الصلاة باب ٢٣ ح١٠ ص ٢١ عن تفسير العياشي ج١ ص ٢١.

التحذير من البدع وذمها

قال رسول الله ﷺ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»[1] وقال النبي أيضاً: «الأمر المفظع والحمل المضلع والشر الذي لا ينقطع إظهار البدع»[2] وقال النبي: «اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم»[3] وقال الرسول المقدس: «إياكم والبدع فإن كل بدعة ضلالة وكل ضلالة تسير إلى النار»[4] وقال: «من غش من أمتي فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين» قالوا يا رسول الله وما الغش فقال: «إن يبتدع لهم بدعة فعملوا بها»[5] وقال النبي الأقدس: «لا يُقبل قول إلا بعمل ولا يقبل قول وعمل إلا بنية ولا يقبل قول وعمل ونية إلا بإصابة السنة»[6] وقال النبي ﷺ: «ألا وكل بدعة ضلالة ألا وكل ضلالة في النار»[7] وعن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قال ما أحدثت بدعة إلا ترك بها السنة فاتقوا البدع وألزموا المهيع[8] وأن عوازم الأمور أفضلها وأن محدثات شرارها[9] وعن علي عليه السلام قال إن الله بعث رسولاً هادياً بكتاب ناطق وأمر قائم لا يهلك وأن المبتدعات المشبهات هن المهلكات إلا ما حفظ الله منها[10].

---

(١) كنز العمال ج١ ص ٢١٩ حديث ١١٠١.

(٢) كنز العمال ج ١ ص ٢١٨ حديث ١٠٩٣.

(٣) كنز العمال ج ١ ص ٢٢١ حديث ١١١٢.

(٤) كنز العمال ج ١ ص ٢٢١ حديث ١١١٣.

(٥) كنز العمال ج ١ ص ٢٢٢ حديث ١١١٨.

(٦) بحار الأنوار ج١ ص ٢٦١ حديث ٣٢.

(٧) بحار الأنوار ج٢ ص ٢٦٣ حديث ٣٢.

(٨) نهج البلاغة ج٣ ص ١٤٥.

(٩) و(١٠) نهج البلاغة ج٣ ص ٥٠.

القائلين بتقسيم البدعة

روى البيهقي بإسناده عن الشافعي أنه قال (المحدثات من الأمور ضربان أحدهما ما أُحدث مما يخالف كتاباً أو سنة أو أثراً أو إجماعاً فهذه البدعة ضلالة والثاني ما أحدث من الخير لا خلاف فيه لواحد من العلماء وهذه محدثة غير مذمومة وقال عمر في قيام شهر رمضان نعمة هذه[(1)] قال الربيع معقباً على ذلك وقد استند في كلا التعبيرين إلى قول عمر في صلاة التراويح نعمت البدعة هذه[(2)] وقال ابن حزم بصدد تقسيم البدعة في الدين كل ما لم يأت في القرآن ولا عن رسول الله إلا أن منها ما يؤجر عليه صاحبه ويعذر بما قصد إليه من الخير ومنها ما يؤجر عليه صاحبه ويكون حسناً وهو ما كان أصله الإباحة كما روي عن عمر نعمة البدعة هذه[(3)] وقال ابن الأثير في جامع الأصول عن هذا التقسيم فأما الابتداع من المخلوقين فإن كان ما أمر الله به ورسوله فهو في حيز الذم والإنكار وإن كان واقعاً تحت عموم ما ندب الله إليه وحض عليه أو رسوله فهو في حيز المدح وإن لم يكن مثاله موجوداً كنوع من الجود والسخاء وفعل المعروف ويعضد ذلك قول عمر بن الخطاب في صلاة التراويح نعمة البدعة هذه[(4)].

وقال الجاكمودي في قصيدته:

فبدعة فعلك ما لم بعهد   في عهد سيد الورى محمد
قد قسمت كالخمسة الأحكام   من الوجوب الندب والحرام

---

(1) النووي تهذيب الأسماء واللغات قسم اللغات ج ١ ص ٢٣ انظر ابن حجر العسقلاني فتح الباري بشرح صحيح البخاري ج ١٣ ص ٢٥٣.
(2) سعيد حوى الأساس في السنة وفقهها العقائد الإسلامية ص ٣٥٩.
(3) سعيد حوى الأساس في السنة وفقهها العقائد الإسلامية ص ٣٥٩.
(4) ابن الأثير جامع الأصول في أحاديث الرسول ج١ ص ٢٨٠ و٢٨١.

كـذاك مـكـروه وجـائـز تـمـام • قـد قـالـه عـز بـن عـابـد الـسـلام
فـكـل بـدعـة ضـلالـة حـمـل   على التي قد حرمت فقط نقل
مـن بـدع واجـبـة تـعـلـم   الـنـحـو إذ بـه الـكـتـاب يـفـهـم
ومـثـلوا الـحـرام فـي الـمـكـاتـب   كـالـقـدريـة مـن الـمـذاهـب
وغـنـمـا زخـرفـة الـمـسـاجـد   مـن بـدع مـكـروهـةٍ لـلـعـابـد
ومـثـلوا الـمـنـدوب كـاجـتـمـاع   عـنـد الـتـراويـح بـلا نـزاع [1]

عز الدين بن عبد السلام وقد بالغ في التقسيم (البدعة) وسحب عليها الأحكام الشرعية الخمسة قصده(الجاكمودي) في أبياته المتقدمة فيقول في أواخر (القواعد) البدعة خمسة أقسام فالواجبة كالاشتغال بالنحو الذي يفهم به كلام الله ورسوله لأن حفظ الشريعة واجب ولا يتأتى إلا بذلك فيكون من مقدمة الواجب وكذا شرح الغريب وتدوين أصول الفقه والتواصل إلى تمييز والمشبهة والمندوبة كل إحسان لم يعهد عينه في العهد النبوي كالاجتماع على التراويح وبناء المدارس والربط والكلام في التصوف المحمود وعقد مجالس المناظر إن أُريد بذلك وجه الله والمباحة كالمصافحة عقب صلاة الصبح والعصر والتوسع في المستلذات من أكل وشرب وملبس ومسكن وقد يكون ذلك مكروهاً أو خلاف الأولى والله أعلم[2].

ويقول الغزالي في الإحياء بصدد الأكل على السفرة ما يستفاد منه تنبيه للتقسيم المذكور وقيل أربع أحدثت بعد رسول الله ﷺ الموائد والمناحل والاثنان والشبع وأعلم أنا وأن قلنا الأكل على السفر أولى فلسنا نقول الأكل على المائدة منهي عنه نهي كراهية أو تحريم إذا لم يثبت فيه نهي وما يقال إنه أُبدع بعد رسول الله ﷺ فليس ما أُبدع منهياً عنه بل المنهي عنه بدعة تضاء سنة ثابتة وترفع أمراً من الشرع

---

(١) محمد بن أبي بكر بارد تنبيه المنتقد للاحتفالات بليلة المولد ص ٣١.
(٢) النووي تهذيب الأسماء واللغات ص ٢٢ و٢٣ وانظر فتح الباري لابن حجر العسقلاني ج١٣ ص ٢٥٤.

مع بقاء علته بل الابتداع قد يجب في بعضّ الأحوال إذا تغيرت الأسباب[1] ويقول الشيخ عبد الحق الدهولي في شرح المشكاة مصرحاً بالتقسيم اعلم أن كل ما ظهر بعد رسول الله بدعة وكل ما وافق أصول سنته وقواعدها أو قيس عليها بدعة حسنة وكل ما خالفها فهو بدعة سيئة وضلالة [2].

---

(١) أحياء علوم الدين أبو حامد الغزالي ج٢ كتاب آداب الأكل الباب الأول ص ٤ و٥.

(٢) سعيد حوى الأساس في السنة وفقهها العقائد الإسلامية ج١ ص ٣٦٠ كشاف اصطلاحات الفنون..

انعكاسات القول بتقسيم البدعة

إن القول بتقسيم البدعة لو كان قد توقف عند هذا الحد الذي استعرضناه قبل قليل لكان الأمر هيناً ويسيراً ولكن بعض كتب اللغة التي يفترض أنها تتناول المعاني بشكل توقيفي لا اجتهاد فيه وتستعرض اللغات بأمانة ودقة متناهية قد تأثرت بهذا التقسيم أيضاً وحملت مفهوم البدعة هذا المنى الخاطئ في تسامع خطير وتبع هذه الكتب اللغوية بعض دوائر المعارف المشهورة أيضاً ومما ينبغي الالتفات إليه أن هذه الكتب لم تجعل تقسيم البدعة مختصاً بمعناها اللغوي لكي يلتمس لها العذر فيما قالت وادعت وإنما نصت على أن التقسيم من خواص البدعة في الاصطلاح الشرعي وإليك أيها القارئ نماذج من ذلك المصباح المنير: وأبدعت الشيء وابتدعته استخرجته وأحدثته ومنه قيل للحالة المخلفة بدعة وهي اسم من الابتداع كالرفعة من الارتفاع ثم غلب استعمالها فيما هو نقص في الدين أو زيادة لكن قد يكون بعضها غير مكروه فيسمى بدعة مباحة وهو مصلحة يندفع بها مفسدة كاحتجاب الخليفة عن اختلاط الناس[1] فمن الملاحظ هنا أن المصباح المنير بعد أن يستعرض المعنى اللغوي للبدعة ينتقل إلى بيان معناه الشرعي فينص على أنها يمكن أن تكون مباحة كذلك ويمثل لها باحتجاب الخليفة عن اختلاط الناس الذي لم يكن موجوداً في عصر التشريع الأول وإنما أحدث بعد ذلك في الأزمنة المتأخرة ويعد ذلك بدعة مباحة تهذيب الأسماء واللغات (بدع) البدعة بكسر الباء في الشرع هي إحداث ما لم يكن في عهد رسول الله ﷺ وهي منقسمة إلى حسنة وقبيحة[2] وفي النهاية[3] في حديث عمر في قيام رمضان نعمت البدعة

---

(١) المصباح المنير الفيومي المصباح المنير ص ٣٨.

(٢) النووي تهذيب الأسماء واللغات ج١ ص٢٢.

(٣) كتاب النهاية من الكتب التي تناولت غريب الحديث وقد تناولت المعاني اللغوية ضمناً..

هذه البدعة بدعتان: بدعة هدى وبدعة ضلال فما كان في خلاف ما أمر الله به ورسوله ﷺ فهو في حيز الذم والإنكار وما كان واقعاً تحت عموم ما ندب الله إليه وحض عليه الله أو رسوله فهو في حيز المدح وما لم يكن له مثال موجود كنوع من الجود والسخاء وفعل المعروف فهو من الأفعال المحمودة ومن هذا النوع قول عمر نعمة البدعة هذه لما كانت من أفعال الخير وداخله في حيز المدح سماها بدعة ومدحها لأن النبي ﷺ لم يسنها لهم وإنما صلاها ليالي ثم تركها(١) ولم يحافظ عليها وندبهم إليها فبهذا اسماها بدعة وقد أول ابن الأثير الحديث (كل محدثة بدعة) وقال إنما يريد ما خالف أصول الشريعة ولم يوافق السنة وأكثر ما يستعمل المبتدع عرفاً في الذم(٢) وقد أصبح تقسيم ابن الأثير (البدعة) في هذا الكلام إلى مذمومة وممدوحة أساساً تناقلته كتب لغوية أُخرى وجعلته أحد الآراء المعتبرة للمعنى الشرعي لها من دون أن تتبناه ومن تلك الكتب لسان العرب لابن منظور حيث نقل كلام ابن الأثير هذا بتمامه ونسبه إليه من دون تعليق(٣) كما نقله بتمامه أيضاً صاحب تاج العروس ونسبه إلى قائله(٤) ونقل بعضه أيضاً الطريحي في مجمع البحرين ولم يصرح باسم قائله(٥) ونحن لا نريد أن نسجل ملاحظة على هذه المقولات وعلى هذا التسامح في طريقة عرض الآراء بغثها وسمينها أكثر من أن نقرر للإنسان أن يركن إلى هذه الكتب في مجال تخصصاتها اللغوية باعتبار أنها مصادر علمية معتبرة وخصوصاً الكتب اللغوية والمشهورة ولا كلام لنا في ذلك إلا أنه من غير الصحيح أن ينساق المرء مع كل ما يطرح في هذه الكتب على مستوى

[illegible] إنما صلاها ليلاً ثم تركها لا يصح لأنه لو فعلها مرة لكانت سنة وخرجت عن [illegible] بدعة ولكان استدل بذلك من أمر بها وسيأتي توضيح هذا المطلب فيما بعد إن شاء الله تعالى.

(٢) ابن الأثير النهاية ج١ ص ١٠٦ و١٠٧.

(٣) ابن منظور لسان العرب ج٨ ص ٧٠٦.

(٤) محب الدين الحنفي تاج العروس في جواهر القاموس ج٥ ص ٢٨٠.

(٥) الطريحي مجمع البحرين ج٤ ص ٢٩٨ و٢٩٩.

تقرير المعاني الاصطلاحية للألفاظ ويتلقاها من دون تثبت وإمعان نظر وذلك لما ثبت عن طريق التتبع الاستقراء من عدم توفر الدقة الكافية في تحقيق هذه المعاني الاصطلاحية والتي قد تضبط بشكل كامل ودقيق حتى من قبل أصحاب الفن أنفسهم ومن جهة خروج هذا المطلب عن أصل التخصص الذي يدور حول البحث في مثل هذه المصنفات دائرة المعارف الإسلامية وهناك تصنيف دقيق يفرق البدع على أحكام الفقه الخمسة والبدع التي فرض كفاية على الجماعة الإسلامية دراسة فقه اللغة العربية توصلًا إلى فهم القرآن والأخذ بشهادة العدول أو رفضها وتمييز الصحيح من غيره وترتيب أحكام الفقه والرد على الزنادقة مذاهب المخالفة للسنة حرام وإنشاء الرباطات والمدارس وأشباهها من البدع المندوبة وتزيين المساجد وتشويه المصاحف من البدع المكروهة ومن أمثلة البدع المباحة الانفاق كل المأكل والمشارب وغيرها[(١)] دائرة معارف القرن العشرين (البدعة) ما اخترع على غير مثال السابق وهي مؤنث بدع وقد أطلقت على الخصلة المحدثة في الدين سواء أكانت حسنة أم سيئة وقد كثر إطلاقها على المستحدثين السيئة في العقائد والعوائد والمعاملات[(٢)] ومن الانعكاسات السلبية الأخرى للقول بتقسيم البدعة إلى مذمومة وممدوحة وهو أن بعض علماء العامة أطلق لفظ البدعة على جملة من الأعمال جائزة شرعاً والمندرجة تحت الأدلة العامة المقطوعة الصدور وإن لم تكن موجودة في العصر الأول للتشريع كالاحتفال بيوم المولد النبوي مثلًا فهو عمل مشروع ومندوب من وجهة نظر الكثير من علماء العامة إلا إنّا نجد أن هؤلاء القائلين بمشروعية ذا العمل وجوازه أبوا إلا أن يطلقوا عليه لفظ الابتداع ينعتوه بذلك فقالوا بأن عمل المولد بدعة إلا أنها بدعة ممدوحة وكأن اللغة العربية والتراكيب اللغوية المترامية فيها قد ضاقت بسعتها عن إنجاب لفظ آخر ينطبق على الأمور الحادثة المشروعة وكأن أن سبب إطلاقهم للفظ البدعة في مثل هذه الموارد التباساً عند الآخرين فظنوا أنَّ هذا العمل غير مشروع باعتبار الارتكاز الحاصل في

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية ج٣ ص ٤٥٦.

(٢) محمد فريد وجدي معارف القرن العشرين ج٢ ص٧٧.

ذهنية المتشرعة عموماً على رفض ذا المفهوم وانسياق صورة مقيتة عنه بسبب الأحاديث الكثيرة الواردة في شجبه وذمه ويزداد الأمر تعقيداً والتباساً عندما تقتطع الألفاظ عن تتمّاتها ومكملاتها وتعرض بصورة ناقصة بتراء من باب الاختصار أو التسامح أو التمويه ولعل هذا الإطلاق يهيئ مخرجاً سهلًا لأولئك الذين أصروا على تحاشي الاصطدام مع من يرمي مثل هذا العمل بالابتداع ويخرجه عن دائرة التشريع باعتبار الاشتراك الموجود بين اللفظين فبدلًا من التصريح بجواز هذا العمل ومشروعيته يقال بأن هذا العمل بدعة ممدوحة في الوقت الذي يطلق الآخرون القول عنه بأنه بدعة أيضاً وبصورة قاطعة من دون شك أو ترديد وهناك نماذج كثيرة لاستخدام لفظ البدعة في مثل هذه الموارد على الرغم من القول بجوازها ومشروعيتها فمن تلك الموارد ما قاله ابن حجر حول المولد النبوي عمل المولد بدعة لم تنقل عن أحدٍ من السلف الصالح من القرون الثلاثة ولكنها مع ذلك قد اشتملت على محاسن وضدها فمن تحرى في عملها المحاسن وتجنب ضدها كان بدعة حسنة وإلا فلا[1] وقال الحلبي الشافعي حول نفس الموضوع أيضاً جرت عادة كثير من الناس إذا سمعوا بذكر وصفه ﷺ أن يقوموا تعظيماً له وهذا القيام بدعة لا أصل لها أي ولكن هي بدعة حسنة[2].



(١) جعفر مرتضى العاملي المواسم والمراسم ص ٦٢ عن رسالة حسن المقصد المطبوعة مع النعمة الكبرى على العالم ص٨٨ والتوسل بالنبي وجهلة الوهابيين ص ١١٤.

(٢) جعفر مرتضى العاملي المراسم ص ٦٢ المراد من وصفه ﷺ ولادته.

توبة المبتدع لا تقبل

قال رسول الله ﷺ: «ومن ابتدع بدعة ضلالة لا ترضي الله ورسوله كان عليه مثل أثام من عمل بها لا ينقص من أوزار الناس شيئاً»(١) وعنه ﷺ: «إن الله احتجب التوبة عن صاحب كل بدعة»(٢) وعن رسول الله قال: «أبى الله لصاحب البدعة بالتوبة»(٣) وعن عبد الله بن عباس أنه قال كان رسول الله ﷺ إذا جاء شهر رجب جمع المسلمين حوله وقام فيهم خطيباً فحمد الله وأثنى عليه وذكر من كان قبله من الأنبياء فصلى عليهم ثم قال أيها المسلمون قد أظلكم شهر عظيم مبارك وهو شهر الأصب يصب فيه الرحمة على من عبده إلا عبداً مشركاً أو مظهر بدعة في الإسلام (٤)وقال النبي الأقدس: «لا يقبل الله لصاحب بدعة صلاة ولا صوم ولا صدقة ولا حجاً ولا عمرةً ولا جهاداً ولا صرفاً ولا عدلًا حتى يخرج من الإسلام كما تخرج الشعرة من العجين»(٥) وقال الرسول الأعظم ﷺ: أبى الله أن يقبل عمل صاحب بدعة حتى يدع بدعته».



(١) أبو إسحاق الشاطبي الاعتصام ج ١ ص ١٢٢.
(٢) كنز العمال ج١ ص ٢٢٠ حديث ١١٠٥.
(٣) أبو جعفر الصدوق علل الشرائع ص ٤٩٢.
(٤) بحار الأنوار ج ٩٤ باب ٥٥ حديث ٣٣ ص ٤٧.
(٥) كنز العمال ج١ ص ٢١٩ حديث ١١٠٣.

ذم أصحاب البدع والتنكيل بهم

قال رسول الله ﷺ : «أصحاب البدع كلاب النار»(١) وقال النبي أيضاً : «أهل البدع شر الخلق والخليقة»(٢) وقال النبي الأعظم ﷺ : «يجيء قوم يميتون السنة ويغلون في الدين فعلى أولئك لعنة الله ولعنة اللاعنين والملائكة والناس أجمعين»(٣) وقال الرسول الكريم ﷺ : «أدنى الشرك أن يبتدع الرجل رأياً فيحب عليه» ويبغض عليه(٤) وقال رسول الله ﷺ : «ما تقولون في قوم قدتهم الجنة وأتباعهم النار قالوا يا رسول الله وإن عملوا بمثل أعمالهم قال وإن عملوا بمثل أعمالهم يدخل هؤلاء بما سبق لهم الجنة ويدخل هؤلاء بما أحدثوا النار»(٥) وعن علي عليه السلام أنه قال وأخر قد تسمى عالماً وليس به فاقتبس جهائل من جهال وأضاليل من ضلال يقول أقف عند الشبهات وفيها وقع ويقول اعتزل البدع وبينها اضطجع فالصورة صورة إنسان والقلب قلب حيوان(٦) وعن علي عليه السلام قال إن أبغض الخلائق إلى الله رجلان رجل وكله الله إلى نفسه فهو جائز عن قصد السبيل مشغوف بكلام البدعة ودعاء ضلالة فهو فتنة لمن افتتن به ضال عن هدي من كان قبله مضل لمن اقتدى به في حياته وبعد وفاته حمال خطايا غيره رهن بخطيئته(٧).



(١) كنز العمال ج١ ص ٢١٨ حديث ١٠٩٤ .
(٢) كنز العمال ج١ ص ٢١٨ حديث ١٠٩٥ .
(٣) كنز العمال ج ١ ص ٢٢٣ حديث ١١٢٤ .
(٤) كنز العمال ج ١ ص ٢٢٣ حديث ١١٢٩ .
(٥) كنز العمال ج١ ص ٢٢٣ حديث ٢٩٨٧ .
(٦) نهج البلاغة ج١ ص ٨٧ .
(٧) نفس المصدر ١٧ .

رد العلماء ببطلان التقسيم

مجمل الآراء التي تعرضت لتقسيم (البدعة) إلى مذمومة وممدوحة وملاحظة الخلفيات التي دعت إلى القول بهذا التقسيم من خلال صراحة النصوص المتقدمة واعتمادها بشكل واضح على مقولة (نعمة البدعة هذه) ومع هذا فسواء أكان التقسيم مبنياً على الأساس وصح هذا الاحترام ام يكن مبنياً على ذلك فسوف نذكر أدلتنا على بطلان القول بتقسيم البدعة إلى مذمومة وممدوحة أو إلى الأحكام الخمسة التي ادعيت في بعض الكلمات ثم نتعرض بعد إتمام ذلك إلى الأقوال النافية للتقسيم من أعلام الفريقين وقبل أن نستعرض أدلة نفي التقسيم يجدر بنا أن نشير إلى أن القول بتقسيم (البدعة) يستند أساساً على الخلط بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي لهذا المفهوم فإنّا لو كنا مع مفهوم (البدعة) بمعناها المجرد عن مراد الشريعة وقصدها فإنها تعني الأمر المحدث الذي ليس له سابق مثال وهذا المعنى يتحمل أن يكون مذموماً وأن يكون ممدوحاً لأن هناك أمور كثيرة تحدث وتبتدع بعد عصر التشريع مما لم تنلها الأحكام والأدلة الخاصة فتتصف بالمدح تارةً وبالذم تارة أُخرى بل يمكن أن تتصف بالعناوين الشرعية الخمسة أيضاً ولكن بعد أن تضيقت دائرة هذا المفهوم وأصبح شاملًا لخصوص الأمر الحدث الذي يدخل في الدين من دون أن يكون له أصل شرعي فيه يمكن حينئذٍ أن نتصور له قسماً ممدوحاً بشكل مطلق وأما أدلة نفي التقسيم.

الدليل الأول: هو أن الضرورة العقلية تقضي وتحكم بعدم إمكانية طرو وعروض التقسيم على مفهوم (البدعة) فمن خلال التدقيق في المعنى الاصطلاحي الوارد لتحديد مفهوم (البدعة) في النصوص الشرعية نلاحظ أن هذا المفهوم غير قابل للتقسيم بحد ذاته أصلًا أن يعتريه أي استثناء أو استدراك أساساً إذ أن معنى (البدعة) في الاصطلاح الشرعي هو(إدخال ما ليس من الدين فيه) كما تقدمت الإشارة إليه وهذا يعني أن (البدعة) تشريع وضعي ينصب نفسه في مقابل التشريع

الإلهي المقدس ويضاهي السنة الشريفة ويتحدى تعاليم السماء فهل يعقل أن نتصور قسماً ممدوحاً لمثل هذا اللون من الإدخال وهل يمكن أن يتصف مثل هذا التشريع بالمدح والإطراء أو أن يتصف بواحدٍ من الأحكام الشرعية الخمس غير التحريم المطلق إن شأن الابتداع في المصطلح الشرعي شأن الكذب على الله ورسوله ﷺ أفهل يعقل أن يكون هناك قسم ممدوح لهذا اللون من الكذب وهل يقول أحد بأن هناك كذباً وافتراء على الله ورسوله ﷺ يتصف بالمدح أو الإباحة أو حتى بالكراهية والعياذ بالله.

الدليل الثاني: إن اللغة التي تحدثت بها النصوص الشرعية حول مفهوم البدعة تأبى التقسيم المذكور أيضاً فقد مر علينا أن هذه النصوص المستفيضة جعلت البدعة نداً مقابلًا للسنة وضداً لا يلتقي معها أبداً وذمت المبتدع وكالت له أنواع الذم والتوبيخ والتقريع وأوعدت بعذاب المبتدع بأقصى أنواع العقوبات الدنيوية والأخروية ودعت إلى مقاطعته وهجرانه وأطلقت القول بعدم قبول توبته فكيف يكمن كل هذا أن يكون هناك قسم ممدوح للابتداع وكيف يمكن لهذا القسم أن يتخطى هذا الحجم الغفير من النصوص الصريحة ويحيد عنها نحو اتجاه آخر لا أثر له ولا دليل عليه.

الدليل الثالث: ورد في الحديث المتفق عليه بين الفريقين أن النبي ﷺ قال: «ألا وكل بدعة ضلالة ألا وكل ضلالة في النار»[1] وورد بلفظ فإن كل بدعة ضلالة وكل ضلالة تسير إلى النار[2] فدلالة هذا الحديث على استيعاب أنواع البدع بالذم والضلال لا تحتاج منا إلى مزيد بيان ولا تقبل الجدل والإنكار.

الدليل الرابع: إن المورد الوحيد الذي تناولته النصوص الشرعية المتقدمة على اختلاف مضامينها ومداليلها هو المورد المذموم الذي يعد (البدعة) خصوص الأمر الحادث الذي يقال الكتاب والسنة والتشريع الإلهي المقطوع وبهذا أفقد تعرض

---

(١) محمد باقر المجلسي بحار الأنوار ج٢ كتاب العلم باب ٣٢ ج ١٢ ص ٢٦٣.
(٢) كنز العمال علاء الدين الهندي ج١ حديث ١١١٣ ص ٢٢١.

هذا المورد إلى الذم والانتقاد الشديد ولو كان هناك نحو من أنحاء الاستثناء في موارد معينة مفترضة وحتى لو كانت تلك الموارد المستثناة موارد جزئية ومحدودة لما كان بوسع الشريعة المقدسة أن تتجاهلها وتغض النظر عنها بشكل من الأشكال والوقت الذي نترقب حصول مثل هذا الاستثناء من قبل الشريعة فيما لو وجد أمر من هذا القبيل باعتبار أن لسان بيان التشريع يتحدث من موقع استيفاء جميع الشؤون والأحكام والتعاليم فمفهوم الكذب مثلًا وردت في شأنه نصوص صريحة وقاطعة تناولت الذم الشديد حتى أصبح الإيمان بقبحه من مسلمات الاعتقاد وضروريات الدين إلا أن الشريعة لم تتجاهل في نفس الوقت بعض الموارد التي يرتفع فيها موضوع الذم وقوة الدلالة على استثناء بعض أنواع الكذب من أصل التحريم إذ قد يخرج من دائرة الوجوب فيما لو توقف عليه حفظ نفس مؤمنة من القتل والهلاك مثلًا ومفهوم الغيبة كذلك يخضع لنفس التعامل الذي صدر من الشريعة بشأن الكذب فهو مذموم ممقوت في نظر الشريعة ويعد من كبائر الذنوب إلا أن هناك موارد ذكرتها النصوص الإسلامية تحت عنوان جواز الاغتياب يتم الانتقال بموجبها من الحكم الأولي بالتحريم إلى أحكام أُخرى كالجواز فيما لو كان المغتاب متجاهراً بالفسق ومعلناً له وهكذا الأمر الكثير من المفاهيم الإسلامية المذمومة الأخرى حيث يرد الاستثناء صريحاً فيها فتتحول بواسطة هذا الاستثناء من الحكم الأولي المحرم إلى أحكام ثانوية أخرى كالإباحة أو الندب أو الوجوب أو الكراهية بحسب مقدار دائرة حدود ذلك الاستثناء ونوع القيود التي وضعتها الشريعة له وحتى أولئك الذين يقولون بالتقسيم إذ أنهم لا يبنونه على النص الشرعي وإنما على التنظير العقلي المحض أو على استفادات بعيدة المنال من بعض النصوص الشرعية فما دمنا نتفق على ذلك فلا بد أن نتفق أيضاً على أن مفهوم (البدعة) لا يمتلك إلا قسماً واحداً مذموماً وإلا لو وجد له قسم آخر لأعربت عنه الشريعة ولما تجاهلته وأهملته كما هو الشأن في جميع المفردات التشريعية الأخرى وربما يعترض على ما قررناه من بيان بأن (البدعة) قد وردت مقيدة بالضلالة وهذا يعني وجود قسم آخر لها لا يتصف بالضلالة فقد ورد في

الحديث أن النبي ﷺ قال لبلال بن الحارث أعلم قال ما اعلم يا رسول الله قال ﷺ: «اعلم يا بلال قال وما أعلم يا رسول الله قال ﷺ إنه من أحيى سنة من سنتي قد أميتت بعد فإن له من الأجر مثل من عمل بها من غير أن ينقص من أجورهم شيئاً ومن ابتدع بدعة لا ترضي الله ورسوله كان مثل آثام من عمل بها لا ينقص ذلك من أوزار الناس شيئاً»[1] فقيد (الضلالة)كما يدعي هؤلاء المقسمون في قوله ﷺ: «ومن ابتدع بدعة ضلالة» يفيد في مفهومه أن هناك لوناً من البدع لا يتصف بالضلالة وإلا فما فائدة ذكر القيد في الحديث والجواب على ذلك إنّا لو سلمنا صحة هذا الحديث فإن منطوق قوله ﷺ: «كل بدعة ضلالة» الدال على الإستيعاب والعموم بالأداة (كل) يعارض المفهوم المستفاد من البدعة ضلالة ويتقدم عليه هذا أولًا وثانياً أن مثل هذا المفهوم غير ثابت عند أهل التحقيق والنظر من علماء الفريقين ولو سلمنا ثبوته فإنه لا ينفعنا في المقام شيئاً لأن الأدلة الصريحة والمستفيضة قد دلت بصراحة بالإطلاق على لزوم ضلالة (البدعة) من دون انفكاك فيكون القيد في هذا الحديث من قبيل القيد في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضۡعَٰفٗا مُّضَٰعَفَةٗۖ﴾[2] كما قد يعترض على ما تقرر من أن (البدعة) في الاصطلاح الشرعي لم تستعمل إلا مذمومة ولم تطلق إلا على خصوص الحادث المذموم بورود الاستثناء المستفاد من قوله ﷺ في الحديث الشريف عمل قليل في سنة خير من عمل كثير في بدعة[3] وفي الحقيقة أن من له التعامل والتماس مع النصوص الإسلامية يدرك بأن المقصود من الحديث هنا مجاراة الخصم ومسايرته أي لو كان في البدعة خير فقليل السنة خير من كثير البدعة لاسيما إذا ضممنا إلى ذلك تلك النصوص الشرعية المصرحة بذم البدعة وانتقادها بشكل مطلق وإذا ما التفتنا إلى أن هذه الصيغة من الخطاب أي الصيغة المذكورة في الحديث قليل في السنة خير من كثير في البدعة جارية في جملة من النصوص

(١) الدارمي سنن الدارمي ج٥ كتاب العلم باب ١٦ حديث ١٦٧٧ ص ٤٤.
(٢) آل عمران آية ١٣٠.
(٣) كنز العمال ج١ ص ٢١٩ حديث ١٠٩٦.

الشرعية الأخرى وفي المحاورات العرفية العامة الدليل الخامس ثبت معناه أن كلمة البدعة في الاصطلاح الشرعي لم تستعمل إلا مذمومة والروايات الواردة عن النبي الأكرم ﷺ وأهل بيته تصل في كثرتها إلى حد الاستفاضة في هذا النحو من الاستعمال وهذه الأحاديث إما أن تكونَ قد استعرضناها سابقاً ضمن بحث مواجهة الابتداع وإما سوف نتعرض لها تحت عنوان البدعة في النصوص الإسلامية والآن نحاول أن نستعرض بعض التطبيقات التي قد استعملت (البدعة) فيها مذمومة مع اعتقادنا بأن الاستعمال بحد ذاته لا يكشف ذاتياً عن حقيقة الوضع الشرعي لهذا المفهوم في معناه الحقيقي إلا أننا حين نضم إلى ذلك الاستعمال الواردة على لسان صاحب الشريعة ﷺ وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام والتي لم تخرج عن هذا الإطار وباعتبار أنهم عليهم السلام في مقام بيان كل تفاصيل التشريع ومن جهة النظر إلى الأدلة المتقدمة التي قضت ببطلان التقسيم المزعوم فبالنظر لكل هذا وذاك تشكل هذه الاستعمالات بمجموعها قرينة مؤثرة في الحسابات العلمية وتؤيد بطلان القول بالتقسيم.



مع النافين للتقسيم

وبما أن التقسيم المزعوم لـ(البدعة) لا يمتلك أياً من المرتكزات الشرعية أو العقلية التي تبرر بشكل مطلق بل ولكونه يصطدم بشكل مباشر مع حكم العقل ونصوص الشرع كما أسلفنا ذلك في البحث السابق فقد التفت مجموعة من علماء العامة إلى هذا الأمر وأبطلوا القول بالتقسيم بشكل صريح ولكن هؤلاء ظلوا يعيشون في نفس الوقت هاجس التراويح تحيروا في تبرير إطلاق لفظ البدعة عليها في مقولة نعمة البدعة هذه إذ لا بد أن يكون المراد منها أحد أمرين إما المعنى الاصطلاحي وإما المعنى اللغوي فإن كان المراد منها هو المعنى الاصطلاحي فهو غير قابل للانطباق إلا في خصوص الموارد المذمومة بنص كلام النافين للتقسيم وهذا يعني كون التراويح بدعة لا أصل لها في الدين وإما أن يكون المقصود منها هو المعنى اللغوي الذي يعني الأمر الحادث لا على مثال السابق على ما أجمع عليه اللغويون وهذا ينتهي بهم أيضاً إلى كون التراويح بدعة لا أصل لها في الدين أيضاً إذ أن من أجلى قيود البدعة وشروطها بالاتفاق هو عدم وجود أصل شرعي للعمل في الدين هذا الأمر يطرح نفسه بإلحاح أمام النافين للتقسيم فماذا يا ترى أنهم يجيبون عليه وما هو التبرير الذي بوسعهم أن يقدموه في هذا المجال هذا ما ستقف عليه أيها القارئ الكريم بعد أن تطالع معنا هذه الطائفة التي انتخبناها لك من بين أقوال النافين للتقسيم الحافظ ابن رجب الحنبلي يقول في ابطال القول بتقسيم البدعة إلى ممدوحة ومذمومة والمراد بالبدعة ما أُحدث مما لا أصل له في الشريعة يدل عليه أما ما كان له أصل من الشرع يدل عليه فليس ببدعة شرعاً وإن كان بدعةً لغة[1] ويضيف إلى ذلك القول فقوله ﷺ: «كل بدعة ضلالة من جوامع الكلم لا

---

(١) سعيد حوى الأساس في السنة وفقهها ص ٣٦١ عن جوامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي ص ٢٣٣.

يخرج عنه شيء» وهو أصل عظيم من أصول الدين وهو شبيه بقوله ﷺ من أحدث في أمرنا ما ليس منه فهو رد فكل من أحدث شيئاً ونسبه إلى الدين ولم يكن له أصل من الدين يرجع إليه فهو ضلالة والدين بريء منه وسواء من ذلك مسائل الاعتقادات أو الأعمال أو الأقوال الظاهرة والباطنة[1] ابن حجر العسقلاني يقول في فتح الباري والمراد بها ما أُحدث وليس له أصل في الشرع ويسمى في عرف الشرع مذمومة بخلاف اللغة فأنَّ كل شيء أُحدث على غير مثال يسمى بدعة سواء كان محموداً أو مذموماً وكذا القول في المحدثة وفي الأمر المحدث الذي ورد في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد[2] أبو إسحاق الشاطبي وهو يفصل القول بابطال تقسيم البدعة إلى ممدوحة ومذمومة في الاصطلاح الشرعي ويقصرها على الخصوص مورد الذم من خلال أدلة وحجج كثيرة فيقول بشأن النصوص الشرعية التي تناولت مفهوم البدعة بالذم والتقريع أنها جاءت مطلقة عامة على كثرتها لم يقع فيها استثناء البتة ولم يأت فيها من هذه المعاني فلو كان هناك محدثة يقتضي النظر الشرعي فيها الاستحسان أو أنَّها لاحقة بالمشروعات لذكر ذلك في آية أو حديث لكنه لا يوجد فدل على أن تلك الأدلة بأسرها على حقيقة ظاهرها من الكلية التي لا يتخلف عن مقتضاها فرد من الأفراد إن معتقل البدعة يقتضي ذلك بنفسه لأنه من باب مضاد الشارع واطراح الشرع وكل ما كان بهذه المثابة محال أن ينقسم إلى حسناً وقبيح وأن يكون منه ما يمدح ما يذم[3] ويقول منتقداً الرأي بتقسيم البدعة إلى أحكام الشريعة الخمس إن هذا التقسيم أمر مخترع لا يدل عليه دليل شرعي لا من نصوص الشرع ولا من قواعده إذ لو كان هناك ما يدل من الشرع على وجوب أو ندب أو إباحة لما كان بدعة لكان العمل داخلًا في عموم الأعمال المأمور بها أو المخير فيها بين تلك الأشياء بدعاً وبين كون الأدلة تدل على وجوبها أو ندبها أو

---

(١) صالح الفوزان تعريفها أنواعها أحكامها ص ٨.
(٢) ابن حجر العسقلاني فتح الباري بشرح صحيح البخاري ج٤ ص ٣٥٢.
(٣) أبو إسحاق الشاطبي الاعتصام ج١ ص ١٤١.

إباحتها جمع بين متنافيين[1] الشيخ محمد بخيت يقول في رسالته عن البدعة إن البدعة الشرعية هي التي تكون ضلالة ومذمومة وأما البدعة التي قسمها العلماء إلى واجب وحرام. .الخ فهي البدعة الأعم من الشرعية لأن الشرعية قسم منها[2] الدكتور دراز يقول ما مضمونه صارت كلمة البدعة في الاستعمال الشرعي إلى معن أخص من معناها في الاستعمال اللغوي فلا تتناول على حقيقتها الشرعية في الصدر ما هو باطل وهو تلك الطرائف المخترعة التي ليس لها مستند من كتاب أو سنة أو ما استنبط منها [3]ومحمد جميل زينو يقول في العقيدة الإسلامية ليس في الدين بدعة حسنة والدليل قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًاۚ﴾[4] وقال ﷺ: «إيّاكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار» صحيح رواه النسائي وغيره[5] وقد نص اكثر علماء على بطلان تقسيم البدعة وأثبتوا عدم صحة هذا التقسيم المبني أساساً على مقولة نعمة البدعة هذه وأن الصحيح هو أن البدعة لا تُطلق في مصطلح الشرعي إلا مذمومة يقول الشهيد الأول في قواعده محدثات الأمور بعد النبي ﷺ تنقسم أقساماً لا تطلق اسم البدعة عندنا إلا على ما هو محرم منها[6]ويقول العلامة باقر المجلسي في توضيح قوله ﷺ كل بدعة ضلالة يدل على أن قسمة بعض أصحاب البدعة إلى أقسام خمسة تبعاً للعامة باطل فإنها إنما تطلق في الشرع على قول أو فعل أو رأي قرر في الدين ولم يرد فيه من الشرع شيء لا خصوصاً ولا عموماً ومثل هذا لا يكون إلا حراماً أو افتراءً على الله ورسوله[7]ويقول العلامة الشيخ عباس

---

(١) أبو إسحاق الشاطبي الاعتصام ج١ ص ١٩١ إلى ص ١٩٢.
(٢) سعيد حوى الأساس في السنة وفقهها ص ٣٦١.
(٣) سعيد حوى الأساس في السنة وفقهها ص ٣٦٢.
(٤) سورة المائدة آية ٣.
(٥) محمد جميل زينو العقيدة الإسلامية من الكتاب والسنة الصحيحة ص ٩٤.
(٦) محمد باقر المجلسي بحار الأنوار ج٧١ ص ٢٠٣.
(٧) محمد باقر المجلسي مرآة العقول في الشرع أخبار آل الرسول ج١ ص ١٩٣.

القمي في سفينة البحار إذ لا تطلق البدعة إلا على ما كان محرماً كما قال رسول الله ﷺ: «كل بدعة ضلالة وكل ضلالة سبيلها إلى النار»[1] ويقول العلامة المحقق السيد جعفر مرتضى العاملي أن ما ذكر من تقسيم البدعة إلى حسنة ومذمومة ومن كونها تنقسم إلى الأحكام الخمسة الاستشهاد بقول عمر بن الخطاب عن هذه صلاة التراويح نعمة البدعة هي إدخال ما ليس من الدين في الدين استناداً إلى ما روي عنه ﷺ من أحدث في امرنا هذا ما ليس منها بل لقد قال السيد الأمين عن البدعة ولا يحتاج تحريمها إلى دليل خاص لحكم العقل بعدم جواز الزيادة على أحكام الله تعالى ولا التنقيص منها ولا اختصاص ذلك به تعالى وبأنبيائه الذين لا يصدرون إلا عن أمره فالبدعة في الشرع وبعنوان التشريع لا تقبل القسمة المذكورة بل هي من غير صاحب الشرع قبيحة مطلقاً وأما الابتكار والابتداع في العادات والتقاليد وأمور المعاش والحياة فهو الذي يقبل القسمة إلى الحسن والقبيح ويكون موضوعاً للأحكام الخمسة الوجوب والحرمة والاستحباب والكراهية والإباحة[2] ويقول العلامة الشيخ جعفر السبحاني وأما البدعة بمعنى إدخال ما ليس من الدين في الدين فهو قبيح مطلقاً لا ينقسم وليس له إلا قسم واحد وهو أنه قبيح محرم على الإطلاق[3].



(١) عباس القمي سفينة البحار ج١ ص٦٣.

(٢) جعفر مرتضى العاملي المواسم والمراسم ص ٦٣ و٦٤.

(٣) جعفر السبحاني بحوث في الملل والنحل ج٤ ص٩٢.

معنى البدعة لغة

للبدعة أصلان أحدهما: البدع وهو مأخوذ من (بَدَعَ) وثانيها (الإبداع) وهو مأخوذ من (أبدعَ) وكلا هذين الأصلين يعطي معنى واحد وهو عبارة عن إنشاء الشيء لا على مثال سابق واختراعه وابتكاره بعد أن لم يكن يقول الفراهيدي عن (البَدع) هو إحداث شيء لم يكن له من قبل خلق ولا ذكر ولا معرفة[1] ويقول الراغب عن الإبداع هو إنشاء صفة بلا احتذاء واقتداء[2] وينص الأزهري على أن (الإبداع) أكثر استعمالًا من (البَدع) وهذا لا يعني أنَّ استعمال (البَدع) خطأً وإنما هو صحيح ولكنه قليل فيقول في ذلك و(أبدعَ) ولو استعمل (بَدَعَ) لم يكن خطا[3] وعلى هذا الأساس نقول من (البَدع) (بدعتُ الشيء إذا أنشأته)[4] ونقول من (الإبداع) ابتدع الشيء أي (أنشأه وبدأه)[5] ونقول أيضاً (أبدعتُ الشيء أي اخترعته لا على مثال)[6] ونقول أبدَعَ الله تعالى الخلق (ابتداعاً) أي خلقهم لا على مثال سابق و(أبدعتُ) الشيءَ و(ابتدعته) استخرجته وأحدثته ومنه قيل للحالة المخالفة (بدعة) وهي اسم من (الابتداع) كالرفعة من الارتفاع[7] ومعنى (البدعة) الشيء الذي يكون أولًا [8] وجمع البدعة (البدع)[9]وإنما سميت (بدعة) لأن قائلها

---

(١) الفراهيدي ج٢ ص ٥٤ .

(٢) الراغب الأصفهاني مفردات ألفاظ القرآن الكريم ص ٤٦ .

(٣) الأزهري تهذيب اللغة ج٢ ص ٢٤١ .

(٤) ابن دريد جمهرة اللغة ج١ ص ٢٩٨ .

(٥) ابن منظور لسان العرب ج٨ ص٦ .

(٦) الجوهري الصحاح ج٣ ص ١١٨٣ .

(٧) الفيومي المصباح المنير ج١ ص ٣٨.

(٨) ابن منظور لسان العرب ج٨ ص٦ .

(٩) ابن دريد جمهرة اللغة ج١ ص ٢٩٨ .

ابتدعها هو نفسه[1] وفي أسماء الله تعالى (البديع) وهو الخالق المخترع لا على مثال السابق[2] يقول الله تعالى: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾[3] أي مبتدع ومبتدئها لا على مثال سبق[4] وبديع الحكمة غرائبها ومنه الحديث (روحوا أنفسكم ببديع الحكمة فإنها تكل الأبدان)[5] ويقول الله تعالى: ﴿وَرَهۡبَانِيَّةً ٱبۡتَدَعُوهَا﴾[6] أي أحدثوها من عند أنفسهم[7] فيتحصل لدينا من خلال كل ما تقدم أن المعنى اللغوي لـ(البدعة) هو الشيء الذي يبتكر ويخترع من دون مثال سابق ويبتدأ به بعد أن لم يكن موجوداً من قبل ومما أدى إلى تكفير بعض الطوائف الإسلامية للبعض الأخر بذريعة الابتداع والخروج عن حياط السنة الشريفة وقد استغل هذا المفهوم الإسلامي أبشع استغلال من قبل بعض المتطرفين الذين عموا إلى تحريف عن واقعه والتدليس في حقيقته من أجل النيل من معتقدات أتباع مدرسة أهل البيت واتهامهم بمختلف الأباطيل وكان هذا الأمر من أبرز الوسائل لبتن أعلنتها الوهابية واتخذتها سعاراً في أمر التشنيع على اتباع مدرسة أهل البيت وإلصاق التهم المفتعلة بهم كذباً وبهتاناً وزوراً ومفهوم البدعة الذي يُعد من أكثر المفاهيم الإسلامية دقة وحساسيةً وعمقاً كما أن أكثر من المفترض أن تحدد أولًا هوية المفهوم الواقعية بدقة متناهية ارتكازاً على الأسس والمباني السليمة والثابتة ومن خلال إلقاء نظرة فاحصة في النصوص الإسلامية المستفيضة التي تعرضت لتحديد مفهوم (البدعة) ومن ثم محاولة إعداد قاسم مشترك لأقوال العلماء في تحديد هذا المفهوم بشكل مجمل يمكن لنا أن نقول على قدراً مستقيناً من الاتفاق على أن معنى (البدعة) هو

(١) الطريحي مجمع البحرين ج٤ ص٢٩٩.
(٢) ابن الأثير النهاية ج١ ص ١٠٦.
(٣) سورة البقرة آية ١١٧.
(٤) الزبيدي تاج العروس ج٥ ص ٢٧٠.
(٥) الطريحي مجمع البحرين ج٤ ص ٢٩٨.
(٦) سورة الحديد آية ٢٧.
(٧) الطريحي مجمع البحرين ج٤ ص ٢٩٨.

إدخال ما ليس من الدين فيه. وهذا القول ارتكز في أذهان المتعاملين مع النصوص الإسلامية ولو على مستوى الإطلاع وموضوع تقسيم البدعة إلى قسمين تقسيم ممدوح وتقسيم مذموم ويدخل هذا التقسيم في صميم التعريف والبدعة المذمومة هي التي تناولها الرسول الأكرم بذم والانتقاد والبدعة الممدوحة هي التي يمكن أن تندرج تحتها صلاة التراويح ونحاول أن نتناول الأقوال التي نصت إلى تقسيم البدعة ثم ننظر في حقيقة هذا التقسيم.



مفهوم البدعة في النصوص الإسلامية

إن النص الإسلامية الصريح هو الذي يمتلك الكلمة الفاصلة في تحرير هوية آية مفردة من المفردات الثقافية الإسلامية وهو الذي يوضح ما يمكن أن تكتنف به بعض المفاهيم الإسلامية من غموض وإبهام وبما أن هناك اضطراباً واضحاً عند المصنفين في تحديد هوية الابتداع في الاصطلاح الشرعي وتفاوتاً كبيراً في طريقة تطبيقية على مفرداته المختلفة فنرى أنَّ من المستحسن بنا وقبل الاسترسال في بيان معالم وخصوصيات هذا المفهوم وذكر قيوده وشروطه التطبيقية أن نستعين بالنصوص الإسلامية التي تعرضت لتحديد هذا المفهوم وإبراز هويته.

البدعة تقبل السنة

ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال «لا يذهب من السنة شيء حتى يظهر من البدعة مثله حتى تذهب السنة وتظهر حتى يستوفي البدعة من لا يعرف السنة فمن أحيى ميتاً من سنتي قد أحييت كان له أجرها وأجر من عمل بها من غير أن ينقص من أجورهم شيئاً ومن أبدع بدعةً كان عليه وزرها ووزر من عمل بها لا ينقص من أوزارهم شيئاً»[(١)] وعنه ﷺ أنه قال: «لا ترجعون بعدي كفاراً مرتدين متأولين للكتاب على غير معرفة وتبتدعون السنة بالهوى لأن كل سنة وحدث كلام خالف القرءان فهو رد وباطل[(٢)] وعنه ﷺ قال يأتي زمان وجوههم وجوه الآدميين وقلوبهم قلوب الشياطين السنة فيهم بدعة والبدعة فيهم سنة»[(٣)] وقال النبي الأكرم «من أدى إلى أُمتي حديثاً يُقام به سنة أو يثلم به بدعة فله الجنة»[(٤)] وعنه ﷺ

---

(١) كنز العمال ج١ حديث ١١١٩ ص٢٢٢.

(٢) الشريف الرضي خصائص الأئمة تحقيق محمد هادي الأميني ص ٧٥.

(٣) جامع الأخبار تاج الدين الشعيري ص ١٢٥.

(٤) محمد باقر المجلسي بحار الأنوار ج ٢ باب ١٩ حديث ٤٣ ص ١٥٢.

قال: «إياك أن تسن سنة بدعة فإن العبد إذا سن سنة سيئة جرى عليه وزرها ووزر من عمل بها»[1] وعنه صلى الله عليه وآله قال: «من أحدث حدثاً أو آوى محدثاً فعليه لعنة الله وملائكته والناس أجمعين لا يقبل منه عدل ولا صرف يوم القيامة فقيل يا رسول الله ما الحدث فقال صلى الله عليه وآله: «من قتل نفساً بغير نفسٍ أو مثّل بغير قود أو ابتدع بدعة بغير سنة»[2] وعن أبي بصير عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال لما حضر النبي صلى الله عليه وآله الوفاة نزل جبرائيل فقال له جبرائيل يا رسول الله هل لك في الرجوع قال لا قد بلغت رسالات ربي ثم قال له يا رسول الله أتريد الرجوع إلى الدنيا قال لا بل الرفيق الأعلى ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله للمسلمين وهو مجتمعون حوله أيها الناس إنه لا نبي بعدي ولا سنة بعد سنتي فمن ادعى ذلك فدعواه وبدعته في النار»[3] وقال النبي الأقدس صلى الله عليه وآله: «ما من أمةٍ ابتدعت بعد نبيها في دينها بدعةً إلا أضاعت مثلها من السنة»[4] وعن أمير المؤمنين علي عليه السلام أنه قال وأما أهل السنة فالمتمسكون بما سنه الله لهم ورسوله وإن قلوا وأما أهل البدعة فالمخلفون لأمر الله تعالى وكتابه ولرسوله والعاملون برأيهم وأهوائهم وإن كثروا وقد مضى منهم الفوج الأول وبقيت أفواج وعلى الله فضها واستئصالها عن جدبة الأرض[5] وسأل رجل الإمام علياً عليه السلام عن السنة والبدعة والفرقة والجماعة فقال عليه السلام أما السنة فسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وأما البدعة فما خالفها وأما الفرقة فأهل الباطل وإن كثروا وأما الجماعة فأهل الحق وإن قلوا[6] وقال علياً عليه السلام (واعلموا أن خير ما لزم القلب اليقين وأحسن اليقين التقى وأفضل أُمور الحق عزائمها وشرها محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وبالبدع هدم السنن)[7]وقال عليه السلام ما

---

(١) محمد باقر المجلسي بحار الأنوار ٧٤ باب ٥ ج١ ص ١٠٤.
(٢) أبو جعفر الصدوق معاني الأخبار تحقيق علي أكبر الغفاري ص ٢٦٥.
(٣) محمد بن النعمان المفيد امامي الشيخ المفيد ص ٥٣.
(٤) كنز العمال ج١ ص ٣١٩.
(٥) كنز العمال ج ١٦ ص ١٨٤ حديث ٤٤٢١٦.
(٦) البحراني تحف العقول تحقيق علي أكبر الغفاري ص ٢١١.
(٧) تحف العقول ص ١٥١.

أحدث بدعة إلا ترك بها سنة فاتقوا البدع وألزموا المهيع إن عوازم الأمور أفضلها وأن محدثاتها شرارها(١) وقال علياً عليه السلام في حق بني أُمية قد خاضوا بحار الفتن وأخذوا بالبدع دون السنن(٢) وعنه عليه السلام قال أيها الناس إنما بدء وقوع الفتن أهواء تتبع وأحكام تبتدع يخالف فيها كتاب الله يقلد فيها رجال رجالًا(٣) وقال أمير المؤمنين علياً عليه السلام طوبى لمن ذل في نفسه وعزل عن الناس شره ووسعته السنة ولم ينسب إلى البدعة(٤).



(١) نهج البلاغة الخطبة ١٤٥ والمهيع هو الطريق الواسع البين..

(٢) نهج البلاغة الخطبة ١٥٤.

(٣) أبو جعفر البرقي ج١ ص ٣٣٠.

(٤) نهج البلاغة الخطبة ١٢٣.

مقاطعة المبتدعين

جاءت جملة من الأحاديث تدل على ضرورة مقاطعة المبتدعين وهجرانهم وعدم معاشرتهم بشكل عام تأكد على بشاعة هذا الأمر ومما ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من وقد صاحب بدعة فقد أعان على هدم الإسلام»[1] وقال أيضاً: «إذا رأيتم صاحب بدعةٍ فاكفهروا في وجهه»[2] وقال رسول: «الأمة من تبسم في وجه مبتدع فقد أعان على هدم دينه»[3] وقال رسول الله ﷺ: «من أرعب صاحب بدعة ملئ الله قلبه أمناً وإيماناً ومن انتهر صاحب بدعة أمنه الله من الفزع الأكبر ومن أهان صاحب بدعة رفعه الله في الجنة درجة ومن تبشبشناً فقد استحق بما نزل على محمد»[4] وقال النبي الكريم: «من مشى إلى صاحب بدعة ليوقره فقد أعان على هدم الإسلام»[5] وقال رسول الله: «من أعرض عن صاحب بدعة بغضاً له وملئ الله قلبه أمناً وإيماناً»[6] وقال أيضاً: «إذا رأيتم أهل الريب والبدع من بعدي فأظهروا البراءة منهم وأكثروا من سبهم والقول فيهم والوقعية وباهتوهم كي لا يطمعوا في الفساد في الإسلام ويحذرهم الناس ولا يتعلمون من بدعهم يكتب الله لكم بذلك الحسنات ويرفع به الدرجات في الآخرة»[7].



---

(١) كنز العمال ج١ ص ٢١٩ حديث ١١٠٢.
(٢) كنز العمال ج١ ص ٣٨٢ حديث ١٦٧٦.
(٣) سفينة البحار عباس القمي ج١ ص ٦٣.
(٤) كنز العمال ج٣ ص ٨٢ حديث ٥٥٩٨.
(٥) كنز العمال ج١ ص ٢٢٣ حديث ١١٢٣.
(٦) كنز العمال ج٣ ص ٨٢ حديث ٥٥٩٩.
(٧) الحر العاملي وسائل الشيعة ج١١ ص ٥٠٨ حديث ١.

موجهة الابتداع في رقاب العلماء

دخل في الإسلام كثير من الدس والافتراء والتحريف ووقف النبي الأعظم لمواجهة البدعة ومحدثات الأمور وشدد النبي على مرتكبيها بألوان التهديد والوعيد وتحمل العلماء مسؤولية الذب عن الدين وحماية حرمته وصون مقدساته وإظهار علومهم ونشر معارفهم في حالة نشوء هذه المحدثات والافتراءات والتحريف ومعرقلة حركة الشريعة وقد اعتبرت الشريعة العالم الذي لا يقوم بواجبه الديني عند بروز هذه الظواهر إنساناً خائناً ورسالة في المجتمع وكاتماً لما أنزله الله تعالى على نبيه الأعظم من تعاليم وأحكام والذب والدفاع يعتبر من أبرز مهام العالم الديني الذي ائتمنته الشريعة على تعاليمها ومقدساتها فقد ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إذا ظهرت البدع في أمتي فليظهر العالم علمه فمن لم يفعل فعليه لعنة الله»(١) وعن النبي: «إذا ظهرت البدع ولعن أخر هذه الأمة أولها فمن كان عنده علم فلينشره فإن كاتم العلم يومئذ ككاتم ما أنزل الله على محمد»(٢) وعن الصادقين أنهما قالا إذا ظهرت البدع فعلى العالم أن يظهر علمه فإن لم يفعل سلب نور الإيمان(٣).



(١) الكليني الأصول من الكافي ج١ باب البدع والرأي والمقاييس ج٢ ص ٥٤.
(٢) كنز العمال ج١ ص١٧٩ حديث ٩٠٣.
(٣) الحر العاملي وسائل الشيعة ج ١١ ص ٥١٠ كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر..

أنواع الزيارة

النوع الأول: اختلفت الآراء من فقهاء وعلماء المذاهب الأربعة في تقديم الزيارة على الحج أو الحج على الزيارة واختلفت الآراء والأقوال ومنهم من أعد الزيارة من الواجبات قبل الحج ومنهم من قال هي من المستحبات فقال تقي الدين السبكي في شفاء السقام[1] اختلف السلف رحمهم الله في أن الأفضل البداءة بالمدينة المسألة وذكر الخلاف فيها الإمام أحمد في كتاب المنسك الكبير من تأليفه قبل مكة أو بمكة قبل المدينة ممن نص على هذه الناسك رواها الحافظ أبو الفضل بإسناده عن عبد الله بن أحمد عن أبيه وفي هذه المناسك سئل عمن يبدأ بالمدينة قبل مكة فذكر بإسناده عن عبد الرحمن بن يزيد وعطاء وجاهد أنهم قالوا إذا أردت مكة فلا تبدأ بالمدينة وابدأ بمكة وإذا قضيت حجك فأمرر بالمدينة أن شئت وذكر بإسناده عن الأسود قال احب أن يكون نفقتي وجهازي وسفري أن أبدأ بمكة وعن إبراهيم النخعي إذا أردت مكة فاجعل كل شيء لها تبعاً وعن إبراهيم قال إذا حججت فابدأ بمكة ثم مر بالمدينة بعد وذكر الإمام أيضاً بإسناده عن عدي بن ثابت أن نفر من أحاب رسول الله ﷺ كانوا يبدؤون بالمدينة إذا حجوا يقولون فهل من حيث أحرم رسول الله ﷺ وذكر ابن أبي شيبة في فضيلة هذا الأمر أيضاً وذكر بإسناده عن علقمة والأسود وعمرو بن ميمون أنهم بدؤوا بالمدينة قبل مكة إلى أن قال ممن نص على هذه المسألة من الأئمة أبو حنيفة وقال والأحسن أن يبدأ بمكة وقال الشيخ القاري في شرح[2] المشكاة الأنسب أن تكون الزيارة بعد الحج كما هو مقتضى القواعد الشرعية من تقيم الفرض على السنة وقد روى الحسن عن أبي حنيفة تفصيلًا حسناً وهو أنه كان الحج فرضاً فالأحسن للحاج أن يبدأ بالحج ثم

---

(١) شفاء السقام ص ٤٢.

(٢) شرح المشكاة ج٣ ص ٢٨٤.

يثني بالزيارة وأن بدأ بالزيارة جاز وأن كان الحج نفلًا فهو بالخيار فيبدأ بأيهما شاء ثم قال والأظهر أن الابتداء بالحج أولى لإطلاق الحديث يعني الحديث الذي مر علينا في الزيارة ولتقديم حق الله على حقه ﷺ ولذا تقدم تحية المسجد النبوي على زيارة المشهد المصطفوي.

النوع الثاني: هل يجوز استنابة نائب عنه أو يستأجر شخص لزيارة النبي الجواب ذلك من المتسالم عليه بين فرق المسلمين سلفاً وخلفاً جواز استنابة النائب واستئجار الأجير لزيارة النبي ﷺ لمن عاقه عذر وقد استفاض عن عمر بن عبد العزيز أنه كان يبرد إليه ﷺ البريد من الشام ليقرأ السلام على النبي ﷺ ثم يرجع وفي لفظ كان يبعث بالرسول قاصداً من الشام إلى المدينة ذكره البيهقي في شعب الإيمان وأبو بكر أحمد بن عمرو النيلي المتوفى ٢٨٧ في مناسكه والقاضي عياض في الشفاء والحافظ ابن الجوزي في مثير الغرام الساكن وتقي الدين السبكي في شفاء السقام[١] وغيرهم قال عبد الحق المالكي المتوفى ٤٦٦ في التهذيب الطالب رأيت في بعض المسائل التي سئل عنها الشيخ أبو محمد بن أبي زيد قبل له رجل استؤجر بمال ليحج به وشوطوا عليه الزيارة فلم يستطيع تلك السنة أن يزور لعذر منعه من تلك قال يرد من الأجر بقدر مسافة الزيارة قال عبد الحق وقال غيره من شيوخنا عليه أن يرجع نائبه حتى يزور وقالت الشافعية أن الاستئجار والجعالة إن وقعا على الدعاء عند قبر النبي ﷺ أو على إبلاغ السلام فلا شك في جواز الإجارة والجعالة كما كان عمر بن عبد العزيز يفعل وإن كانا على الزيارة لا يصح لأنها عمل غير مضبوط[٢] وقالت الحنابلة في كتاب الإبانة يجوز أن يستأجر الرجل وأحد ليحج والزيارة ويجوز أن يوصي واحداً بزيارة قبر النبي وأن لم يفعل المستأجر فهو آثم وقالت المالكية في شرح رسالة ابن أبي زيد يجوز الأستئجار للزيارة قبر النبي للحج وأن يفعل المستأجر فهو عاصي.

(١) شفاء السقام ص ٤١.
(٢) شفاء السقام ص ٥٠.

النوع الثالث: النذر للمشي يجوز شرعاً النذر للمسجد الحرام بقصد زيارة النبي الأقدس ﷺ أو المشي إلى مكة قالت المالكية يجوز النذر مشياً للمسجد النبي وإلى مكة المكرمة قالت المالكية أن النذر لزيارة قبر النبي أولى من النذر لزيارة مكة المكرمة وإلى بيت المقدس فالنذر لزيارة النبي مشي أفضل باعتبار أن النبي مدفون بها وفيها المسجد الحرام[1] وقد قال لتعرف بهذا معاند الله ولرسوله ﷺ والنصوص الشرعية وقال تقي الدين السبكي الشافعي[2] أن الإتيان إلى المسجدين الحرام ومكة نذراً جائز شرعاً فزيارة قبر النبي قربة لحث الشرع عليها وترغيب فيها وجهة عموم وجهة خصوص فإما من جهة الخصوص كون الأدلة الخاصة وردت فيها بعينها فيظهر بلزومها إلحاقاً لها بالعبادات المقصودة التي لا تؤتي بها إلا على وجه العبادة كالصلاة والصدقة والصوم والاعتكاف ولهذا المعنى والله أعلم قال القاضي ابن كج إذا نذر أن يزور قبر النبي ﷺ فعندي أنه يلزمه الوفاء وجهاً واحداً إلى أن قال وإذا نظرنا إلى زيارة النبي ﷺ من جهة العموم خاصة واجتماع المعاني التي يقصد بالزيارة فيه فيظهر أن يقال إنه يلزم بالنذر قولًا واحداً ويحتمل على بعد أن يقال إنه كما لو نذر زيارة القادمين وإنشاء السلام فيجري في لزومها بالنذر وقبل هذه كلها تنباك نرتأيه الآداب المسنونة وهناك أمر وآداب للزائر فإنها تتفرع على استحباب الزيارة ومندوبية شد الرحال إلى روضة النبي الأقدس ﷺ وهذه آراء المذاهب الأربعة حول الزيارة وغيرها وأنواع الزيارة فإن كلام ابن تيمية وتلامذته أمام جهذات العلماء ورجال الدين وحراس العقيدة أشبال الإسلام وبراعم أمة النبي فكلامهم كله هراء لا أصل له فإنهم يقولون كما أوحت لهم أنفسهم وهم معتمدين على العقل وعقلهم قاصر لأنه خالف الدين والقيم الإنسانية ولا نأخذ بآرائهم لأن آرائهم فاسدة فإذاً يجوز شرعاً الزيارة والسفر إلى قبر النبي وشد الرحال إليه وإلى الروضة الشريفة وأنتم أية السلفية تقوون لا تجوز الشعار بحق النبي والمدح له لا كما مدحه القرآن ولكن أقول لكم هذه كبار العلماء تقول

---

(١) المدخل ج١ ص ٢٥٦.

(٢) شفاء السقام ص٥٣ وص ٧١.

أشعار بحق النبي وتوصفه ولا يجوز أحد من المسلمين يخالف القرآن وأكثر من مدح القرآن للنبي ﷺ والقرآن مدح النبي بالخلق والأخلاق والصدق والأمانة والتقوى ولا أستطيع أن أحصي مدح القرآن للنبي ولا أستطيع أن أوصف النبي بشيء لأن الأقلام تجف والحبر ينتهي والقراطيس لا تبقى وكل ما قلته أنا وغيري بمدح النبي فهو قليل جداً ولكنني أنقلكم إلى بعض الأشعار لأحد الصالحين قال:

أقول والدمع من عيني منسجم ... لما رأيت جدار القبر يستلم
و الناس يغشونه باك ومنقطع ... من المهابة أو داع فملتزم
فما تمالكت أن ناديت من حرق ... في الصدر كادت لها الأحشاء تضطرم
وفيه شمس التقى والدين قد غربت ... من بعد ما أشرقت من نيرها الظلم
حاشا لوجهك أن يبلى وقد هديت ... في الشرق والغرب من أنواره الأمم
فإن تمسك أيدي الترب لا مسه ... فأنت بين السماوات العلي علم
لقيت ربك والإسلام صارمه ... ماضٍ وقد كان بحر الكفر يلتطم
فقمت فيه مقام المرسلين إلى ... أن عز فهو على الديان محتكم
لئن رأيناه قبراً أن باطنه ... لروضة من رياض الخلد تبتسم
طافت به من نواحيه ملائكة ... تغشاه في كل ما يوم وتزدحم
لو كنت أبصرته حياً لقلت له ... لا تمش إلا على خدي لك القدم

وهل هذه تخالف الإسلام يا شيخ الإسلام بل لا تخالف الإسلام شيء ولو طلب منك الملك أشعر لقلت فيه ما لا يستحق ولا تحرم الشعار في الحق النبي ولا والله وأنت مع الأسف يقال لك شيخ الإسلام فأنت شيخ للذين لا يفهمون ولا يفتهمون نرجو الله أن يثبتنا على العقل والدين.



ابن باز ودوران الأرض

لقد أفتى الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز رائد المنافحين عن الحركة الوهابية ما يزال يبذل قصارى جهده لإبقاء عقيدة التجسيم حية أكان ذلك بالتهريج أو بلي أعناق الآيات والأحاديث النبوية مثله في ذلك مثل السلف الذي يقتدون به كابن تيمية وابن القيم وهو جريء في ذلك فلا يتردد في الشتم والسباب وتكفير المسلمين وهذا الخلق أبعد ما يكون عن خلق المسلم العادي بله العلم المتزعم للفتوى وتراه لا يتردد أن يسوق حتى ما لا تستسيغة العقول لنصرة عقيدتهم الفاسدة ومن هذه الفتاوى فتواه التي نشرتها الرئاسة العامة عام ١٩٧٦م إن القول بأن الشمس ثابتة وأن الأرض دائرة هو قول شنيع ومنكر ومن قال بدوران الأرض وعدم جريان الشمس فقد كفر وضال ومضل ويجب أن يستتاب فإن تاب وإلا قتل كافراً مرتداً ويكون ماله فيئاً لبيت مال المسلمين وقد نشرته الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإشاد بالرياض في عام ١٤٠٢ هـ/ ١٩٨٢م كتاباً من تأليف سماحته ويا لها من سماحة تلك المطرفة التي تستحل دماء الموحدين وأموالهم جمع فيه من المضحكات والمبكيات مما يخيل الإنسان فكرة المريض بأنها أدلة نقلية على سكون الأرض فقال (أجمعت آراء السلف من أمثال الشيخ الإسلام ابن تيمية وابن كثير وابن قيم الذين أجمعوا على ثبوت الأرض لهذا هو الدليل أما الأسلوب البلاغي الركيك السالف فليس بالغريب عليهم ولكن قريب أنهم يتصدون لكتاب الله وسنة رسوله وهذا حالهم وأضاف أنه كان من جملة الناس الذين شاهدوا بعيونهم وأبصارهم سير الشمس وجريانها في مطالعها ومغاربها قبل أن يذهب نور عينيه وهو دون العشرين وأكد أن الشمس سقفها ليس كروياً كما يزعم كثير من علماء الهيئة الضالين وإنما هي قبة ذات القمائم تحملها الملائكة وهي فوق العالم مما يلي رؤوس الناس وأنه لو كانت الشمس ثابتة كان هناك فصول أربعة ولكان الزمان في كل بلد واحد لا يختلف وقد نص في كتابه على أن

كثيراً من مدرسي علوم الفلك ذهبوا إلى القول بصورة الشمس ودوران الأرض وهذا كفر وضلال وتكذيب للكتاب والسنة وأقوال السلف وقد اجتمع في هذا الأمر العظيم النقل والفطرة وشاهد العيان فكيف لا يكون مثل هذا كافراً وقد حجهم بقوله لو أن الأرض تتحرك لكان يجب أن يبقى إنسان على مكانه لا يمكنه الوصول إلى حيث يريد لذلك فالقول بهذه المعلومات طبيعية وتدريسها للتلاميذ على أنها حقائق ثابتة يؤدي إلى أن يتذرع بها أولئك التلاميذ على الإلحاد حتى أصبح كثير من المسلمين يعتقدون أن مثل هذا الأمر من المسلمات العلمية وكذلك استدل بأنه لو كانت الأرض تدور كما يزعمون لكانت البلدان والأشجار والأنهار لا قرار لها ولشاهد الناس البلدان المغربية في المشرق والبلدان المشرقية في المغرب ولتغيرت القبلة على الناس لأن دوران الأرض يقضي تغيير الجهات بالنسبة للبلدان والقارات هذا إلى أنه لو كانت الأرض تدور فعلًا لأحس الناس بحركة كما يحسون بحركة الباخرة والطائرة وغيرها من المركوبات الضخمة ووصف المسلمين الذين يؤمنون بكروية الأرض بأنهم يتبعون كل ناعق يريد أن يفسد عقيدة المسلمين بأنهم بعيدون عن استعمال عقولهم وأنهم أعطوا قيادهم لغيرهم فأصبحوا كبهيمة الأنعام العجماء بعد أن فقدوا ميزة العقل وقد خلص ابن باز إلى أن القائل بدوران الأرض ضال قد كفر وأضل كذب القرآن والسنة وأنه يستتاب فإن تاب وإلا قتل كافراً مرتداً ويكون ماله فيئاً لبيت مال المسلمين وهذا التهريج يسوقه الوهابية عموماً فالشيخ عبد الكريم بن صالح الحميد ألف كتاباً في هذا الموضوع عنوانه (هداية الحيران في مسألة الدوران) وقد تعرضنا له في المقال سابق .



ابن تيمية وقوله في الإمام علي

ابن تيمية قد خطأ الإمام علي في سبعة عشر موضعاً يرى أنه خالف فيها نص الكتاب وقال إنه كان مخذولًا وإنه قاتل للرئاسة لا للديانة وقد ذكر ذلك في كتابه المنهاج [١] ومما قاله (وليس علينا أن نبايع عاجزاً عن العدل علياً وتاركاً له فأئمة منه يسلمون أنه ما كان القتال مأموراً به ولا واجب ولا مستحب) ويقول ولا رأي لم ذما من رأي أريق به دم ألوف مؤلفة من المسلمين ولم يكن في قتلهم مصلحة المسلمين لا في دينهم ولا دنياهم بل نقص الخير عما كان وزاد الشر على ما كان وفي قوله الأخير هذا لا يقول ما يقوله إلا دفاعاً عن الذين بغوا على الخليفة المبايع والمستشار بالحكم في بلاد الشام فقاتلهم الإمام علي تنفيذاً لحكم الله بعد أن أبوا الانصياع إلى الحق لقوله سبحانه: ﴿فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي﴾.

أهل السنة عند السلفية

السلفية الذين حاولوا الهرب من اسمهم هذا فادعوا السلفية وادعوا أنهم هم الفرقة الناجية التي يعينها الحديث فرد عليهم علماء المسلمين كالعلامة الدكتور محمد رمضان البوطي [٢] وغيره ليبينوا فساد رأيهم والاشكال أنك عندما تسمعهم يتحدثون عن السلف يتبادر إلى ذهنك أنهم يتحدثون عن أصحاب رسول الله ﷺ ولكن المؤسف أنهم يقصدون بالسلف ابن تيمية الذي خرج بالأمس القريب ويرون أتباعه هم أهل السنة لا غيرهم ويخرجون أتباع أحمد والشافعي ومالك وأبي حنيفة من هذا الشرف كما أخرجوا قبل ذلك زوراً باقي أتباع المذاهب

(١) ابن تيمية منهاج السنة النبوية ج٢ ص ٢٠٣ و٢٠٤.
(٢) الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي كتاب السلفية مرحلة زمنية مباركة لا مذهب إسلامي أثبتت فيه إن ابن تيمية والسلفية بدعة محدثة ورد فيه على عقيدة التجيج.

الإسلامية من ذلك ونحن هنا سننقل هذا الرأي عن زعيم من علماء السلفية يوصف بالعقلية والتسامح وهو الشيخ محمد بن صالح العثيمين نقلًا عن كتاب مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين ج٣ جمع وترتيب فهد بن ناصر السليمان د١ سنة ١٤١٢ هـ طبعة دار الوطن للنشر بالرياض وقد وقع الشيخ العثيمين الكتاب دليلًا على إقراره بما فيه يقول ص ١٨ وما بعدها نجيب على ما طلب وهو تقسيم أهل السنة إلى طائفتين في مدرستين إحداهما مدرسة ابن تيمية وتلاميذه المانعين لصرف النصوص عن ظواهرها الثانية مدرسة الأشاعرة[1] والماتريدية[2] الموجبين لصرفها عن ظواهرها في أسماء الله وصفاته فنقول من المعلوم أن بين هاتين المدرستين اختلافاً بيناً في المنهاج فيما يتعلق بأسماء الله وصفاته مع ما يجب نقيه عن الله تعالى من التمثيل أو التكييف[3] والمدرسة الثانية يقرر معلموها وجوب صرف النصوص عن ظواهرها فيما يتعلق بأسماء الله وصفاته وهذان المنهجان متغايران تماماً ثم يقول بعد أن أورد مثالًا يبين فيه تأويل الأشاعرة والماتريدية لليد بالقدرة في قوله تعالى: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ وتجسيم أشياع ابن

(١) الأشعرية نسبة إلى أبي الحسن بن أبي موسى الأشعري وله مصنفات كثيرة منها الإبانة عن أصول الديانة ومقالات الإسلاميين واللمع ورسالة في استحسان الخوض في كلام عارض فيها مذهب المعتزلة وأيد فيها مذهب أهل السنة تسعة مذاهب أهل السنة اليوم في أمور العقائد التي أجملها في قوله (قولنا الذي نقول به وديانتنا التي ندين بها التمسك بكتاب الله وسنة النبي ﷺ وما روي عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث.

(٢) الماتريدية هم أتباع أبي منصور السمرقندي عاصر الأشعري والطحاوي ودافع عن عقيدة أهل السنة ضد المعتزلة حيث كان عالم من علماء الكلام.

(٣) الشيخ من أتباع هذه المدرسة بلا ريب وهو مثال جيد على التجسيم فهو يقول في نفس هذا الكتاب ص ٤١ عندما سئل عن إثبات العينين لله فقال (إن لله تعالى عينين) أليس هذا تمثيل وتكييف وتشبيه الله تعالى الذي ليس كمثله شيء بعباده ولا نستغرب أن يقول الشيخ وأمثاله غداً إذا عرفوا أن للذبابة أعين أن يقول بأن لله يقول في كتابه ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾.

تيمية لها (وعلى هذا فيتعين أن يكون وصف أهل السنة خاصاً بهم أي أتباع ابن تيمية) لا يشاركهم فيه أهل المدرسة الثانية لأن الحكم بمشاركتم إياهم جور وجمع بين الضدين والجور ممتنع شرعاً والجمع بين الضدين ممتنع عقلاً[1] ويقول ص ٢١ ولا ريب أن أهل المدرسة الأولى غير المؤولين أحق بالوصف المذكور أهل السنة من أهل المدرسة الثانية المؤولين لمن نظر في منهاجيهما بعلم وإنصاف بل إن أدعياء السلفية ونتيجة للعمه الذي يتخبطون فيه فإنهم وصلوا لأبعد من ذلك حيث يطالبون أهل السنة بترك هذه التسمية أهل السنة والجماعة عليهم إن أرادوا والنجاة أن يتسموا بالسلفية وقد ذكر ذلك أحد كتابهم في كتاب له بعنوان رؤية واقعية ص ٢١ وقد رد عليه ليبين حوار رأيه الشيخ خالد بن حامد الأفم العسقلاني وفي كتابه الردود السلفية على دعاة السلفية[2] ج١ في الفصل الثاني بين السلفية وأهل السنة ص ٢٥ ونحن نتساءل إن كان هناك غرور أو تعصب للرأي وللعلماء أكبر من هذا فابن تيمية لا يمكن أن يقال بأنه يمثل السلف فأين هو عن عصر الصحابة بل وأي تجديد أتى به حتى تضفي عليه هذه الهالة إلا عقيدة التجسيم بطبيعة الحال وأي تعصب للحزب أكبر من هذا حتى أنهم يطالبون الناس بترك مذهبهم واتباع رأيهم وطريقتهم وكأن الله لم يخلق الناس عقولًا إلا عقولهم أيها الأخوة إن دعوى اتباع السنة أو اتباع السلف الصالح لا تكون بالأحزاب ولا بالإدعاء وإنما هي بالعمل الصالح الذي يطاله كل مسلم يتمسك بأهداب السنة النبوية الشريفة أيا كان المذهب الذي يتعبد الله به.



(١) حديث الوهابية عن العقل هنا مضحك فهم ما إن يستدل عليهم أحد بدليل عقلي إلا واجهوه بالتشنيع عليه فلا مجال للعقل لديهم إلا إذا كان فيما يحسبونه لصالحهم.
(٢) لأمور نعلمها فإن الناشر لم يذكر في هذا الكتاب ولكن ذكرت سنة الطبع ١٤١٣هـ.

استدراك الخائب في تقسيم البدعة

بعد أن أنكشف لكثير من علماء العامة بطلان القول بتقسيم البدعة على نحو القطع واليقين وانحصار حقيقتها الشرعية في خصوص مورد الذم والحرمة حاولوا أن يبرروا إطلاق لفظ البدعة على التراويح في مقولة نعمت البدعة هذه من غير المنطلق الذي استند إليه القائلون بالتقسيم ويعالجوها من زاوية جديدة تنسجم مع القول بنفي التقسيم فالقائلون بتقسيم البدعة إلى مذمومة وممدوحة لم يكونوا ليعانوا أمر من مسألة الاستعمال هنا لأنهم يقولون ببساطة استناداً إلى التقسيم المتقدم بأن المراد من البدعة في هذا الحديث نفسه فالحديث إذا يحمل بين طياته حجية القول بالتقسيم ويتضمن مشروعية إطلاق لفظ البدعة على ما لم يكن مذموماً ثم يتخذ القول بالتقسيم الذي يدعي استفادته من هذا الحديث ذريعة لصحة استعمال البدعة في غير مورد الذم بعبارة أخرى أن تقسيم قد بني على طبيعة الاستعمال المذكور في الحديث ومن ثم خرج القول بصحة إطلاق لفظ البدعة على التراويح والذين أصابوا الواقع في القول بنفي التقسيم المذكور فقد تحيروا حقاً في توجيه هذه المقولة وتبرير إطلاق لفظ البدعة على التراويح ومن ثم استحسانها والإطراء عليها أنها استعملت في المعنى الاصطلاحي الشرعي يعني إدخال ما ليس من الدين فيه فيتم بذلك الفضاء المبرم على شرعية التراويح أو أنها استعملت في المعنى اللغوي الذي يعني الحادث الذي ليس له أصل سابق فلا تكون النتيجة في هذا الفرض بأحسن مما سبق أو أن هناك استعمالًا ثالثاً لم نتمكن من الاهتداء إليه هذه الأسئلة أخذت تطرح نفسها بإلحاح أمام النافين للتقسيم المذكور وباتت تنتظر الإجابة الصريحة منهم وفقاً لما توصلوا إليه من نتائج تلك الأبحاث ولا بد أن نلفت نظر القارئ العزيز إلى أن إنّا لسنا بصدد إثبات إطلاق لفظ البدعة الوارد في مقولة نعمت البدعة هذه على معنى دون آخر لأنه سواء أصح هذا الإطلاق أو ذاك فإن صلاة التراويح غير ثابتة لدينا ولم يقم على مشروعيتها أي

دليل شرعي ولكن كلامنا يتجه نحو الطريقة التي يتعامل فيها الكثير من أعلام العامة مع مفردات الثقافة الإسلامية وكيف تكون هذه المفردات الحساسة صحية للتقولات والتبريرات إذ يكون الأساس في البحث والطرح العلمي هو تبرير ما يراد تبريره لأي دافع كان حتى لو اقتضى الأمر حرف المفهوم عن حقيقته واقتصائه عن واقعيته التشريعية وهذا ما لمسناه بشكل مباشر في الكلمات المتقدمة التي بنت تقسيم البدعة على أساس مقولة نعمت البدعة هذه على حساب المعنى الشرعي والواقعي لها والذي تداركه البعض الآخر من هؤلاء الأعلام الذين أبطلوا القول بالتقسيم ولكن هؤلاء وإن أُصابوا في إبطال بالتقسيم إلا أنهم وقعوا في نفس ما وقع فيه الأسبقون حين حاولوا تبرير مقولة نعمت البدعة هذه وتوجيه استعمال هذا اللفظ فيها مع الحرص على القول ببطلان التقسيم وأن البدعة لا تطلق في المصطلح الشرع إلا في مورد الذم والحرمة وإن كنا نحتفظ لأنفسنا بالاعتقاد بأن لفظ البدعة هنا قد استعمل في معناه الشرعي المصطلح والمرتكز في أذهان المسلمين والذي يعني إدخال ما ليس من الدين فيه فنكون قد سجلنا دليلًا من نفس الحديث المذكور على عدم شرعية صلاة التراويح ليضم إلى الأدلة والقرائن الأخرى التي سوف نذكرها لاحقاً لإثبات صحة ما ذهب إليه بإذن الله تعالى ويبقى علينا أن ننتحل العذر لأمر الإعجاب بهذه البدعة والإطراء عليها لما رآه القائل من استجابة مثالية من قبل المسلمين لقراراته التي ينطلق فيها من اعتبار نفسه ناطق باسم الرسالة والدين وممسكاً بزمام الأحكام الشرعية ومؤهلًا لرفعها أو وضعها من الأساس وقبل أن نستعرض بعض الأقوال التي بررت إطلاق لفظ البدعة على صلاة التراويح من قبل النافين للتقسيم نشير إلى هؤلاء قد اتفقوا على أمرين مما تمتلك الأصل الشرعي من خلال ممارسة النبي ﷺ لها بضعة ليالٍ ثم تركها مخالفة الافتراض على الأمة وإن التراويح لا تمتلك أية مطلقاً وليس لها أي أصل في الدين وإنما هي من أصدق مصاديق الابتداع وأن وجدوا تبرير لخراج صلاة التراويح لم يجدوا شيء وإن تم التبرير واستقام في شيء فهو لا يتم في التعامل مع مصطلحات الشرعية الإسلامية وخصوصاً مثل مفهوم البدعة الذي يعد من المفاهيم الإسلامية

الدقيقة الحساسة التي لا يمكن التسامح في أمر تناولها وتطبيقها على الموارد المختلفة من دون تثبت ودقة واستقصاء وخصوصاً من قبل الأشخاص الذين يعتلون المواقع الحساسة التي تطمح إليها الأبصار إذ أن أية مسامحة من هذا القبيل سوف تعرض مفاهيم الشرعية الاصطلاحية إلى التذبذب والارتباك فدل الحديث على أن كل محدثٍ في الدين فهو بدعة وكل بدعة ضلالة مردودة ومعنى ذلك أن البدع في العبادات والاعتقادات محرمة وإن وجدوا التبرير وقالوا البدعة الحسنة والبدعة السيئة وخالطوا مخطين ومخالف لقوله ﷺ فإن كل بدعة ضلالة لأن الرسول حكم على البدعة بأنها ضلالة وهذا يقول ليس كل بدعة ضلالة بل هناك بدعة حسنة وليس لهؤلاء حجة على أن هناك بدعة حسنة إلا قول عمر في صلاة التراويح نعمت البدعة هذه ولكن الشيخ صالح[1] الفوزان يقول بأن الأمر إذا كان كذلك وأن كل بدعة ضلالة من دون أي استثناء فهذا يعني أن من حقنا أن نحمل كلمة البدعة الواردة في مقولة نعمت البدعة هذه على الضلالة المحرمة لأن كل بدعة ضلالة وهذه بدعة فهي إذن ضلالة وهذا لون من ألوان القياس العقلي الذي يقبل التشكيك.

---

(١) صالح الفوزان البدعة ص ٩.

التشبيه والتجسيم

لقد ظلت عقائد التجسيم والتشبيه متنافرة هنا وهناك في أقوال المحدثين ورواياتهم حتى ظهر مقاتل بن سليمان المتوفى سنة ١٥٠ هـ وهو أحد كبار المفسرين الذي ملأ تفسيره حشواً من الإسرائيليات لذلك فقد أجمعت المصادر كما يقول الدكتور علي سامي النشار على كونه مشبهاً ومجسماً وأنه أخذ من علم اليهود والنصارى ما يوافقه لتدعيم تفسيره المشبهي والمجسمي يقول ابن حبان كان يأخذ من اليهود والنصارى ومن علم القرآن الذي يوافقه وكان يكذب في الحديث فتأثر الرجل باليهود والمزدكية ظاهر(١) وجاء بعده مجاهد بن جبر المحدث ونشر حديث المقام المحمود(٢) الذي قام سلف الحشوية الحنبلية بمعارك طاحنة لأجل إثباتها في كل من بغداد ودمشق والقاهرة حيث أبوا إلا أن يجلسوا النبي ﷺ مع ربه على العرش سبحانه وتعالى عما يصفون ومقاتل بن سليمان هذا وغيره من أصحاب الحديث غلوا كثيراً في التجسيم والتشبيه فالله سبحانه وتعالى عما يصفون جسم على صورة لحم ودم له شعر عظيم وجوارح وأعضاء من يد ورجل ولسان وعينين ووجه وأضراس ولهوات وقال بعضهم ما سمعنا بذكر الرأس وقال أخر لا تسألوني عن الفرج واللحية وغير ذلك من الهرطقات التي سيحاول ابن تيمية إمام المعاصرة الدفاع عن بعضها في محاولة لعقلنة هذا الحشو العقائدي الفظيع لقد أصبح التجسيم والتشبيه بعد هذا المحدث والمفسر الكبير مدرسة متكاملة اعتنق أفكارها بعض ممن جاء بعده من المحدثين والفقهاء أمثال أبي عاصم حشيش بن حرم المتوفى سنة ٢٥٤ هـ صاحب كتاب الاستقامة الذي دعم فيه القول بالتجسيم

---

(١) نشأة الفكر الفلسفي كتاب السلفية ص ٢٨٩.

(٢) عن مجاهد ﴿**عسى أن يبعثك ربك مقاماً**﴾ قال يجلسه أو يقعده على العرش يقول الذهبي لهذا القول طرق خمسة وأخرجه ابن جرير في تفسيره وعمل فيه المروزي مصنفاً..

والتشبيه مستنداً للكم الهائل من الإسرائيليات سواء ما وجد في تفسير مقاتل بن سليمان أو ما يتداوله الرواة من أحاديث في هذا المجال وعلى رأسها حديث المقام المحمود الذي أنكره المعتزلة وأهل السنة والجماعة من أشاعرة وماتريدية وقالوا ان المقصود به الشفاعة أما الملطي صاحب كتاب التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع لم ينحرف قيد أنملة عمن سبقه في التجسيم لقد اندمج العوام مع هذه العقائد اندماج كلياً لأن التجسيم والتشبيه أقرب لإفهامهم مخيلاتهم من التنزيه فالتفوا حول دعاة هذه العقائد وآزروهم وعظموا شأنهم كما سيعبرهم السلفيون سلفهم الخاص فيما بعد وإلى هؤلاء الحشوية الأوائل سيرجع الفضل في قيام تيار وحركة حشوية تجسيمية وتشبيهية كبرى في القرن الرابع مع أحد كبار المحدثين الحنابلة وهو بحر بن محمد بن الحسن بن كوثر بن علي البربهاري وهو شيخ الحنابلة ببغداد والذي قدم عليه أبو الحسن الأشعري فكلمه حول انتقاله من الاعتزال ورده على المعتزلة والفرق المنحرفة فقال له البربهاري لا أفهم مما قلت شيئاً يقول المقدسي أما البربهارية فإنهم يجهرون بالتشبيه والمكان ويرون الحكم بالخاطر ويكفرون من خالفهم ويتمسكون بحديث المقام المحمود(١) لقد تطورت فكرة التشبيه والتجسيم لدى أصحاب الحديث كما يرى الدكتور الناشر لتصل إلى الكشف عن إحدى الأفكار الهدامة التي راجت في الساحة الفكرية والدينية الإسلامية وهي فكرة الحلول والاتحاد حيث جوزوا ظهور الله سبحانه وتعالى في صور الأشخاص وخصوصاً الحسنة منها كما ذهب إلى ذلك سلمان الدمشقي ولما جاء الحلاج المقتول بسيف الشرع(٢) سنة٣٠٩هـ وتكلم في الحلول اختلف الفقهاء والصوفية فيه ولكن أجمع المتكلمون جميعاً على تكفيره اللهم إلا طائفة كبرى حشوية مشبهة من الحنابلة ثم فريق من السالمية فقد قبلوه ويقول البغدادي وقبله قوم من متكلمي السالمية بالبصرة ونسبوه إلى حقائق معاني الصوفية ولعل هذا

---

(١) المقدسي البدء والتاريخ ج٥ ص ١٥٠.

(٢) ذهب بعض المحققين قديماً وحديثاً إلى أن الحلاج قتل لأسباب سياسية متعلقة بمناصرته أو مشاركته في ثورة القرامطة..

يفسر تعصب السالمية له من ناحية والنابلة من ناحية أخرى في بغداد وقيامهم بالشغب[1] ومع ظهور فرقة السالمية نسب إلى أبي عبد الله بن سالم البصري المتوفى سنة ٢٩٧هـ عرفت هذه الفكرة أي الاتحاد والحلول انتشاراً واسعاً ولا شك أنها وليدة التجسيم لمؤسسها محمد بن كرام المتوفى سنة٢٥٥ هـ حيث أينعت فكرة التجسيم من جديد وعرفت ازدهار الأمثل له وقد بشر محمد بن كرام بجانب مذهبه في التجسيم بروح الزهد والتنسك فكانت مدرسته مدرسة زهد بلا شك وأن كانت قد ملأت الدنيا ضجيجاً إذ قدمت إلى العالم الإسلامي مذهبا فلسفياً لا يتفق في أصوله وجزئياته مع عقيدة أهل السنة والجماعة الأشاعرة والماتريدية بل لا يتفق مع عقائد فرق المسلمين الأخرى من شيعة ومعتزلة ولكن المذهب عاش في عهد مؤسسه في قلوب الألوف من البشر وتناول القرون من بعده إما قبولًا أو إنكاراً ثم إنه ما زال يعيش حتى الآن في دوائر سلف المتأخرين الحنابلة وهو يعدون بالملايين في عالمنا المعاصر الآن[2] لقد كانت الكرامية مجسمة غالى صاحبها في إثبات العرشية والفوقية وأكد على أن الله جسم ولكن ليس كالأجسام وأنه مستقر على العرش ومماس له كما قال الكرامية بقيام الحوادث بذات الله وجاءت بآراء ومعتقدات خالفت فيها الفرق الإسلامية جميعاً وعلى رأسهم أهل السنة والجماعة إلا أن لهم رأياً متميزاً يخص النبوة والنبي والرسول والمرسل وقد قام الدكتور النشار بتخريج لطيف له يربط بينه وبين عقيدة السلفية المعاصرة في موقفها من الرسول ﷺ وقبره وشد الرحال إليه لقد ذهبت الكرامية إلى أن النبوة والرسالة عرضان حالان في النبي والرسول منفصلتان تمام الانفصال عن الوحي إليه وعن ظهور المعجزات على يديه وعن عصمته عن الخطأ والمعصية فمن فعل الله فيه تلك الصفة وجب على الله تعالى إرساله وتضع الكرامية تمييزاً بين الرسول والمرسل فالرسول من حصل فيه ذاك المعنى وأنه يجب على الله يرسله إلى الناس رسولًا بهذا المعنى فإذا أرسل يكون مرسلًا ولم يكن من قبله من المرسلين بل

---

(١) نشأة الفكر الفلسفي م س ص٢٩٣.
(٢) نفس المصدر ص ٢٩٧.

رسولًا فقط ولهذا يقولون إن النبي ﷺ في قبره رسول وليس بمرسل وقد عارض أهل السنة هذا التمييز الدقيق بين الرسول والمرسل وقرروا أن الرسول ﷺ في القبر رسول ومرسل ولكن ما هو السر الحقيقي في هذا التمييز عند الكرامية أما التفسير الذي أراه أقرب للحقيقة يقول النشار فهو أن الكرامية كانت ترمي إلى غرض بعيد وهو عدم إسباغ القداسة على الرسول في قبره وعدم شد الرحال إليه مخالفة في هذا رأي أهل السنة فقررت الكرامية أن النبوة والرسالة كانتا عرضين أو معنيين ألقاهما الله فيه أزلًا ثم أدى رسالته بمفهوم المرسل عند الكرامية ثم انتهى عمله هو انتهى الرسول والمرسل والرسالة باقية فلا إسباغ للقداسة عليه ويتضح هذا من موقف خلف الكرامية من حقيقة الرسول ووقوفهم أمام قبره فهم أن تصادف وقوفهم أمامه يسلمون عليه ويقولون لقد أديت الرسالة ومن عدم اعتبار زيارة الرسول فرضاً أو نفلًا أن الغرض فقط هو حج الكعبة المقدسة والنقل هل العمرة أن الكلام كما نعلم أو شق اتصالًا بالفقه وقد أثرت الكرامية في سلف المتأخرين ونادى ابن بَما نادى به الكرامية واحتضن الجنابلة المتأخرون هذه الآراء وظهرت على أقوى صورة لدى الوهابيين بعد وأصبحت جزءاً من عقائدهم[1] لقد عاشت الكرامية بعد موت مؤسسها ثم تلقى المذهب عالم من أكبر علماء السلف وصوفي من أرقى الصوفية هو الهروي الأنصاري ثم احتضنها سلفي متأخر ومفكر من أكبر مفكري الإسلام وهو تقي الدين تيمية أو بمعنى أدق سار الحشو في طريقه بدعم فكرة التشبيه والتجسيم ويجتذب إليه مجموعة من أذكى رجالات الفكر الإسلامي[2] وإن كان ابن تيمية سيتجه بهذا اتجاه نحو عقلنته بجمع متناقضاته وآرائه المختلفة المشارب والاتجاهات وصبها في قالب عنه أنه مذهب أهل الحق من السلف والخلف وتبعه في ذلك تلميذ ابن قيم الجوزي وحمل راية الدعوة إلى ذلك بالسيف محمد بن عبد الوهاب النجدي الحنبلي واتباعه حيث السعي الجاد اليوم لنشر هذه المعتقدات والآراء في العالم الإسلامي ومحاربة غيرها لقد كانت البذرة الأولى للتشبيه إما وافدة على البيئة الإسلامية ضمن المؤامرة على عقيدة

---

(١) نشأة الفكر الفلسفي ص ٣٠٨ إلى ٣١٠.

(٢) نشأة الفكر الفلسفي ص ٣١١.

التوحيد الخالص أو وليدة هذه البيئة نفسها نتيجة سوء الفهم لبعض النصوص الإسلامية لذلك فالحشو والتشبيه وما ينتهيان إليه من تجسيم قد نبتا في صفوف المسلمين وصار ممثلون بين الفرق المختلفة وهناك حشوية مشبهة تنتمي إلى الحنابلة وإن تبرأ منها محققو الحنبلة أنفسهم[١] وهؤلاء هم الذين يطلقون على أنفسهم اليوم أسم السلفية وهم في الحقيقة حشوية الحنابلة ونسبتهم للحنابلة لأنهم يدعون أنهم على ما كان عليه الإمام أحمد بن حنبل في الأصول والفروع وسنناقشهم في الفصول القادمة حول هذه النسبة لنعرف حقيقة ومدى ارتباطهم بفكر ومنهج هذا المحدث الكبير يلاحظ القارئ أننا انتهينا إلى حقيقة مفادها أن فرقة السلفية المعاصرة اليوم هي تيار حشوي له جذور عميقة في التاريخ الفكري للحشو وعقائده وأنه مذهب انتقائي تكاد ترجع أغلب آرائه في العقائد الإسرائيليات التي حشا بها الرواة من الأعراب ومتأسلمة اليهود والنصارى أحاديث الرسول ﷺ ولنا عودة لنقاش هذه العقائد بالتفصيل في محله إن شاء الله على أن مصطلح الحشوية الحنبلية ليس من مبتكرات خصوم السلفية اليوم وإنما ورد في كثير من كتب التاريخ وكان يقصد به سلف السلفية الوهابية المعاصرة فقد ذكر ابن عساكر في كتابه تبيين كذب المفتري على الإمام أبي الحسن الأشعري قوله وفي منتصف القرن الخامس استفحل أمر هؤلاء الحشوية ببغداد حتى أخطر أمثال أبي إسحاق الشيرازي وأبي بكر الشاشي وغيرهما من أئمة الشافعية ان يكتبوا محضراً عليه خطوطهم ورفعوه إلى نظام الملك ومن جملة ما فيه أن جماعة الحشوية والأوباش الرعاع المتسمين بالحنابلة أظهروا ببغداد من البدع الفظيعة والمجازي الشنيعة ما لم يتسع به ملحد فضلًا عن موحد والبدع الفظيعة[٢] التي ذكرها النص ليست سوى قولهم واعتقادهم مذاهب التشبيه والتجسيم مما أخذ عن أهل الكتاب من اليهود والنصارى وغيرهم.

---

(١) المدخل إلى عالم الكلام ص ٧٧ مثل ابن الجوزي الذي ذم أصحاب الحنابلة لاعتقادهم الحشو والتشبيه والتجسيم..

(٢) هذه عقيدة السلف من التشبيه والتجسيم وراجع إلى كتابنا هاك الدليل وهات البديل..

التعاون السلفي اليهودي ضد الجهاد المقدس

لقد صدر عدة فتاوى من علماء السلفية في هذا العصر وفي العصر الماضي أقصد في زمن ابن تيمية ضد الجهاد والجهاد المقدس من المقدسات الإسلامية التي حث الله ورسوله عليه واعتبر الشرع أن الجهاد أحد الفرائض المحسوبة على المسلم وأجد في هذا الزمن تعاون بين اليهود والنصارى تعاوناً كبير على المسلمين ولا يستطيع مسلم أن ينكر هذا التعاون بين السلفية واليهود بفتوى علماء السلفية وقد أفتوا لصالح اليهود عدة فتاوى وهي مخلةً بشرع المقدس ومخالفة للإسلام ولصالح اليهود كما صدر في مجلة الاصالة السلفية التي تطبع في الأردن عن مركز الإمام الألباني للدراسات المنهجية والأبحاث العلمية وهذه المجلة توجد فيها عدة فتاوى للشيخ الألباني وغيره من علماء السلفية وقد صدر فيه تحت عدد ٣٨/ في ١٥/ربيع الأول عام ١٤٢٣ هـ في صفحة ٤٤ نماذج فتاوى علماء السلفية وأول فتوى لصالح اليهود هي تحريم العملية الاستشهادية قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين فأما ما يفعله بعض الناس من الانتحار بحيث يحمل آلات متفجرات ويتقدم بها إلى الكفار ثم يفجرها إذا كان بينهم فإن هذا من قتل النفس والعياذ بالله ومن قتل نفسه فهو خالد مخلد في نار جهنم أبد الآبدين كما جاء في الحديث عن النبي ﷺ لأن هذا قتل نفسه لا في مصلحة الإسلام لأنه إذا قتل نفسه وقتل عشرة أو مائة أو مائتين لم ينفع الإسلام بذلك فلم يسلم الناس وهذا ربما يتعنت العدو أكثر ويوغر صدره هذا العمل حتى يفتك بالمسلمين أشد فتك كما يوجد من صنع اليهود مع أهل فلسطين فإن أهل فلسطين إذا مات الواحد منهم بهذه المتفجرات وقتل ستة أو سبعة أخذوا من جراء ذلك ستين نفر أو أكثر فلم يحصل في ذلك نفع للمسلمين ولا انتفاع للذين فجرت المتفجرات في صفوفهم ولهذا نرى أن ما يفعله بعض الناس من هذا الانتحار نرى أنه قتل للنفس بغير حق وأنه موجب لدخول النار والعياذ بالله وأن صاحبه ليس بشهيد وأن الذي يجعل المتفجرات في جسمه

من أجل أن يضع نفسه في مجتمع من المجتمعات العدو قاتل لنفسه وسيعذب بما قتل به نفسه في نار جهنم خالداً فيها مخلداً ويسترسل الشيخ ويقول عجب من هؤلاء الذين يقاومون بمثل هذه العمليات ما قرؤوا القرآن قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء: ٢٩] ويقول الشيخ الألباني أن هذه العملية هي عملية أفراد يثورون انتقاماً لأرضهم فذلك ليس جهاداً وقال حكم المظاهرات بدعة وليس لها أصل في الدين أولًا أن هذه المظاهرات أقيمت لنصر الدين ولإعلاء كلمة المسلمين خاصة في بلاد الإسلامية فهي عبادة في نظر المقيمين لها وباب من أبواب الجهاد عندهم ومن المعلوم أن العبادة الأصل فيها الخطر إلا ما دل عليه دليل لذا كان فعلها من هذا الباب بدعة وحدث من المحدثات وقد قال ﷺ من أحدث في أمرنا هذا ما ليس عليه أمرنا وأن فيها تشبهاً بالكفار وقد قال النبي ﷺ من تشبه بقوم فهو منهم إذ لم تعرف هذه المظاهرات في تاريخ المسلمين وما عرفت إلا بعد اختلاطهم بأهل الكفر أنها لا تحق حقاً ولا تبطل باطلًا في الغالب وهذا العالم يتظاهر بأسره لوقف عدوان اليهود على فلسطين فهل توقفوا أم ازداد شرهم لما رأوا نجدة الضعفاء ولو قال قائل إنها من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لقيل لا ينكر المنكر بمثله لأن المنكر لا ينكره إلا من عرف الحق من الباطل فأنكر عن علم وبصيرة ولا يعهد منكر أنكر بهذا الأسلوب من الأهداف الخفية وراء إقامة المظاهرات فإذا خرجوا وصاحوا وجالوا في الشوارع عادوا إلى منازلهم وقد ذهب شيء كبير مما في صدورهم فيحصل لهم من العناء ما الله به عليم والواجب عليهم توظيف هذا الحماس في طاعة الله وتعلم العلم النافع والعمل الصالح والدعاء ولا عداء لأعداء عملًا بقوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠] لأنه يتخللها من المنكرات الشيء الكثير كالسب البذيء وساقط القول يدل على حرمتها أن من المقرر في شريعة الإسلام أن كل عمل مفاسده أكثر من مصالحه فهو حرام وقد تؤتي هذه المظاهرات بعض الغرض كرخص السلع لكن فيها من المفاسد ما هو أكثر من المصالح خصوصاً أن كانت ملبسة بلباس

الدين والدفاع عن المقدسات أن هؤلاء المتظاهرين يعيشون في الأرض فساداً فيقتلون وينهبون ويحرقون ويتعدون على الأنفس والممتلكات. هذا دفاع السلفية عن إخوانهم اليهود وأساتذتهم وكل كلام تكلم به على المسلمين أخذوه ثمنه منهم بشيك من البنك أو برميل نفط أو دولارات من البنوك الأميركية ولا تختلف الخامات اليهود عن السلفية بكثير كلهم أبناء جلدة واحد لأنهم ما قرؤوا سورة الأخدود ولم يقروا حديث قصة الأخدود كيف الناس تضرم أنفسهم ألنار في نصرة دين الله وكيف بغلام نادى الملك ودلهم على قتل نفسه في سبيل ينتصر الدين وانتصر الدين بقتل الغلام وأضرمت الناس أنفسهم في الأخدود وكان فيه سكك حديدية ولم يخشوا الله وأن في حديث الذي تحتجون به ليس حجةً لكم بل حجةً عليكم أقول وبهذه الفتوى تخشون اليهود والنصارى على الإسلام والمسلمين فأين أنتم من الدين ومن الإسلام فأنتم تشتغلون لصالح اليهود وليس لصالح الإسلام فلماذا كل هذه المتعب وقراءة القرآن والصلاة وإنما تصلون حتى تطغون على الناس وإلى الآن ما قامت في السعودية مظاهرة مطلقاً لأن السعودية تحرم المظاهرات وما هذه المظاهرات لا من الدين الإسلامية ولا أريد أن أعطي دليل عليها حتى لا يطيل البحث علينا وإن شاء الله سوف أكتب كتاب بهذا الشأن.



الحث على زيارة القبور

لقد وردت أحاديث عن النبي الأقدس ﷺ في الحث على زيارة القبور وهذه الأحاديث وردت في صحاح أهل السنة قبل الشيعة بالحث على زيارة القبور وأصفقت آراء أعلام المذاهب الإسلامية على الفتيا بمفاده وأنها تستحب بل قال بعض الظاهرية بوجوبها كما نص عليه غير واحد أخذ بظاهر الأمر وإليك جملة من تلك النصوص عن بريدة مرفوعاً كنت نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها وزاد الترمذي فقد أذن الله لنبيه ﷺ في زيارة قبر أمه[1] عن عبيد الله بن مسعود مرفوعاً في حديث ألا فزوروا القبور فإنها تزهد في الدنيا وتذكر بالآخرة[2] عن أنس بن مالك مرفوعاً نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإنها تذكركم الموت[3] عن ابن عباس مرفوعاً نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها ولا تقولوا هجراً[4] عن زيد بن الخطاب في حديث مرفوعاً إني كنت نهيتكم عن زيارة القبور فمن شاء منكم أن يزور فليزر[5] عن أبي هريرة مرفوعاً فزوروا القبور فإنها تذكركم الموت[6] عن

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه والنسائي في السنن ج٤ ص ٨٩ والحاكم في المستدرك ج١ ص ٣٧٤ عن الصحيحين البخاري ومسلم والبغوي السنةج١ ص ١١٦ والمنذري في الترغيب والترهيب ج٤ ص ١١٨ وابن الربيع في التيسير الوصول ج٤ ص ٢١٠.

(٢) أخرجه ابن ماجة في سننه ج١ ص ٤٧٦ الأزرقي في أخبار مكة ج٢ ص ١٧٠ والحاكم في المستدرك ج١ ص٣٧٥ والترغيب والترهيب ج٤ ص١١٨ والبيهقي في السنن الكبرى ج٤ ص٧٧.

(٣) المستدرك ج١ ص ٣٧٥.

(٤) أخرجه الطبراني في الكبير والأوسط كما في مجمع الزوائد للهيثمي ج٣ ص ٥٨.

(٥) مسند أحمد ج١ ص ٤٤١ وابن ماجة في السنن ج١ ص ٤٧٦ وأبو داود في سننه ج٢ ص ٧٢ والنسائي في السنن ج٤ ص ٩٠ والحاكم في المستدرك ج١ ص ٣٧٦ والبيهقي في سننه الكبرى ج٤ ص ٧٦ والمنذري في الترغيب والترهيب ج٤ ص ١١٨.

(٦) المستدرك ج١ ص ٣٧٦ وصححه الذهبي والبيهقي في سننه ج٤ ص ٧٦.

بريدة مرفوعاً إني كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها وليزدكم زيارتها خيراً[١] وعن أنس بن مالك مرفوعاً إني كنت نهيتكم عن زيارة القبور فمن شاء أن يزور قبراً فليزره فإنه يرق القلب ويدمع العين ويذكر الآخرة ولا تقولوا هجراً[٢] عن طلحة بن عبد الله قال خرجنا مع رسول الله ﷺ يريد قبور الشهداء إلى أن قال فلما جئنا قبور الشهداء قال هذه قبور إخواننا[٣] وعن أم سلمة مرفوعاً نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإن لكم فيها عبرة[٤] وعن عائشة في حديث مرفوعاً ألا فزوروا إخوانكم وسلموا عليهم فإن فيهم عبرة وعن ابن عباس قال مر رسول الله بقبور المدينة فأقبل عليهم بوجهه فقال السلام عليكم يا أهل القبور يغفر الله لنا ولكم أنتم سلفنا ونحن بالأثر[٥] عن مجمع بن حارثة قال خرج النبي ﷺ في جنازة حتى انتهى إلى المقبرة فقال السلام على أهل القبور ثلاث مرات من كان منكم من المؤمنين والمسلمين وأنتم لنا فرط ونحن لكم تبع عافانا الله وإياكم[٦] وعلى هذه الأحاديث الواردة في الصحاح بُني آراء أعلام المذاهب الإسلامية واستدلوا على زيارة القبور من خلال هذه الأحاديث بُني الحكم الشرعي وقالوا المالكية بجواز زيارة القبور بل استحباباً أن يزور كل مسلم قبر مسلم ويدعي له ويقرأ له القرآن له حتى يشفع له فيه[٧] وقالوا الشافعية تندب زيارة القبور للرجال لتذكر الآخرة وتكره من النساء لجزعهن وقلة صبرهن ومحل الكراهة فقط إن لم يشتمل اجتماعهن على المحارم والإحرام ويستثنى من ذلك قبر نبيينا ﷺ فتندب لهن زيارته وينبغي كما قال ابن الرفعة أن قبور الأنبياء والأولياء كذلك[٨] وقالت الحنفية في زيارة القبور

---

(١) مسند أحمد ج٣ ص ٢٣٧ والحاكم في المستدرك ج١ ص ٣٧٦.

(٢) أخرجه أبو داود في سننه ج١ ص ٣١٩ والبيهقي في السنن الكبرى ج٥ ص ٢٤٩.

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير كما في مجمع الزوائد للحافظ الهيثمي ج٣ ص ٥٨.

(٤) مجمع الزوائد ج٣ ص ٥٨.

(٥) البغوي في المصابيح ج١١ ص ١١٦.

(٦) مجمع الزوائد ج٣ ص ٦٠.

(٧) المدخل ج١ ص ٢٥٤.

(٨) الباجوري في حاشية على شرح ابن القزي ج١ ص ٢٧٧ والمغني ج١ ص ٣٥٧.

الأمر فيها للرخصة أو الاستحباب وعليه الجمهور بل ادعى بعضهم الإجماع بل حكى ابن عبد البر عن بعضهم ووجوبها[1] وقالت الحنابلة بجواز زيارة القبور وقراءة القرآن والدعاء لهم والتوسل بهم [2]وقالت فقهاء المذاهب الأربعة[3] مؤلفو كتاب الفقه على المذاهب الأربعة زيارة القبور ومندوبة للاتعاظ وتذكر الآخرة وتتأكد يوم الجمعة ويوم قبلها ويوم بعدها وينبغي للزائر الاشتغال بالدعاء والتضرع والاعتبار بالموتى وقراءة القرآن للميت فإن ينفع الميت على الأصح وهذه آراء أئمة المذاهب الأربعة وأعلامها فكيف ابن تيمية وغيره يقولون ذلك فلا يحق لهم أن يقولوا شيء أمام كبار علماء وأئمة المذاهب وثقة العامة من الناس فهؤلاء عندهم عقدة في أنفسهم لذلك الله عز وجل جعل قبورهم بأوسخ مكان مثل ابن تيمية وغيره وتلاميذه وهو يعذب في قبره بسبب فتواه التي خالف الدين الحنيف.



(١) المرقاة في شرح المشكاة ج٢ ص ٤٠٤ وكتاب رد المحتار على المختار ج١ ص ٦٣٠.

(٢) المغني لابن قدامة ج١ ص ٦٠٤.

(٣) الفقه على المذاهب الأربعة ج١ ص ٤٢٤.

الحث على زيارة قبر النبي ﷺ

أخرج أئمة المذاهب الأربعة وحفاظها في الصحاح والمسانيد أحاديث جمة في زيارة قبر النبي الأكرم صلوات الله عليه وآله ونحن نذكر شطراً منها وثم نرجع ونعود أنواع الزيارة. والأحاديث التي تدل على حث المسلمين للزيارة قبر النبي ﷺ وهناك أحاديث كثيرة تدل على هؤلاء السلفية الذين يحرمون السفر لزيارة قبر النبي ﷺ ومن الأحاديث لقد جاء عن عبد الله بن عمر مرفوعاً إلى رسول الله ﷺ من جاءني زائراً لا تعمله إلا زيارتي كان حقاً عليَّ أن أكون له شفيعاً يوم القيامة وفي لفظ لا تحمله إلا زيارتي وفي آخر تنزعه حاجة إلا زيارتي وفي رابع لا ينزعه إلا زيارتي كان حقاً على الله عز وجل وفي الخامس للغزالي لا يهمه إلا زيارتي أخرجه جمع من الحفاظ لا يستهان بهم أولًا الحافظ أبو علي سعيد ابن عثمان بن السكن البغدادي المتوفى بمصر سنة ٣٥٣ في كتابه السنن الصحاح جعل في آخر كتاب الحج باب ثواب من زار قبر النبي ﷺ ولم يذكر في الباب غير هذا الحديث قال السبكي في شفاء السقام ص ١٦ وذلك منه حكم بأنه مجمع على صحته بمقتضى شرطه في الخطبة وابن السكن هذا إمام حافظ شقة كثير الحديث واسع الرحلة والذين نقلوا هذا الحديث:

١ - الحافظ أبو القاسم الطبراني المتوفى ٣٦٠ أخرجه في معجمه الكبير.

٢ - الحافظ أبو الحسن الدارقطني المتوفى ٣٨٥ أخرجه في أماليه.

٣ - القاظي أبو الحسن علي بن الحسن الخلعي الشافعي والمتوفى ٤٩٢ صاحب الفوائد.

٤ - حجة الإسلام أبو حامد الغزالي الشافعي المتوفى ٥٠٥في إحياء علوم الدين ج١ص٢٤٦.

٥ - الحافظ يحيى بن علي القرشي الأموي المالكي المتوفى ٦٦٢.

٦ - تقي الدين السبكي الشافعي المتوفي ٧٥٦ فصل القول في طرق هذا الحديث وأخرجه من طرق شتى وصححه في شفاء السقام ص١٣ وص ١٦.

٧ - السيد نور الدين علي بن عبد الله الشافعي المتوفى ٩١١ وفاء الوفاء ج٢ ص ٣٩٦.

٨ - أبو العباس شهاب الدين القسطلاني المتوفى ٩٢٣ في المواهب اللدنية.

٩ - الشيخ محمد الخطيب الشربيني المتوفى ٩٧٧ في مغني المحتاج شرح المنهاج ج ١ ص ٤٩٤.

١٠ - الحافظ عبد الرزاق أبو بكر الصنعاني المتوفى ٢٢١.

١١ - الحافظ أبو العباس الحسن بن سفيان الشيباني المتوفى ٣٠٣.

١٢ - الحافظ جلال الدين السيوطي المتوفى ٩١١ في الجامع الكبير كما في ترتيبه ج٨ ص ٩٩.

١٣ - الحافظ أبو بكر البيهقي المتوفى ٤٥٨ في سننه ج٥ ص ٢٤٦.

وهناك مائة وخمسون عالم من كبار علماء أهل السنة ومحدثيهم يذكرون هذا الحديث ويقولون بفضل زيارة الرسول وشد الراحل إليها ولا نريد أن نذكر الأسماء البقية لأنه يطول بنا الكلام وسنذكر حديث آخر عن انس بن مالك مرفوعاً إلى النبي قال من زارني ميتاً فكأنما زارني حياً ومن زار قبري وجبت له شفاعتي يوم القيامة وما من أحد من أمتي له سعة ثم لم يزرني فليس له عذر أخرجه جملة من الحفاظ:

١ - الحافظ أبو عبد الله محمد بن محمود بن النجار المتوفى ٦٤٣ في كتابه الدرر الثمينة في فضائل المدينة.

٢ - تقي السبكي المتوفى ٧٥٦ في شفاء السقام ص ٢٨

٣ - الحافظ زين العراقي المتوفى ٨٠٦ أشار إليه كما في المواهب

٤ - السيد نور الدين السمهودي المتوفى ٩١١ في وفاء ج٢ ص ٤٠٠

٥ - أبو العباس شهاب الدين القسطلاني المتوفى ٩٢٣ في المواهب اللدنية

٦ - العجلوني المتوفى ١١٦٢ في كشف الخفاء ج٣ ص ٢٧٨.

وعن ابن عباس قال سمعت رسول الله يقول من زارني في مماتي كان كمن زارني في حياتي ومن زارني حتى ينتهي إلى قبري كنت له يوم القيامة شهيداً أو قال شفيعاً أخرجه الحافظ أبو جعفر العقيلي المتوفى ٣٢٢ في كتاب الضعفاء في الترجمة فضالة بن سعيد المازني والحافظ ابن عساكر المتوفى ٥٧١ كما في شفاء السقام ص ٢١ ووفاء ج٢ ص ٤٠١ ونيل الأوطار للشوكاني ج٤ ص ٣٢٥ و٣٢٦ وعن علي أمير المؤمنين قال سمعت رسول الله يقول من زار قبري بعد مماتي فكأنما زارني في حياتي ومن لم يزر قبري فقد جفاني أخرجه:

١ - أبو الحسين يحيى بن الحسن بن جعفر الحسيني في كتابه أخبار المدينة.

٢ - أبو سعيد عبد الملك بن محمد النيسابوري الخركوشي المتوفى ٤٠٦ في شرف المصطفى.

٣ - الحافظ ابن عساكر المتوفى ٥٧١.

٤ - الحافظ أبو عبد الله ابن النجار المتوفى ٦٤٣ في كتاب الدرة الثمينة.

٥ - الحافظ عبد المؤمن الدمياطي المتوفى ٧٠٥.

٦ - تقي الدين السبكي المتوفى ٧٥٦ في شفاء السقام ص ٢٩.

٧ - الشيخ شعيب الحريفيش المتوفى ٨٠١ في الروض الفائق ج٢ ص ١٣٧.

٨ - السيد نور الدين السمهودي المتوفى ٩١١ في وفاء الوفا ج٢ ص ٤٠١.

٩ - زين الدين عبد الرؤف المناوي المتوفى ١٠٣١ في كنوز الحقائق ص ١٤١.

وعن بكر بن عبد الله مرفوعاً من أتى المدينة زائراً لي وجبت له شفاعتي يوم القيامة ومن مات في أحد الحرمين بعث أمنا أخرجه أبو الحسين يحيى بن الحسن الحسيني في كتابه أخبار المدينة كما في شفاء السقام للسبكي ص ٣٠ ووفاء الوفا للسمهودي ج٢ ص ٤٠٢.

عن عبد الله بن عمر قال سمعت رسول الله يقول من زارني بعد موت فكأنما زارني في حياتي أخرجه:

١ - الحافظ سعيد بن منصور النسائي أبو عثمان الخراساني المتوفى ٢٢٧.

٢ - الحافظ أبو القاسم الطبراني المتوفى ٢٦٠.

٣ - الحافظ أبو أحمد ابن عدي المتوفى ٣٦٥.

٤ - الحافظ أبو الشيخ الأنصاري المتوفى ٣٦٩.

٥ - الحافظ أبو الحسن الدارقطني المتوفى ٣٨٥.

٦ - الحافظ أبو بكر البيهقي المتوفى ٤٥٨.

٧ - القاضي عياض المالكي المتوفى ٥٤٤.

٨ - قاضي القضاة الخفاجي الحنفي المتوفى ١٠٦٩في شرح الشفاء ج٣ ص ٥٦٥.

وعن ابن عباس يقول سمعت رسول الله يقول من حج إلى مكة ثم قصدني في مسجدي كتبت له حجتان مبرورتان أخرجه الفردوس في مسنده كما في وفاء الوفا ج٢ ص ٤٠١ ونيل الأوطار ج٤ ص ٣٢٦ قال رسول الله ﷺ من زارني بعد وفاتي وسلم عليَّ رددت عليه السلام عشراً وزاره عشرة من الملائكة كلهم يسلمون عليه ومن سلم عليَّ في بيته رد الله تعالى عليَّ روحي اسلم عليه ذكره الشيخ شعيب الحريفيش المتوفى ٨٠١ في الروض الفائق ج٢ ص ١٣٧ عن أبي عبد الله محمد ابن العلاء رحمه الله قال دخلت المدينة وقد غلب علي الجوع فزرت قبر النبي ﷺ وسلمت عليه وعلى الشيخين وقلت يا رسول الله جئت وبي من الفاقة والجوع ما لا يعلمه إلا الله عز وجل وأنا ضيفك في هذه الليلة ثم غلبني النوم فرأيت النبي ﷺ في المنام فأعطاني رغيفاً فأكلت نصفه ثم انتبهت من المنام وفي يدي نصفه الآخر فتحقق عندي قول النبي ﷺ من رآني في المنام فقد رآني حقاً فإن الشيطان لا يتمثل بي ثم نوديت يا أبا عبد الله لا يزور قبري أحد إلا غفر له ونال

شفاعتي غداً ذكره الشيخ الحريفيش في الروض الفائق ج٢ ص ١٣٨ فقال في المعنى:

من زار قبر محمد نال الشفاعة في غد
بالله كرر ذكره وحديثه يا منشدي
واجعل صلاتك دائماً دهراً عليه تهتدي
فهو الرسول المصطفى ذو الجود الكف الندي
وهو المشفع في الورى من هول يوم الموعد
والحوض مخصوص به في الحشر عذب المورد
صلى عليه ربنا ما لا بجم الفرقد

مرفوعاً عنه ﷺ: «لا عذر لمن كان له سعة من أمتي ولم يزرني» رواه الشيخ عبد الرحمن شيخ زاده في مجمع الأنهر في شرح الملتقى الأبحر ج١ ص ١٥٧ وعده من أدلة الباب من دون غمز فيه

وعن أمير المؤمنين عليه السلام من زار قبر رسول الله ﷺ كان في جواره أخرجه ابن عساكر كما في نيل الأوطار الشوكاني ج٤ ص ٣٢٦

وهذه الأحاديث تدل على الحث لزيارة قبر النبي ﷺ وهو من الأحاديث الصحيحة ولم تضعف مطلقاً من قبل علماء الحديث وحث علماء الحديث على زيارة قبر النبي وجوزوا السفر إلى قبر النبي ولم يضلوا أحد من المسلمين فإن قلتم نخش الإفراط في تعظيمه أن يعبد أقول هذا كلام تقشعر منه الجلود ولولا خشية اغترار الجهال به لما ذكرته فإن فيه تركاً لما دلت عليه الأدلة الشرعية بالآراء الفاسدة الخيالية وكيف نقوم على تخصيص قوله ﷺ زوروا القبور وعلى ترك قوله من زار قبري وجبت له شفاعتي وعلى مخالفة إجماع السلف والخلف بمثل هذا الخيال الذي لم يشهد به كتاب ولا سنة بخلاف النهي عن اتخاذه مسجداً وكون الصحابة احترزوا عن ذلك المعنى المذكور لأن ذلك قد ورد النهي فيه وليس لنا نشرع أحكاماً من قبلنا أم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله فمن منع

زيارة قبر النبي ﷺ فقد شرع من الدين والتعظيم والوقوف عند الحد الذي لا يجوز مجاورته بالأدلة الشرعية وبذلك يحصل الأمر من عبادة غير الله تعالى ومن أراد الله ضلاله من أفراد من الجهال فلن يستطيع أحد هدايته فمن ترك شيئاً من التعظيم المشروع لمنصب النبوة زاعماً بذلك الأدب مع الربوبية فقد كذب على الله تعالى وضيع ما أمر به في حق رسله كما أن من أفرط وجاوز الحد إلى جانب الربوبية فقد كذب على رسل الله وضيع ما أمروا به في حق ربهم سبحانه وتعالى والعدل حفظ ما أمر الله به في الجانبين وليس في الزيارة المشروعة من التعظيم ما يفضي إلى محذور لقد وقع من ابن تيمية مما ذكر وإن كان عشرة لا تقال أبداً ومصيبة يستمر شؤمها سرمداً وليس بعجيب فإنه سولت له نفسه وهواه وشيطانه أنه ضرب المجتهدين بسهم صائب وما درى المحروم أنه أتى بأقبح المصائب إذ خالف إجماعهم في مسائل كثيرة وتدارك على أئمتهم سيما الخلفاء الراشدين باعتراضات سخيفة شهيرة حتى تجاوز إلى الجناب الأقدس المنزه سبحانه عن كل نقص والمستحق لكل كمال أنفس فنسب إليه الكبائر والعظام وفرق سياج عظمته بما أظهر للعامة على المنابر من دعوى الجهة والتجسيم والتظليل من لم يعتقد ذلك من المتقدمين والمتأخرين حتى قام عليه علماء عصره وألزموا السلطان بقتله أو حبسه وقهره فحبسه إلى أن مات وخمدت تلك البدع وزالت تلك الضلالات ثم انتصر له أتباع لم يرفع الله لهم رأساً ولم يظهر لهم جاهاً ولا بأساً بل ضربت عليهم الذلة والمسكنة وباؤوا بغضب من الله ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون وقال الشيخ زين الدين عبد الرؤف المناوي المتوفى ١٠٣١ في شرح الجامع الصغير ج٦ ص ١٤٠ وزيارة قبره ﷺ الشريف من كمالات الحج بل زيارته عند الصوفية فرض وعندهم الهجرة إلى قبره كهي إليه حياً قال الحكيم زيارة قبر المصطفى ﷺ هجرة المضطرين هاجروا إليه فوجدوه مقبوضاً فانصرفوا فحقيق أن لا يخيبهم بل يوجب لهم شفاعة تقيم حرمة زيارتهم وقال قاضي القضاة شهاب الدين الخفاجي الحنفي المصري المتوفى ١٠٦٩ في شرح الشفاء ج٣ ص ٥٦٦ واعلم أن هذا الحديث هو الذي دعا ابن تيمية ومن معه كابن القيم إلى مقاتله الشنيعة التي كفروه

بها وصنف فيها السبكي مصنفاً فيها مستقلًا وهي منعه من زيارة قبر النبي ﷺ وشد الرحال إليه وهو كما قيل:

لمهبط الوحي حقاً النجب وعند ذاك المرجى ينتهي الطلب

فتواهم أنه حمى جانب التوحيد بخرافات لا ينبغي ذكرها فإنها لا تصدر عن عاقل فضلًا عن صاحب مذهب ولكن هذا المذهب مبتدع وكلمة لا يعد به ولا يأخذ منه لأعند أتباعه الذين طمس الله على قلوبهم وهؤلاء لا يفقهون لا في الإسلام والدين ولا الحياة إنما يعرفون ويحفظون من الإسلام لا كلمة شرك وكفر أو الخيانة والقدر والنصب والاحتيال على الناس ويعرفون الكبسة والتمن والنساء فهم لا يفقهون لا في الدنيا شيء أكبهم الله نار جهنم ومن أزرهم أمين يا رب العالمين.



الوهابية هم الخوارج

ينص علماء الوهابية على كل من خافهم بخوارج من الدين وتكفير والزندقة والشرك ويجدون متعة كبيرة في نبش قبور الصحابة الذين كانوا في الطائف كعبد الله بن عمرو وأين قبر عبد الله بن عباس وأين قبور كثير من الصحابة وبالأخص قبور الموالين لعلي بن أبي طالب ويقولون نحن مجتهدون والجهاد بالرأي إن لم يصطدم مع كتاب الله وسنة رسوله ليس بمخرج من الدين ولكننا سنبين بما لا يدع مجال للشك من هم الخوارج عن الدين ومن هم مستحقين التكفير والزندقة والشرك وغيرها من الأمور هل هم الوهابية أم غيرهم من المسلمين بل الوهابية هم الخوارج وردت أحاديث كثيرة تنذر خروج فرقة من الدين تستمل دماء الموحدين وتترك أهل الأوثان وقد حاول البعض صرفها في صحابة الرسول الكريم من أهل النهروان تعصباً للإمام علي وكأنه غاب عن بال هؤلاء أن ممن خرج على الإمام أيضاً أهل الجمل بقيادة أم المؤمنين عائشة وصحابة الرسول الكريم وأهل صفين بقيادة معاوية وعمرو بن العاص والذين يروجون لهذا التأويل الباطل هم الوهابية خصوصاً وما ذلك إلا لإبعاد الأنظار عنهم وإليكم بيان أنهم هم الخوارج بعد سرد هذه الأحاديث النبوية الشريفة يأتي في أخر الزمان قوم حدثاء الأسنان سفهاء الأحلام يقولون من خير قول البرية يمرقون من الإسلام كما يمرق السم من الرمية لا يجاوز إيمانهم حناجرهم فأينما لقيتموهم فاقتلوهم فإن قتلهم أجر لمن قتلهم يوم القيامة رواية البخاري وفي البخاري بعث علي إلى النبي ﷺ بذهبية فقسمها بين الأربعة الأقراع حابس الحنظلي ثم المجاشعي وعيينة بن بدر الفزاري وزيد الطائي ثم أحد بني نبهان وعلقمة بن علاثة العامري ثم أحد بني كلاب فغضبت قريش والأنصار قالوا يعطي صناديد أهل نجد ويدعنا قال إنما أتألفهم فأقبل رجل غائر العينين مشرف الوجهين ناتئ الجبين كث اللحية محلوق فقال اتق الله يا محمد فقال من يطع الله إذا عصيت أيأمنني الله على أهل الأرض فلا تأمنوني فسأله رجل

قتله أحبسه خالد بن الوليد فمنعه فلما ولى قال إن من ضضيء هذا أو في عقب هذا أقوم يقرؤون القرآن ولا يجاوز حناجرهم يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان لئن أنا أدركتم لأقتلنهم قتل عاد رواية أخرى قتل ثمود رواية البخاري عن عاصم بن كليب عن أبيه قال كنت جالساً عند علي عليه السلام فقال إني دخلت على رسول الله وليس عنده أحد إلا عائشة فقال يا بن أبي طالب كيف أنت وقوم كذا وكذا قال قلت الله ورسوله أعلم قال قوم يخرجون من المشرق يقرؤون القرآن لا يتجاوز تراقيهم يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية فمنهم رجل مخدج اليد كأن يديه ثدي حبشية رواية أحمد يخرج من أمتي قوم يسيئون الأعمال يقرؤون القرآن لا يتجاوز حناجرهم قال يزيد لا أعلم قال يحقد أحدهم عمله من عملهم يقتلون أهل الإسلام فإذا خرجوا فاقتلوهم ثم إذا خرجوا فاقتلوهم ثم إذا خرجوا فاقتلوهم فطوبى لمن قتلهم وطوبى لمن قتلوه كلما طلع منهم قرن قطعه الله عز وجل فردد ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عشرين مرة أو أكثر وأنا أسمع رواية أحمد نظرة تحليلة للأحاديث:

١ - يأتون في آخر الزمان وها هم الوهابية يخرجون في هذا الزمان المتأخر

٢ - يخرجون على حين فرقة من الناس وهل من فرقة أعظم مما نحن فيه والعجيب أنهم يقفون أما كل دعوة توحيدية بين المسلمين بالمرصاد ليجهضوها حتى تبقى الأمة على فرقتها وما تهجمهم على الإمام حسن البنا إلا بسبب دعوته للتقريب بين المذاهب الإسلامية.

٣ - يخرجون من جبهة المشرق لتعرف هذه المشرق إليك هذا الحديث التالي وهو عند البخاري في كتاب الجمعة وفي كتاب الفتن وفي سنن الترمذي في كتاب المناقب وعند أحمد في مسند المكثرين من الصحابة حدثنا محمد بن المثنى قال حدثنا حسين بن الحسن قال حدثنا ابن عون عن نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله اللهم بارك لنا في شامنا وفي يمينا قال قالوا وفي نجدنا قال قال هناك الزلزال والفتن وبها يطلع قرن الشيطان هذه رواية البخاري في كتابه الجمعة وقد خرج الوهابية من نجد بل ودعوا الناس للهجرة إليهم وإن نفوا ذلك بألستهم الكاذبة

٤ - يقرؤون القرآن ولا يجاوز حناجرهم ومن أشهر إعلاميا اليوم من الوهابية الذين يتباكون في حرم الله الآمن وهم أكلة لحوم المسلمين وأموالهم كما ذكرنا ذلك من تاريخهم وفتاويهم ويكفيك أسلوبهم غير المهذب في الدعوة وامتلاء مكتباتهم بالكتب الفارغة التي تطفح عناوينها بالانتقاص من علماء المسلمين الأعلام في كل أرض.

٥ - يسيئون الأعمال فمثلًا يكفرون المسلمين ويسارعون إلى إخراجهم من الملة وليس فتوى ابن باز بجواز قتل المسلم واستحلال ماله إذ آمن أن الأرض تدور بآخر ما في جعبتهم.

٦ - يقتلون المسلمين ويتركون عبدة الأوثان وقد ذكرنا ذلك من تاريخهم أيضاً فهم لم يسجل لهم التاريخ مواجهة واحد مع أعداء الإسلام بينما تضج أركان جزيرة العرب من مجازرهم البشعة بأصحاب عقيدة التوحيد بل إن الوهابية استحلوا أموال المسلمين فينا وهذا استحلال لا يقرهم عليه دين الله وهكذا يتبين لك أخي المسلم أن الوهابية تنطبق عليهم أوصاف التي جاءت في أحاديث النبي ﷺ محذرة فهم سلسلة ممتدة من لدن ذي الخويصرة ثم مسيلمة الكذاب مروراً بالنجدية أتباع نجدة بن عامر الحنفي وقومه أهل اليمامة (الرياض حالياً) الذين استحلوا دماء الموحدين إلى محمد بن عبد الوهاب ربيب المستشرقين نسأل الله أن يخلص الأمة من شرهم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

الوهابية ولبس الصليب

الشيخ ابن باز أجاب في شريط مسجل عن لبس الصليب وتعليقه هل يصل إلى الكفر فأجاب بقوله (لا هذه أمور عادية ينظر فيها أولي الأمر بما تقتضيه المصلحة إذا كان من المصلحة الإسلامية قبول هذه المجاملة أو هذه الهدية كان جائز) ولما أنكر إليه بعض الحضور وقالوا (صليب يا شيخ) قال (ولو كان صليباً) راجع الدكتور محمد بن عبد الله المسعري الأدلة القطعية على عدم شرعية الدولة السعودية ص ١٦٧ مؤسسة الرافد للنشر والتوزيع وهكذا أخي المسلم ترى وبكل وضوح كيف يتوارث علماء الوهابية مخطط القضاء على الإسلام بحجة حماية فاليهود والنصارى الذين أمرنا الله ورسوله بمخالفتهم وعدم موالاتهم يرى كبير شياطين الوهابية أن لبس صلبانهم والتزليف إليهم فيه مصلحة الإسلام بينما في المقابل يرى وجوب قتل العراقيين وإن كانوا في الصلاة كما يفتي بأن قتل المسلمين الإباضية قربة إلى الله وهكذا ترى بأم عينك أيها المسلم تنفيذ هؤلاء لمخطط أساتذة محمد بن عبد الوهاب من المستشرقين أعداء الإسلام من أمثال المستر هامفر وكذلك الذين واصلوا المشوار بعد ذلك القيادة الوهابية وتوجيه هؤلاء الأعراب مثل جون فيلبي (يسميه الوهابية الشيخ فيلبي وقد دخل المسجد الحرام بعد اقتحام الوهابية مكة المكرمة وخطب في المسلمين[١] .

عجائب ضلال الوهابية

أولاً: أن الأب الروحي الأول لهؤلاء هو ابن تيمية الذي اشتهر التبرك به فقد جاء في العقود الدراية للحافظ ابن عبد الهادي ص ٣٦٩ إلى ٣٧١ أنه قد (حضر جمع إلى القلعة عند وفاة ابن تيمية فأذن لهم بالدخول وجلس جماعة قبل الغسل وقرؤوا القرآن وتبركوا برؤيته وتقبيله ثم انصرفوا وحضر جماعة من النساء ففعلن ذلك ثم انصرفن وألقى الناس على نعشه مناديلهم وعمائمهم للتبرك وشرب جماعة الماء الذي فضل من غسله واقتسم جماعة السدر الذي غسل به وقيل إن الطاقية التي كانت على رأسه دفع فيها خمسمائة درهم وقيل إن الخيط الذي فيه الزئبق الذي كان في عنقه بسبب القمل دفع فيه مائة درهماً ويضيف وتردد الناس إلى قبره أياماً كثيرة ليلًا ونهاراً (فهل يستثنى ابن تيمية فينظر اتباعه الجدد أم أنهم يتهمون أتباعه القدامى بالشرك).

ثانياً: الأب الروحي الحديث لهؤلاء الحشوية وهو محمد بن عبد الوهاب والكثير من الناس يظن غافلًا أن هؤلاء القوم بتشريكهم للمسلمين إذا ما رأوهم يزورون قبراً دراسة ليس عليها بناء ولا علامات اتباعاً لهدى النبي ولكن ماذا لو كان قبر محمد بن عبد الوهاب مزاراً رسمياً للوهابية نعم إن قبر محمد بن عبد الوهاب عليه بناء شامخ وقد خصص بالرخام وفي داخل المعبد نقشت البيعة التي تمت بينه وبين محمد بن سعود للتبرك والتمسح فانظروا أيها الناس أن الوهابية يحاربون الناس لزيارتهم لقبر المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم ويرون وجود قبره الشريف داخل المسجد النبوي خطيئة من الخطايا وهو في المقابل يتخذون أصنامهم كمحمد بن عبد الوهاب آلهة تعبد من دون الله ونحن نقول كما قال الشاعر:

أحرام على بلابلة الروح   حلال على الطير من كل جنس

البخاري يحذر من أدعياء السلفية

حذر مرشد جمعية علماء أهل السنة والجماعة علماء أهل السنة والجماعة بعموم الهند الشيخ العلامة عبد الله البخاري المسلمين من فتنة الوهابية وأدعياء السلفية في مقابل أجرتها معه مجلة منار الهدى اللبنانية عدد أغسطس ١٩٩٧ م فقال ظهرت في بلاد المسلمين فرقة شاذة تسمي نفسها بالسلفية وتدعيى أنها تتبع السلف الصالح وهم يدعون أنهم جاؤوا ليخرجوا الناس من الوثنية من عبادة القبور إلى عبادة الله ولكن المسلمين هم لا يعبدون القبور فكيف يتهمون المسلمين بأنهم وثنيون هذا كلام باطل وفتنة كبيرة علينا أن نواجهها ونحاربها حتى لا تنتشر وتتوسع وقال مبيناً سبب تسللهم إلى الهند لقد دخلوا إلى الهند عن طريق الإنجليز الذين زرعوهم في بلادنا لتفريق المسلمين ونحن أدركنا خطرهم منذ زمن بعيد وقد ألف علماء الهند مئات الكتب في الرد عليهم وبيان مخاطرهم ومفاسدهم وهذا الوعي التاريخي من الشيخ ليس بعجيب على مثله فدعوه محمد بن عبد الوهاب كان يقف وراءها الإنجليز بكامل ثقلهم متمنين بذلك هدم الإسلام من الداخل وقتل روح الجهاد بعد أن ذاقوا الأمرين من جهاد مسلمي شبه القارة الهندية لتحرير أوطانهم من الاستعمار النصراني وقال إن التحذير منهم أي أدعياء السلفية ليس فيه تفريق للمسلمين بل فيه إنقاذ لهم وتنبيه من مخاطرهم لأنك إذا علمت أن هناك لصاً يريد أن يدخل دار جارك هل تسكت أم تحذره وهكذا أيها الإخوة المسلمون ترون تحذير علماء الأمة في كل أرض من فتنة السلفية الذين يحاولون شغل المسلمين

---

(١) اقرأ تاريخ الشيخ أحمد زيني دحلان مفتي مكة المكرمة أواخر حكم السلطنة العثمانية خصوصاً فصل (فتنة الوهابية) لتطلع على شيء من فظائع الوهابية وانظر كذلك السيد أبو العلي التقوي الفرقة الوهابية في خدمة من الإرشاد للطباعة والنشر بيروت لندن ص ١١٦ .

بأنفسهم وتكفيرهم بل ورميهم بالشرك وفي طليعتهم شيخهم محمد بن عبد الوهاب الذي رمى سيدنا آدم بالشرك في كتابه التوحيد أن شيخ عبد الله البخاري هو مرشد جمعية علماء أهل السنة والجماعة بعموم الهند وعميد كلية (سيد مدني) في ناحية (منغلور) بالهند.

بروز الابتداع في صلاة التراويح

ورد في كتب الصحاح والمسانيد والمعاجم والسير وفي كتب الحديثة لدى أبناء العامة وفي لفظ البخاري عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير عن عبد الرحمن بن عبد القاري أنه قال خرجت مع عمر بن الخطاب ليلة في رمضان إلى المسجد فإذا الناس أوزاع متفرقون يصلي الرجل لنفسه ويصلي الرهط فقال عمر إني أرى لو جمعت هؤلاء على قارئ واحد لكان أمثل ثم عزم فجمعهم على أُبي بن كعب ثم خرجت معه ليلة أُخرى والناس يصلون بصلاة قارئهم قال عمر نعم البدعة هذه والتي ينامون عنها أفضل من التي يقومون يريد آخر الليل وكان الناس يقومون أوله[1] وفي الموطأ أن عمر قال نعمت البدعة هذه ولنا قرائن عديدة تشير إلى أن التراويح من محدثات الأمور في الشريعة الإسلامية ولا يوجد بينها وبين الدين أي ارتباط ومن هذه القرائن ما يلي إطلاق لفظ البدعة على التراويح يشكل إطلاق لفظ البدعة في الحديث المتقدم على هذه الصلاة قرينة واضحة على عدم وجود أي ارتباط بين هذه الصلاة وبين الدين فمن الواضح أن مفهوم البدعة قد أخذ بعده الاصطلاح في مرتكزات الأصحاب نتيجة لتناول النصوص النبوية له بكثرة وتكرار وتأكيدها على ذمه وانتقاده ودعوتها إلى ضرورة مواجهته ومكافحته واستئصاله ومما يؤيد عدم وجود الارتباط بين هذه الصلاة وبين الدين وكونها تشريعاً وليس لها أصل فيثبت أنها بدعة ونحن لم نعهد على طيلة المسيرة الرسالية من النبي الأكرم ﷺ أنه كان يقول إني أرى ويشرع أمر من قبل نفسه ولم يكن يتبع إلا ما يوحى إليه ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ ولا يحيل عن الحكم الإلهي قيد شعرة وكيف يكون ذلك وقد قال الله تعالى عنه وهو صاحب الرسالة وربيب الوحي ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾[2]

النبي ﷺ ينهى عن صلاة النوافل جماعة ويحث على إخفائها في البيوت عن من الأمور التي تؤيد منافاة صلاة التراويح لمبادئ الشريعة وتعاليمها وأن رسول الله ﷺ لم يصليها هي الطائفة الكبيرة من الأحاديث النبوية التي دلت على حث المسلمين على صلاة النوافل عموماً في البيوت لأن هذا الأمر أقرب للإخلاص وأدعى للقبول بل النهي من قبل رسول الله ﷺ عن صلاة النوافل جماعة لما رأى بعض الأصحاب يصلون خلفه ووجههم إلى إخفاء النوافل وعدم تشريع الجماعة فيها وقد وردت روايات كثيرة في كتب العمة تدل على استحباب إخفاء النوافل والإتيان بها في البيوت وأفتى بهذا الأمر علماء العامة في مصنفاتهم فقد ورد عن عبد الله بن مسعود أنه قال سألت رسول الله أيما أفضل الصلاة في بيتي أو الصلاة في المسجد قال ألا ترى إلى بيتي ما أقربه من المسجد فلان أصلي في بيتي أحب إلي من أن أصلي في المسجد إلا أن تكون صلاة مكتوبة رواه أحمد وابن ماجة وابن خزيمة في صحيحه[١] وعن أبي موسى قال خرج نفر من أهل العراق إلى عمر فلما قدموا عليه يسألون عن صلاة الرجل في بيته فقال عمر سألت الرسول ﷺ فقال أما صلاة الرجل في بيته فنوروا بيتكم رواه ابن خزيمة في صحيحه[٢] وسئل عمر عن الصلاة في المسجد فقال قال الرسول ﷺ «الفريضة في المسجد والتطوع في البيت»[٣].

من هنا رأى بعض علماء العامة أفضلية قيام المرء في رمضان بيته على صلاة التراويح المدعاة فقد قال مالك وأبو يوسف وبعض الشافعية أن فعلها الصلاة ليلًا في رمضان فرادى في البيت أفضل لحديث خير صلاة المرء في بيته إلا المكتوبة[٤] بل وقد صرح إمامان كبيران من أئمة العامة بأن النبي ﷺ قد نهى القوم عن هذه الصلاة وعنفهم على فعلها وأمرهم أن يصلوا النوافل في بيوتهم على طبق تلك القاعدة العامة التراويح أمر مبتدع في وجهة نظر الكثير من علماء العامة ورد كثير

---

(١) صحيح البخاري ج٢ ص ٢٥٢ والموطأ ص ٧٣ وكنز العمال ج٨ ص ٤٠٨ رقم الحديث ٢٣٤٦٦.

من أقوال علماء العامة أن عمر هو أول من شرع صلاة التراويح وجمع الناس عليها وهذا يعني أنها لم تكن موجودة في عهد رسول الله ﷺ وإنما هي بدعة محدثة وسوف ننقل للقارئ الكريم طائفة من هذه الأقوال قال العلامة أبو الوليد محمد بن الشحنة حيث ذكر وفاة عمر في حوادث سنة ٢٣ من تاريخه روضة المناظر هو جمع الناس على إمام يصلي بهم التراويح ولما ذكر السيوطي في كتابه تاريخ الخلفاء أوليات عمر نقلاً عن العسكري قال وأول من حرم المتعة وأول من سمي أمير المؤمنين وأول من سن قيام رمضان بالتراويح وأول من جمع الناس في صلاة الجنائز على أربع تكبيرات أمير المؤمنين علي(ع)ينهى عن صلاة التراويح من المتفق عليه أن أمير المؤمنين علياً(ع)هو أعلم الصحابة وافقهم وأقضاهم بنص رسول الله ﷺ على ذلك وقد روى علماء العامة في كتبهم بهذا الصدد الكثير من الأحاديث التي تدل على هذا المعنى فمن ذلك أنه ﷺ قال أعلم أمتي بالسنة والقضاء بعدي علي بن أبي طالب[1] أعلم أُمتي من بعدي علي بن أبي طالب[2] وقال ﷺ لعلي: «أنت بين لأمتي ما أخلفوا فيه من بعدي»[3] وعن أنس قال قيل يا رسول الله عمن نأخذ العلم بعدك فقال: ﷺ «من علي»[4] وقال ﷺ: «علي وعاء علمي ووحيي وبابي الذي أوتي منه»[5] وكان أجمع الصحابة لعلي ﷺ بالأعلمية ويرجعون إليه عندما تشكل عليهم أمور الدين ويقبلون حكمه دون غيره وقد ثبت عن أمير المؤمنين عليه السلام قد نهى عن صلاة التراويح وزجر الناس عندما رآهم يؤدونها فقد روي أنه لما اجتمع الناس على أمير المؤمنين بالكوفة سألوه أن ينصب لهم إماماً يصلي بهم نافلة شهر رمضان فزجرهم وعرفهم أن ذلك خلاف السنة فتركوه واجتمعوا وقدموا بعضهم فبعث إليهم الحسن عليه السلام فدخل عليهم

---

(١) سورة الحاقة آيات ٤٤-٤٥-٤٦.

(٢) المنذري الترغيب والترهيب ج١ ص ٣٧٩ حديث ٤.

(٣) كنز العمال ج٨ ص ٣٨٤ حديث ٢٣٣٦٠.

(٤) كنز العمال ج٨ ص ٣٨٤ حديث ٢٣٣٦٣.

المسجد ومعه الدرة فلما رأوه تبادروا الأبواب وصاحوا واعمراه[1] وهناك كثير من الأحاديث تدل على أنها بدعة لا أصل لها من الدين ويقرر بها الشرع فهذه البدعة ولا أريد أن أطيل عليكم البحث.



(١) صحيح مسلم بشرح النووي ج٦ ص ٣٩ وفتح الباري ج٤ ص ٢٥٢ والتاج الجامع للأصول ج٢ ص ٦٧.

(٢) حسين علي الشاكري في الكتاب والسنة ج٢ ص ١٤١ الاستيعاب ج٢ ص ٢٩ الرياض النضرة ج٢ ص ١٩٤ وتفسير النيسابوري في سورة الأحقاف ومناقب الخوارزمي ص ٤٨ تذكرة الخواص ص ٨٧ ومطالب السؤول ص ١٢ وفيض القدير ج٤ ص ٢٥٧.

(٣) حسين علي شاكري في الكتاب والسنة ج٢ ص ١٤٠ الخوارزمي ص ٤٩ مقتل الحسين ج١ ص ٤٢ كنز العمال ج١ ص ١٥٢.

تحذير المسلمين خدمة للنصارى واليهود

عندما قامت الثورة الفلسطينية سنة ١٩٣٦ ضد بريطانيا التي كانت تمهد لتسليم فلسطين إلى اليهود الصهاينة تدخل الوهابية خدمة للإنجليز لتخدير الأحرار وتعهدوا للثوار بأن بريطانيا سوف تستجيب لمطالبهم إذا أوقفوا الثورة وذلك في النداء الذي وجهوه إليهم وجاء فيه إلى أبنائنا عرب فلسطين لقد تألمنا كثيراً للحالة السائدة في فلسطين فنحن بالاتفاق مع ملوك العرب والأمير عبد الله ندعوكم للإخلاء إلى السكينة وإيقاف الإضراب حقنا للدماء معتمدين على الله وحسن نوايا صديقتنا الحكومة البريطانية ورغبتها المعلنة لتحقيق العدل وثقوا بأننا سنواصل السعي في سبيل مساعدتكم ولقد أدى ذلك النداء الذي أشرك الاعتماد على الله بالاعتماد على النصارى إلى شق الصف الفلسطيني بين رفض وموافقة فانتصر موقف الموافقين ولم يكتف الوهابية بالنداء بل قدموا إلى فلسطين يرافقهم جون فيلبي واجتمعوا بالقادة الفلسطينيين في القدس حيث خاطبهم ممثل الوهابية بقوله بناء على ما عرفته من صدق نوايا بريطانيا أستطيع أن اقسم لكم بالله أن بريطانيا صادقة في ما وعدتنا به وأن بريطانيا تعهدت لوالدي أنها عازمة على حل القضية الفلسطينية ولكن تأكيدات المبعوث الوهابية لقتل الجهاد لم تقنع على ما يبدوا

(١) الكتاب والسنة ج٢ ص ١٤٢ المستدرك ج٢ ص ١٢٢ ميزان الاعتدال ج١ ص ٤٧٢ القندوزي في ينابيع المودة ص ٢٠٣ إحقاق الحق ج٦ ص ٥٢-٥٥ ج١٦ ص ٤٣٥ و٤٣٦ وج ص ٣١٨.

(٢) الكتاب والسنة ج٢ ص ١٤٣ قرة العينين ص ٤٣٤.

(٣) الكتاب والبسنة ج٢ ص ١٤٠ كفاية الطالب ص٧٠ وص ٩٢ وشمس الأخبار ص ٢٩.

(٤) شرح نهج البلاغة ج١٢ ص ٢٨٣ والتهذيب للشيخ الطوسي ج٣ ص ٧٠ ووسائل الشيعة للحر العاملي ج٥ ص ١٩٢.

المتنورين من الفلسطينيين أجابه الشاعر عبد الرحيم محمود معبراً عن ريبة الجناح الرافض لوقف الإضراب:

المسجد الأقصى أ جئت تزوره أم جئت من قبل الضياع تودعه
حرم تباع لكل أوكع أبق ولكل أفاق شديد أربعه
وغداً وما أدناه لا يبقى سوى دمع لنا يهمي وسن نقرعه

خيبة ظن الفلسطينيين بهم قديمة

عندما توجه فيما بعد وفد فلسطيني لإطلاع الوهابية على مصير القضية الفلسطينية وكان أعضاؤه يحملون منشورات إطلاع الشعب هناك على هذا المصير لم يسمح لهم بتوزيع المنشورات بل أمر بجمعها لإحراقها.

التشبيط بعد الحرب الكونية الثانية وعندما أخذت تتردد وجهات نظر عربية تطالب الجامعة باتخاذ موقف ضد تأييد أميركا لليهود أرسلت القيادة الوهابية بتاريخ ٢٠/١/١٩٤٥ برقية إلى ممثلهم في الجامعة العربية جاء فيها أنا أسمع دندنة عند العرب يجسدهم اجتماع هيئة الجامعة لأجل تبحث مسألة فلسطين فإن هذا ما هو من رأيي ولا منه فائدة لأنه إيش يبحث في المؤتمر هل يعقد صلح أو يعلن حرب ثم يقترح أن ينتخبوا شخص يروح للندن وشخص يروح لأمريكا ويكون أحد هذين الشخصين عبد الرحمن عزام ويكتب معه النقراشي كتاباً للخارجية هناك ويقول فيه أنه بالنيابة عن مصر والبلاد العربية ويذكر الأمر اللائق والمناسب في الموضوع وقبل سفر عبد الرحمن عزام وافقت القيادة الوهابية على إقامة مكتب صحافي تابع للجامعة العربية ولكنها أوصت أن لا يسيء المكتب لأمريكا وبريطانيا بل يعمل على مدحهم واستعطافهم ولكن نرجوهم (الصحفيين) أن يتخذوا قاعدة يمشون عليها وهي قاعدة الاعتدال ويكون لا يتحاملون على الإنكليز ولا على الأميركان ولكن يشوفون الحجج القائمة ويعدون مالهم ويمدحونهم بأنهم أهل عدالة وإنصاف فستكون النتيجة أحسن إن شاء الله.

الخلان

عشية اتخاذ قرار تقسيم فلسطين رفضت القيادة الوهابية أن تقوم بأي دور جدي لإفشاله علماً بأنه كان بإمكانهم ذلك إذا ما هددوا بقطع البترول عن أميركا كما قال أحد الدبلوماسيين الأجانب فقد جاء في العدد ٦٣٧ من مجلة أخر ساعة المصرية بتاريخ ١٨ مايو ١٩٦٦ بقلم الكاتب الفلسطيني وجيه أبو ذكري انتقل الصراع إلى الأمم المتحدة وبدأت أميركا تلعب القذارة لتقسيم فلسطين بين اليهود والعرب ونشط المندوبون العرب لمحاولة إحباط المشروع الذي عرض على الجمعية العامة للمنظمة الدولية وكان بين العرب الأمير عادل أرسلان وذهب إلى أحد الوفود يستعطفه ليقف بجانب الحق العربي فقال له لديكم أيها العرب الورقة الرابحة ولكنكم تخشون اللعب بها وأشار إلى ممثل الوهابية هناك وقال له الرجل لو ذهب هذا الأمير إلى جورج مارشال وزير الخارجية الأميركية وهدد بقطع البترول إذا ناصرت أميركا اليهود لوجدت هذه القاعة كلها تقف بجانب العرب وكلفته الوفود العربية بالنطق باسمها في الجمعية العمومية وأوصوه بالحزم والصرامة ولكن كان موقفه أنه لا داعي ولا مبرر لقلقهم وأخذ يؤكد لهم معارضة أميركا لتقسيم فلسطين وأنها ستقاوم بكل حزم فكرة خلق دولة يهودية وانخدع المندوبين العرب بكلامه على أساس أنه صديق حميم للسفير جورج ودزورت مستشار الوفد الأميركي إلى الأمم المتحدة ومن جهة أخرى فإن الوفود العربية أرسلت عشية الموافقة على قرار التقسيم برقية إلى زعيم الوهابية يلحون فيها عليه بإصدار تصريح يهدد فيه بقطع البترول إذا صوتت أميركا على قرار التقسيم فما كان منه إلا أن قال إن المصالح الأميركية في بلاده محمية وإن الأميركيين هم من أهل الذمة وأن حمايتهم وحماية مصالحهم واجب منصوص عليه في القرآن الكريم.

القوة والسلاح الوهابي لتحرير فلسطين

عندما نشبت حرب فلسطين في ١٥ مايو ١٩٤٨ اكتفى بإرسال عدد هزيل من الجنود غير المتدربين قدر ما بين ٦٠ و٢٠٠ جندي وقد خلت الجبهة الشرقية منهم بحجة أن أمير شرق الأردن عبد الله بن الحسين رفض الموافقة على دخول جنودهم إلى أرضه وكذلك خلت الجبهة الشمالية واقتصر الوجود الوهابي الرمزي على

الجبهة الجنوبية ولكن لما ثبت أن الجنود لا يجيدون القتال أُدخلوا مدارس الجيش المصري بعد الهدنة للتدريب أما السلاح الوهابي فقد تحدث عنه القائد طه الهاشمي رئيس اللجنة العسكرية المنبثقة عن جامعة الدول العربية الإشراف على حرب فلسطين فقال واصفاً الأسلحة بعد أن أبرق الوهابية للجنة العسكرية عن أسلحة معدة لإنجاد فلسطين موجودة في سكاكا بالصحراء في شمال الجزيرة العربية (أرسلت طائرات فأحضرت تلك الأسلحة لدمشق وسلمتها إلى المصنع الحربي التابع للجيش السوري لفرزها وتبويبها فإذا هي أسلحة عتيقة رديئة متعددة الأنواع والأشكال فيها الموزر والشنيد والمارتني وفيها بنادق فرنسية وإنكليزية وعثمانية ومصرية ويونانية ونمساوية وكلها بدون جخانة (أي ذخيرة) ومصدئة خردة لا تصلح للقتال وأضاف إنهم وجدوا بين هذه الخردة بنادق فتيل مما تعبأ بالكمل من فوقها وتدل من فوهة أيضاً وأنها من مخلفات حملة الجيش المصري على الوهابيين في أوائل القرن التاسع عشر.

اليهود الأحبة

علاقة قادة الوهابية مع الشخصيات الصهيونية يكفي للتدليل عليها هذا الخبر الذي نشرته الصحف الأميركية ومنها صحيفة سياتل بوست انتلجنس اليومية بتاريخ ١٢/ مارس ١٩٨٥ عن حفل استقبال قائد الوهابية في أميركا حيث ذكرت أنه دعي إلى حفل استقباله جمع من رجال الإعلام منهم فرانك المدير العام لمؤسسة ها آرست المؤسسة الصهيونية التي تصدر الصحيفة اليومية ها آرست في الأرض المحتلة.

الصلح مع اليهود

السياسة الوهابية لم تكن تحتمل المجاهرة بالصلح مع اليهود ولكنها ما إن حدت الثغرة إلى ذلك بعد كامب ديفيد فإنها لم تخف الاستعداد للصلح مع العدو الصهيوني فقد صرح قائدهم في ١٥ يونيو ١٩٧٥ أنهم على أتم الاستعداد للاعتراف بإسرائيل ولكن على إسرائيل أن تحل مشاكلها مع جيرانها وتتدبر أمرها

مع الفلسطينيين ولما سألته الصحيفة عن معنى تدبر الآمر إسرائيل أدرى بشؤونها.

موقف القادة الدينيين

ذلك كان موقف القادة السياسيين أما القادة الوهابية الدينيين فإنهم منذ النشأة قاموا على التطبيل والتزمير خلفهم ليطوعوا الإسلام تبعاً لأهوائهم فيذروا الرماد في العيون وإليكم الأمثلة في ما يتعلق بموضوعنا أولًا ذكرنا في المقبل سابق فتوى الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز مفتي الوهابية الكبير المسجلة بجواز الصليب بدعوى أن في ذلك خدمة للإسلام ولا أحد يستطيع أن ينكر أن في ذلك صريح الولاء للنصارى أما ولاؤه اليهود والتعامل معهم سواء كان الصلح هدنة دائمة أو مؤقتة بل أكثر من هذا حيث اعتبر زيارة المسجد الأقصى في هذه الفترة المؤسفة سنة على المسلمين وإتيانها ونحن نؤمن أن هذه الفتاوى لا تصدر عن فراغ بل هي خدمة للمصالح اليهودية فهذا الفعل إذا قام به المسلمون فإنه يعني الاعتراف بالاحتلال الصهيوني لهذه الأماكن المقدسة وأيضاً وأيضاً فيه تقوية للاقتصاد الصهيوني الغاصب وقد تناولت هذه الفتوى المأجورة جواز التقارب والهدنة مع باقي المذاهب الإسلامية لقد سبق لهذا المفتي تحريم الاستعانة بالخبراء الروس ضد اليهود الصهاينة عندما فعل جمال عبد الناصر ذلك ومن السخرية أنه أفتى بعد ذلك بجواز دخول النصارى واليهود لأرض الحرمين الشريفين ودعائهم هو وأعوانه في الحرمين الشريفين وفتنوا في كل صلاة ليترضوا عليهم وسموهم جند الله وما ذلك إلا لقتل الأطفال والنساء والشيوخ العراقيين وحتى في الملاجئ بل وكل عراقي وإن كان في الصلاة والموقف الأخر فتوى محدثهم المتناقض الشيخ ناصر الدين الألباني التي دعا فيها أهل فلسطين للخروج منها وتركها لليهود لقمة سائغة وقد تناقلت هذه الفتوى وسائل الإعلام المختلفة وقد نشرت مجلة المجتمع الكويتية تحليلًا لهذه الفتوة الخبيثة وردود علماء الأمة عليها وهكذا يتبين لكل مبصر أن الوهابية ما قامت إلا لتشويه صورة الإسلام وشغل المسلمون بأنفسهم وتصديهم لكل محولة للوحدة والتقارب بين المسلمين في الوقت الذي يلبس مسوح الرهبان بينما يقومون بخدمة مصالح النصارى واليهود من وراء الستار ليل نهار ولو استطاعوا أن يفعلوا ذلك علناً ما تأخروا عنه لحظة أخزاهم الله وثبط

مساعيهم إنه سميع مجيب.

وأغلب ما في هذا المقال نقلناه بتصرف عن الدكتور محمد عوض الخطيب صفحات من تاريخ الجزيرة العربية ط دار المعراج للطباعة ص ٢٤٠ إلى ٢٤٨ وقد ذكر مصادره مع ذكر أسماء الشخصيات صريحة وكذلك اقرأ الدكتور زهير الغزّاوي المؤسسات الدينية الإسلامية والكيان الصهيوني نظرة إلى فتوى ابن باز بجواز الصلح ص ٢٠٥ وما بعدها ط الغدير للدراسات والنشر بيروت ١٤١٦ هـ.

قادة الوهابية وتحريم الدعاء على اليهود والنصارى

في رحلة مباركة إلى العمرة لزيارة بيت الله الحرام وبعد نزولنا في مطار جده أذهلتنا يد المفتشين تنبش حقائبنا والتاعت أفئدتنا لظننا بأن إخوانا يظنون أننا من مهربي الحشيش والأفيون ولكننا سرعان ما رأينا أيديهم تتخطف كتاباً كنا نحمله واسمه (قواعد الإسلام) للشيخ الجيطالي وقد كان رحمه الله من كبار علماء المغرب وأخبرونا بأن الكتاب ممنوع لأن اللحى تعمر وجوههم فقد ظننا أن وراءها عقولًا مستنيرة فأخبرناهم بالتي هي أحسن بأن الكتاب كتاب فقه مقارن يقدم آراء وأقوال كل مذهب من المذاهب الإسلامية في كثير من أبواب الفقه الإسلامي وحاولنا أن نفتح لهم الكتاب فقالوا إن الكتاب سيرق هكذا فاسترجعنا وقلنا لعلكم أخطأتم الكتاب المقصود فقالوا هذا أحد خمسة كتب بهذا العنوان وكلها في القائمة السوداء ونحن لا نعلم صدق هذا الزعم من كذبه ولكن يا سبحان الله حتى جهود علماء المسلمين لدى هؤلاء لا تعني شيئاً فالعقول محاربة في الشريعة الوهابية فالعقل في نظرهم سبيل الضلال وما على الإنسان في نظرهم إلا اتباع ابن تيمية وابن القيم وسيقاد إلى بر الأمان فلا تنتظر تفكير منطقياً لدى هؤلاء على كل حال لقد ذهب كتابنا للمحقة ونحن سنطالب آخذه وحارقه والآمر بذلك يوم القيامة بحقنا ولا يضيع في عدل الله شيء ونحن نعلم ما هو أدهى من ذلك ولقد شاء الله من خلال هذا الكتاب أن نبين للناس من هم الوهابية فلقد حارب الوهابية دخول كتاب العلامة السالمي رحمه الله (بذل المجهود في مخالفة النصارى واليهود) واستغرب ساعتها الكثير من الناس التصرف فالكتاب يقرأ من عنوانه كما يقال وسبيله مخالفة اليهود والنصارى فلماذا يمنع من الدخول ويحرق لقد قلنا إن الوهابية صناعة إنكليزية هدفها تحريف الإسلام من الداخل وموالاة اليهود والنصارى ولقد أثبتنا الكثير من ذلك في مقالات سابقة عندما تحدثنا عن نشأة هذه الفرقة وتشريكها لمن لم يستسلم لمنهجها التكفيري للأمة واستحلال دمه وماله

وأثبتنا كيف عاشوا في الأرض فساداً فقتلوا الأبرياء من غير جريرة وكيف أحيوا كل الأفكار الهدامة كعقيدة فناء النار وخروج المشركين منها وكذلك كيف شارك النصارى في قيادتهم عملياً وضربنا أمثلة على ذلك واليوم سنذكر ما هو أدهى وهو محاولتهم اليائسة في منع الدعاء على اليهود والنصارى وإلجام الخطباء عن فعل ذلك فقد صدر تعميم على كافة الخطباء والوعاظ بتاريخ ١٣/٥/١٤٠٩ هـ من وزارة الحج والأوقاف معهم تحت رقم ٣٧١٩ وهذا نص منه (لوحظ أن بعض الخطباء يضمنون خطبهم الدعاء والهلاك وما شابه ذلك على اليهود والنصارى وطوائف دينية أُخرى مع تسمية الدول بأسمائها وليس هذا مما أرشدنا إليه القرآن الكريم[1] هذه هي العقيدة التي ينادي بها الوهابية عقيدة المحبة لأعداء الله والدفاع عنهم وفي المقابل تقتيل المسلمين والحض على سفك دمائهم حتى في بيت الله الحرام.



(١) الدكتور محمد بن عبد الله المسعري الأدلة القطعية مؤسسة الرافد ص ٦٧ إلى ٧٠.

الوهابية صنيعة اليهود والنصارى

يصعب على المسلم أن يتصور لحى طويلة ومآزر إلى أنصاف الساقين تتباكى في حرم الله الآمن بمكة المكرمة وتكون في ذات الوقت صنيعة من صنائع اليهود والنصارى ولكنها

الحقيقة المؤلمة المتمثلة في الوهابية نعم اليهود نقول ذلك وبشقة كبيرة وبأدلة مقنعة سنسرد شيئاً منها في هذا المقال ونعتذر عن بعضها الآخر لأن ليس كل ما هو صحيح يمكن أن يقال ونعلم في ذات الوقت أن هناك الكثير من أهل النيات الطيبة يسيرون في خطى الوهابية وقد غرر بهم لسبب أو لآخر وبعض جهدنا هذا هو لإنقاذ هؤلاء من براثن الفتنة الوهابية قبل أن تحتويهم بسرطانها الخبيث لقد اهتمت العقيدة الوهابية اهتماماً كبيراً بعقيدة التجسيم وهي عقيدة نصرانية محضة استقاها ابن تيمية من خلال الترجمات للكتب النصرانية والأغر وفقد كانت بلاده حران مركزاً شهيداً لترجمة كتب اليونان ولقد كم أهل الشام بضلال ابن تيمية لعقيدة الفاسدة وأودع سجن العقلة الشهيد إلى أن مات[1] ولقد أحيا الوهابية هذه العقيدة النصرانية بتوجيه من المستشرقين أساتذة محمد بن عبد الوهاب وتم استعراض الناس في الجزيرة العرب بالسيف للإيمان بهذه العقيدة واستحلت دماء وأموال الموحدين بذلك محمد بن عبد الوهاب بعد أن عاد من البصرة ومعه كوكبة من النصارى الإنكليز بحجة أنهم عبيد اشتراهم ولم يكونوا حقيقة إلا أساتذته الذين أتوا ليتأكدوا من تطبيق المخطط الذي رسمته الحكومة البريطانية للقضاء على الجهاد في سبيل الله ضد النصارى واليهود بعد أن ذاقت الأمرين من جهاد مسلمي شبه القارة الهندية ضدها فتح تحويل الجهاد ليصبح في العقيدة الوهابية حرباً طاحناً

---

(١) راجع مثلا كتاب المقالات السنية في كشف ضلات أحمد ابن تيمية للشيخ عبد الله الهدري.

بين المسلمين بدعوى البدعة والشرك بجلاء فخلال تاريخ الوهابية كله لم يسجل لها التاريخ موجهة واحدة مع اليهود أو النصارى بل سجلهم حافل بقتل أهل مكة والطائف والمدينة المنورة وقطر والكويت وعمان والبصرة وبلاد الشام وهم يتفاخرون بهذا التاريخ الدامي في مؤلفاتهم كتاب (عنوان المجد في تاريخ نجد)لعثمان بن بشر النجدي وكذلك ما كتبه شهود العيان كفضيلة الشيخ أحمد زيني دحلان مفتي مكة المكرمة في أواخر أيام السلطة العثمانية[١] لقد تعقب على قيادة الوهابية إلى أن وقفت على ساقيها نصارى كأمثال المستر هامفر ثم الكابتن شكسبير الذي قتل في معركة الجراب بين الوهابية وآل رشيد سنة ١٩١٥ م ثم خلفه جون فيلبي الذي يسميه الوهابية الشيخ عبد الله فيلبي لقد كانت الدولة العثمانية شبحاً في حلوق النصارى واليهود فكانت إحدى الخطط لهدمها استخدام الوهابية لتقليص نفوذهم في البلاد العربية فكانت معارك الوهابية ضد آل رشيد الموالين للسلطة العثمانية ولقد حاول العثمانيون إطفاء نار الفتنة سنة ١٩١٤ فاعترفوا بسلطتهم على نجد ولما طلب أنور باشا باسم الدولة التركية وحسب اتفاق سابق بينه وبين الوهابية أن يشتركوا في الدفاع عن البصرة ضد الاحتلال الإنجليزي أجابوه بأنهم مشغولون بقتال ابن رشيد[٢] ولقد علقت وزارة الهند الإنجليزية بتاريخ ٣١ كانون الثاني ١٩١٥م بالرد على ذلك والشكر المشاغلة ابن رشيد عن نصرة العثمانيين وأكثر من هذا فقد جاء في شهادة المستر كتنتث توماس أن زعيم الوهابية كان حليفاً لبريطانيا (وساند البريطانيين وحلفاءهم ودرب جيشاً في العمليات الحربية ضد الأتراك سنتي ١٩١٤ و١٩١٥م[٣] نعم لقد كان الجيش الوهابي يلقى الدعم والتدريب مباشرة من وزارة المستعمرات بالهند وقد سلم

---

(١) الشيخ العلامة أحمد زيني دحلان ومن كتبه المقالات السنية في الرد على الوهابية الباب الخامس مطبوع في القاهرة سنة ١٣١٩.

(٢) الدكتور محمد عوض الخطيب صفحات من تاريخ الجزيرة العربية دار المعراج ص ٢٢٦.

(٣) المصدر السابق ص ٢٢٦ وقد ذكر نصوص الرسائل موثقة..

جون فيلبي إلى أمير الوهابية مبالغ طائلة من الجنيهات الذهبية وريالات ماريا تريزا كما كانت المساعدات السنوية للوهابية تبلغ ستين ألف ريال ولدى بدء العدوان البريطاني على البصرة تم صرف مائة ألف ريال من بريطانيا للوهابية للبدء بتجنيد القبائل لحرب ابن رشيد ومشاغلته عن نجدة قوات المسلمين بالبصرة مع تعهد الإنكليز بتوفير المشورة(١) ووصلت الأسلحة تباعا بعد ذلك ولما نشبت المعركة كان العميل البريطاني جون فيلبي الذي خطط للمعركة يراقب سير المعركة من برج قريب مخافة أن يصيبه ما أصاب سلفه شكسبير (٢)لقد كان الوهابية ينكلون المسلمين في كل أرض ومصر استطاعوا الوصول إليه حتى أنهم بلغوا مبلغاً لا يحلم به النصارى أنفسهم بل اتضح للمقيم البريطاني في البصرة أن في مبالغات الوهابية بتقتيل الناس وسلب أموالهم ما يسبب إحراجاً للحكومة البريطانية في بعض المواضع فطلب منهم ١٨١٧ إعادة ما نهبوه إلى أصحابه فرد عليه أمير الوهابية برسالة يقول فيها كيف تطلب منا أن نرد ما غنمناه من أعدائنا من أهل مصر وجدة وشحر والمكلا ومسقط والبصرة وأهل فارس التابعين لسعيد ابن سلطان إنهم كلهم أعداؤنا فسنقتلهم حيث ثقفناهم تنفيذاً لأوامر الله فيهم الله أكبر(٣) وهكذا وبكل وضوح المسلمون أعداؤهم والنصارى أولياءهم وفي كتاب وجهة أميرهم سنة ١٨١٠م إلى حكومة الهند البريطانية قال إن سبب الخصومات المستمرة بيني وبين من يسمون أنفسهم مسلمين انحرافهم عن كتاب الخالق ورفضهم الامتثال لنبيهم محمد فلست أشن حرباً على فرقة أُخرى ولست أتدخل في عملياتهم المعادية ولا أساعدهم ضد أحد وفي هذه الضروري رأيت من الضروري أن أبلغكم بأني لن أدنو من شواطئكم وأني منعت أتباع عقيدة محمد من

(١) ديكسون كتاب الكويت وجاراتها وقد ذكر أن الكولونيل هاملتون والكولونيل أوين ممثلي المخابرات البريطانية قد انطلقا إلى نجد لهذه المهمة.

(٢) خيري حماد كتاب (عبد الله فيلبي) ص ٢١٥.

(٣) إبراهيم عبد العزيز عبد الغني صراع الأمر دار الساقي لندن ط ١ ص ٧٦.

أن يقوموا بأي تنكيل بسفنكم[1] نعم هذه هي الوهابية قتال المسلمين وترك الكافرين بل والتعهد بحمايتهم وهو عين ما أراده النصارى عند تأسيسهم لهذا الاتجاه الخسيس لم يكتف الوهابية بجهودهم الذاتية بل استنصروا بالقوات البحرية البريطانية لإغلاق البحر في وجوه المسلمين فقد أرسل أميرهم كتاباً يتذلل فيه للمقيم البريطاني في البصرة يقول فيه (لقد أثبتنا لكم سلفاً بأننا نحترم كل المنتسبين إليكم ولم ينكل أي أذى مهما كان طفيفاً من أتباعنا وعليه فإنه يتحتم عليكم في مقابل ذلك أن لا تصدروا تصاريح إبحار لأعدائنا [2]إن الأذى لن يصيب النصارى بل سيصيب المسلمين وقد حاول خدمة الإنكليز بحل عقدتهم مع شبه القارة الهندية فقد ذكر الدكتور صلاح العقاد بأن أمير الوهابية أرسل ابنه لتشجيع مسلمي للهند للقتال في صفوف الإنكليز في معركة العلمين [3]وها نحن نعيد نشر هذه البرقية من أمير الوهابية في نجد إلى المندوب البريطاني السيد يرسي كوكس بمناسبة احتلال الإنكليز للبصرة وانتزاعها من أيدي المسلمين قال فيها (سيدي يرسي كوكس مندوب بريطاني العظمى دام عزها دخول جيوشكم الإنكليزية العظمى للعراق نصر مبين وعز مكين لنا عبوديتنا وخدمتنا لبريطانيا العظمى وولائنا لكم إلى الأبد)[4] هذا قديماً أما في الحديث فقد أجاز كبار علماء دخول اليهود والنصارى أرض الحرمين الشريفين لضرب أهل العراق المسلمين بل وأفتى كبيرهم بجواز قتل العراقيين وإن كانوا في الصلاة أي أقرب ما يكونون إلى الله وهو

(١) موجز تاريخي عن القبائل الوهابية العربية في مجموعة مختارات من سجلات بمباي منشورات المكتبة السرية والسياسية بومباي ١٨٥٦ المجلد ٢٤ ص ٤٥٦ باللغة الإنكليزية.

(٢) كيللي ج ب بريطاني في الخليج الفارسي ١٧٩٥ - ١٨٨٠ (مطبوعات أكسفورد كلارندن ١٩٦٨ ص ١٣٤ بالإنكليزية.

(٣) الدكتور صلاح العقاد جزيرة العرب في العصر الحديث معهد البحوث والدراسات العربية القاهرة ص ٨٥.

(٤) الدكتور محمد عوض الخطيب صفحات من تاريخ الجزيرة العربية دار المعراج ص ٩٨ وقد ذكر مصادره.

ذاته الذي حرم استعانة جمال عبد الناصر بالخبراء الروس في الجهاد ضد إسرائيل[1] إنه ابن بارز رئيس هيئة كبار العلماء والمفتي العام للوهابية الذي أفتى بجواز لبس الصليب بدعوى أن ذلك مصلحة للإسلام وقد نشرنا نص الفتوى في مقال سابق وقد نشرنا التعميم الذي وزع على الخطباء لمنع الدعاء على دول اليهود والنصارى لأن ذلك ليس من أخلاق الإسلام نعم أيها المسلمون إنه الولاء لليهود والنصارى ولكن أخطر ما فيه أن أصحابه يلبسون مسوح أهل التقوى وليس لهم هم إلا قتال المسلمين وشغلّهم ببعضهم وهو عين ما أوحى به المستر هامفر إلى محمد بن عبد الوهاب فأحسن تطبيقه هو وخلفه الصالح إن في ذلك لعبرة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

(١) محمد حسنين هيكل خريف الغضب.

تعريف السلفية

يقول ابن منظور في مادة سلف:

السلف: سَلف يسلف وسلوفات قدم والسالف المتقدم والسلف والسليف والسلفة الجماعة المتقدمون وقوله عز وجل: ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ﴾ [الزخرف: ٥٦] وقال الفراء يقول جعلناهم سلفاً متقدمين ليتعض بهم الآخرون ويقول الجوهري سلف يسلف سلفاً مقال يطلب طلباً أي مض والقوم السلاف المتقدمين وسلف الرجل آبائه المتقدمين والجمع أسلاف وسلاف وسلف أيضاً من تقدم من آبائك وذوي قرابتك الذين هم فوقك في السن والفضل وأحدهم سالف وقيل سلف الإنسان من تقدمه بالموت من آبائه وذوي قرابتك ولهذا اسمي الصدد الأول من التابعين السلف الصالح(١) قال ابن فارس سلف س ل ف أصل يدل على تقدم وسبق فالسلف الذين مضوا والقوم السلاف المتقدمون(٢) وفي أنساب السمعاني السلفي بفتح السين واللام وفي آخرها الفاء هذه النسبة إلى السلف وانتحال مذهبهم حتى عرفت به جماعة(٣) قال ابن الأثير في النهاية سمي الصدر الأول من التابعين السلف الصالح(٤) والسلف شرعاً كل من يقلد ويقتفي أثره في الدين كأبي حنيفة وأصحابه فإنهم سلفنا وأما الصحابة فإنهم سلفهم وأبو حنيفة من إجلاء التابعين(٥).

---

(١) ابن منظور لسان العرب ج٦ ص ٣٣٠-٣٣١ دار التراث العربي ط ١٩٨٨.

(٢) ابن فارس معجم مقاييس اللغة مادة سلف.

(٣) علي حسين الجابري الفكر السلفي عند الشيعة الاثني عشرية ص ١٥ و١٦.

(٤) ابن الأثير النهاية في غريب الحديث ج٢ ص ١٩٠ المطبعة الخيرية القاهرة عام ١٣٢٣هـ.

(٥) التهانوي الكشاف مادة سلف.

والسلفية فرقة من الإمامية وهم الإخبارية[1] من خلال هذه التعاريف يظهر أن السلف لغة تعني التقدم الزمني فكل من الأزمنة التي سبقته ومرت من قبله[2] لكن الاختلاف ظهر في تحديد مفهومه الاصطلاحي وربط ذلك بفترة زمنية محدودة أطلق عليها اسم السلف والمعنى الاصطلاحي المستقر لهذه الكلمة كما ذهب إليه البوطي هو القرون الثلاث الأولى من عمر هذه الأمة الإسلامية[3] وذهب غيره إلى اتفاق رأي العلماء بأن السلف يراد بهم الصحابة والتابعون وتابعوا التابعين رحمهم الله[4] وقيل ما قبل الخمسمائة[5] واختلاف الآراء حول مفهوم السلفية منهم من أرجع هذا إلى عصر الصحابة وقالوا لقد افترق المجتمع الإسلامي الأول مباشرة بعد وفاة الرسول ﷺ إلى فرقتين فمن الصحابة من آمن بولاية علي بن أبي طالب ابن عم الرسول وزوج فاطمة لا على أساس القرابة وفضل الجهاد وإنما على أساس النص والتعيين النبوي[6] بالإضافة إلى ادعائه عليه السلام نفسه بكونه الولي الشرعي المنصوص عليه من طرف الله ورسول وناصر جمع من المهاجرين والأنصار استخلاف أبي بكر وعمر وعثمان وأنكروا النص على خلافة علي بن أبي طالب وظهرت للوجود آنذاك فرقة الشيعة متميزة وهم أتباع علي من الصحابة وغيرهم من التابعين وتابعي التابعين وبعد الحروب التي خاضها الإمام علي إبان خلافته ظهرت فرقة الخوارج وبعدها بقليل ظهرت فرقة المرجئة وقد تحولت هذه الفرق السياسية إلى فرق كلامية ودينية تدافع وغيرها مما اختلق من مصادر

---

(١) الفكر السلفي مصدر سابق ص ١٦.
(٢) محمد سعيد البوطي السلفي مرحلة زمنية مباركة لا مذهب إسلامي دار الفكر دمشق ص ٩.
(٣) محمد سعيد البوطي السلفي مرحلة زمنية مباركة لا مذهب إسلامي دار الفكر دمشق ص ٩.
(٤) د عبد الحليم محمود السلفي ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ص٩ و١٠.
(٥) الفكر السلفي مصدر السابق ص ١٧.
(٦) ارجع إلى كتاب السلفية للسيد محمد الكثيري باب تعريف الإمامية الاثني عشرية.

وأساليب الحجاج والجدال فظهرت بذلك الفرق الدينية الكبرى التي أثرت في تاريخ الأمة الإسلامية جمعاء منذ ذاك العهد وإلى يوم الناس هذا ظهر التيار الجبري الأموي وفي مقابله وضده انطلق القدريون دعاة للحرية الإنسانية بشكل متطرف وإلى جانب الفرق التي جادلت في بعض القضايا الخاصة بمشكلات عقائدية لها جذور في النص القرآني والحديث أو كانت محل إثارة وجدل لدى الأديان والمذاهب السابقة على الإسلام مثل التشبيه والتجسيم وقامت فرق أخرى للرد على تلك الفرق كالمعتزلة والأشاعرة وأهل الحديث بفرقهم من معتدلين وحشوية كما ظهر المذاهب الفقهية الأربعة وغيرها مما اندثر وعفى عنه الزمن من هم السلفية بعد هذه المتابعة لمفهوم السلف وتحليل بعض التعاريف التي وضعها السلفيون وغيرهم نستطيع أن نجيب على السؤال وهو من هم حقيقة دعاة الانتساب لمذهب السلف أو السلفية في الماضي والحاضر هل لهؤلاء مذهب خاص في الأصول والفروع يميزهم عن باقي الفرق الإسلامية المعروفة المقصود بالسلفية هم أولئك الذين ظهروا في القرن الرابع الهجري وكانوا من الحنبلة وزعموا أن جملة آرائهم تنتهي إلى الإمام أحمد بن حنبل الذي أحيى عقيدة السلف وحارب دونها ثم تجدد ظهورهم في القرن السابع الهجري أحياه ابن تيمية وشدد في الدعوة إليه وأضاف إليه أموراً أخرى قد بعثت إلى التفكير فيها أحوال عصره ثم ظهرت الآراء في الجزيرة العربية وما زال الوهابيون ينادون بها[1] يتبين من خلال هذا التعريف الذي وضعه أبو زهرة بأن دعاة السلفية أو مذهب السلف هم شريحة من أتباع الحنبلي ونقول شريحة وليس جميع أتباع هذا المذهب لأن هذه الفئة التي سميت نفسها بالسلفية أو مذهب لها آراء وأفكار ومذهب خاص في الأصول والعقائد وأحمد بن حنبل يعتبر أحد الأئمة الأربعة المقلدين في الفقه وليس له في العقائد أو الأصول مذهب خاص به لذلك كان أغلب مقلدي هؤلاء الأئمة الأربعة وأحمد بن حنبل من ضمنهم ينتمون عقائدياً إلى المذهب الكلامي الممثل بشقيه

(١) الدكتور محمد أبو زهرة المذاهب الإسلامية ص ٣١١.

الأشعري والماتريدي مذهب أهل السنة والجماعة في الأصول والسؤال الذي يطرح نفسه وهو هل كان جل الحنابلة في الأصول على عقيدة مذاهب أهل السنة والجماعة من الأشاعرة والماتريدية الجواب بالنفي فقد كان الحنابلة دون باقي المذاهب الفقهية الأخرى موزعين على عقائد شتى ومذاهب أصولية مختلفة فمنهم من كان أشعرياً ومنهم من كان صوفياً يؤمن بعقائد وحدة الوجوب وغيرها من عقائد الصوفية منهم مفوضة يتبعون السلف في مواقفهم وآرائهم العقائدية ومنهم وهم الأغلبية كانوا كما أجمعت عليه كتب علم الكلام والعقائد والتاريخ حشوية حيث كثر فيهم وفي غالبية أصحاب الحديث الاعتقاد بالتشبيه والتجسيم والقول بالجبر وغيرها من الآراء والمعتقدات التي تجند المعتزلة أولًا لمحاربتها ثم تصدى لهم فيما بعد أهل السنة من علماء الكلام الأشاعرة والماتريدية وغيرهم ممن يذهب مذاهب التنزيه وإذا رجعنا إلى المذهب الأصولي والعقائدي لابن تيمية محيي وباعث مذهب السلف في القرن السابع الهجري كما ذكر الشيخ محمد أبو زهرة في تعريف نجد أن الرجل أي ابن تيمية قد اشتهر بالتشبيه والتجسيم وكان يذهب مذاهب الحشوية في العقائد وقد قام بمجهود جبار في الدفاع عن هذه العقائد والانتصار لها جعلت الدكتور علي سامي النشار يصفه بالفيلسوف المجسم النادر المثال[1] وإذا كان محمد بن عبد الوهاب تلميذ ابن تيمية وزعيم السلفية وباعث المعاصر فسيفهم من ذلك أن الدعوة السلفية المعاصرة والنابعة من آراء ابن تيمية خصوصاً والمذهب الحنبلي عموماً ما هي إلا حشوية الحنبلي التي عرفت في تاريخ الفرق الكلامية كمذهب أو تيار له آراؤه الخاصة في العقائد والأصول وعرفت غالبية أتباعه بالانتساب إلى مذهب احمد بن حنبل الفقهي لذلك قال الصفدي والغالب في الحنابلة الحشوية[2] أن القارئ والمطلع على ما يكتبه رجالات السلفية المعاصرون من كتب في الأصول والفروع وما ينشرونه من كتب التراث التي تدعم مذهبهم وما يدعون إليه صباح مساء سيجد بأن الدعوة الحشوية

(١) الدكتور علي سامي النشار نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام ج١ ص ٣١٢.
(٢) بهاء الدين العاملي الكشكول مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ج٢ ص ١٥١.

الحنبلية قد قامت من رقادها الطويل تنفض عنها غبار الزمن مستعيرة لقب السلفية للتضليل والتمويه على عامة الناس عموماً وأبناء الصحوة الإسلامية خصوصاً وقد تنبه لذلك طائفة من علماء أهل السنة فبادروا لإعلان ذلك وتنبيه المسلمين كافة إلى خطر انتشار عقائد وأفكار هذه الفئة المخربة والمشاغبة والتي سطر لها التاريخ الإسلامي صفحات سوداء في الماضي من إشاعة الفتن المذهبية وتحريف وتشويش العقائد الإسلامية وما تبع ذلك من انحصار وتقهقر للحضارة والمدينة الإسلامية بشكل عام يقول ابن خليفة عليوي وهو عالم أزهري لقد ظهرت في بلادنا الشامية طائفة تدعو إلى السلفية ونهجها اعتناق العقدة الحشوية الحنبلية وتبديع أهل السنة[1] ويضيف ولنحذر جميعاً من وساوس الشياطين أن تزين لنا نزعات الضالين من اليهود والنصارى المجسمين الذين اتبعتهم في ذلك الحشوية الحنبلية فقد أصيب بهم المسلمون بأكبر بلية تركوا العقل والنظر وأخذوا بظاهر الخبر ولا مستند لهم من شرع سيد البشر محمد عليه أفضل الصلاة والسلام فليت شعري كيف يدعون السلفية ويزعمون أنهم يدعون إلى التوحيد الخالص والأعمال الصالحات وهم مجسمون ومتمسكون بأذناب الضلالات فاخلق بهم أن يأخذوا بعقيدة أهل السنة لرشدوا إلى طريق الإسلام[2] ويقول أيضاً أما أنتم أيها الحشوية الحنبلية في البلاد الشامية كفاكم شن الغارات على أهل السنة بعاديات الأهواء وكفاكم شموخاً بأنوفكم حتى السماء مع أنكم لا تملكون حتى ولا دليلًا واحداً يؤيد مدعاكم فيما تبدعوننا فيه ونحن نملك كل دليل كان عليه السلف ونسير عليه[3] إن هذه النصوص وغيرها تنقلنا إلى أجواء القرن الرابع الهجري وما بعده حيث كان الصراع مستمراً وعلى أشده بين أهل السنة أشاعرة وماتريدية وبين هذه الفرقة التي عرفت بالحشوية الحنبلية والتي تبرأ منها علماء الإسلام عامة وناقشهم

---

(١) ابن خليفة عليوي هذه عقيدة السلف والخلف في ذات الله تعالى مطبعة زيد ابن ثابت دمشق ١٩٧٩ ص ٧.
(٢) المصدر نفسه ص ٥.
(٣) المصدر نفسه ص ٦.

في هذه النسبة أي الانتساب للإمام أحمد بن حنبل بعض الفضلاء الحنابلة[1] كما يقول الشيخ أبو زهرة لكن هذه النصوص قد كشفت لنا وبما لا مجال للشك فيه على أن السلفية الوهابية اليوم والتي تتخذ من أرض الجزيرة والحرمين الشريفين منطلقاً لها ولدعوتها هي في حقيقة الأمر بعث لعقائد فرقة الحشوية الحنبلية والتي عرفت تاريخاً بهذا الاسم وسنحاول تسليط الضوء على تاريخ هذه الفرقة نشوءها وتطورها وعلاقتها بالسلف وبمذهب الإمام أحمد بن حنبل الفقهي والأصولي والسلفية اليوم تقلد في العقائد اليهود والنصارى في التجسيم والتشبيه ومثال عندما كنت في العمرة عام ٢٠٠١ وأنا في مدينة النبي ناد عليَّ سلفي فسألني وقال أنت شيعي فقلت له نعم أنا شيعي قال عندي سؤال لك فقلت تفضل قال أين الله موجود فقلت بكل مكان وزمان فقال يعني كلامك هذا الله موجود حتى في النجاسة فقلت له أنت غير مهذب الله لا يحده مكان ولا زمان فإن حده مكان وزمان هذا حادث وكل حادث مخلوق لابد أن يرى بالعين المجردة أو يلتمس بالحواس الخمس فقال يعني حتى في النجسة مرة أخرى قلت أنتم تقولون بالتشبيه وتجسيم ينبغي أن لا أكلمك مطلقاً فانصرفت من عنده وبالفعل عندما تقرأ كتب التوحيد عندهم تستغرب فتقول هؤلاء عندهم عقائد خارجة عن الإسلام والدين الحنيف وعقائدهم أكثرها مأخوذة من صنيع اليهود والنصارى

---

(١) المذاهب الإسلامية ص ٣١١.

تعريف بالشيخ عبد الله فيلبي

لقد ذكرنا أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب عاد من البصرة وحوله كوكبة من النصارى المستشرقين الإنكليز في صورة رفيق اشتراهم الشيخ خلال رحلته ولم يكن الولاء بطبيعة الحال إلا الجماعة المشرفة على المخطط المعد في وزارة المستعمرات البريطانية إنشاء إسلام جديد يكون فيه الجهاد حياً ونشيطاً وذلك نتيجة لتجربتهم المريرة مع المسلمين في شبه القارة الهندية الذين رفعوا راية الجهاد ضد المستعمر الإنكليزي فرأى الإنكليز لزاماً عليهم وهم أهل الدهاء والمكر إن أرادوا البقاء في العالم الإسلامي فعليهم تصميم إسلام جدير يفرضونه على المسلمين فرضاً فتح تصميم حركة جديدة صورتها صورة الإسلام داخل وزارة المستعمرات البريطانية وليكن تطبيقها بالقرب من أقدس أماكن المسلمين ولكن ما يميز هذه الحركة أن الجهاد هذه المرة مسلط على رقاب المسلمين حيث أصبحوا مشركين عبدة قبور وأصنام في الشريعة الوهابية لا على رقاب دول الاستعمار كما كان حال المسلمين في العالم عموماً فاستحم القتل في أهل شبه الجزيرة العربية ووصل إلى العراق وبعض بقاع بلاد الشام والوقوف أمام أي تحرك لجمع كلمة المسلمين لقد اهتم النصارى الإنكليز اهتماماً كبيراً برعاية الحركة الوهابية الناشئة كيف لا وفيها بارقة الأمل لا على القضاء على ذروة سنام الإسلام فحسب بل إلى شغل المسلمين بأنفسهم فأخذوا يرعونها بواسطة عملائهم منذ المستر هامفر مروراً بشكسبير الذي قاتل في معركة الجراب بين الوهابية وآل رشيد ثم جون فيلبي وفي مقالنا هذا سنتعرض لهذه الشخصية بشيء من التعريف نتيجة لدورها في قيادة المباشرة للوهابية عسكرياً وسياسياً ردحاً طويلًا من الدهر هو فيلبي هو الكولونيل هاري جون سانت فيلبي ولد في ٣ أبريل ١٨٨٥ في الجزيرة سيلان(سريلانكا) وانتقل إلى بريطانيا سنة ١٨٩١ وأكمل دراسته في الجامعة كامبردج سنة ١٩٠٧ ثم درس التاريخ والقانون الهندي وتعلم اللغات الفرنسية والألمانية والهندستانية

والفارسية والعربية وعاد إلى الشرق ضمن أفواج المخابرات البريطانية أمثال كتشسنر ولورنس مكماهون وكوكس ومس بل وكلايستون وغلوب وولسون وهو والد هارولد كيم فيلبي الذي كان دبلوماسياً بريطانياً رفيع المستوى ومن كبار ضباط الاستخبارات البريطانية ولكنه في نفس الوقت كان عميلًا مزدوجاً للمخابرات الروسية (كي جي بي) ثم هرب بعد إلى روسيا عام ١٩٣٦م بعد افتضاح أمره وقد ذكر قصته (بيتر رايت) في كتابه الشهير (صائد الجواسيس) وهكذا كان الأب جون فيلبي حيث اشتهر بازدواجية العمالة للمخابرات الأمريكية (سي آي أي) مع عمله في المخابرات البريطانية استدعى الشيخ فيلبي للإشراف على سير حركة الوهابية مباشرة بعد مقتل كابتن شكسبير في معركة الجراب سنة ١٩١٥ في مواجهة آل رشيد الذين رأت فيهم بريطانيا ولاء للسلطة العثمانية فاستطاع الوهابية مشاغلتهم فلم ينجدوا السلطة العثمانية ساعة احتلال القوات البريطانية للبصرة بعد انسحاب القوات الوهابية إلى بريدة وانسحاب آل رشيد إلى القصيم وصل فيلبي الخبير من المخابرات البريطانية داعماً الاستراتيجية الهادفة إلى شغل المسلمين بأنفسهم واللعب بأذهان الأتراك خلال الحرب الكونية الأولى فكان أن حرك القوات الوهابية على محورين المحور الأول قتال آل رشيد في الشمال الشرقي المحور الثاني قتال الشرفاء في الحجاز فبالنسبة للمحور الأول ففي سنة ١٩١٧م أوفدت بريطانيا حسب ما ذكره بكسون في كتابه (الكويت وجاراتها) كلًا من الكولونيل هاميلتون والكولونيل كانليف من ممثلي المخابرات البريطانية في العراق من البصرة إلى نجد لدفع الوهابية واستئناف التحرشات بابن رشيد وذلك لدى بدء الزحف على العراق وقد تم الاتفاق مع الوهابية على المباشرة بمهمتهم فور وصول الإمدادات اللازمة وقد تعهدت بريطانيا بتقديم الأموال والأسلحة والمشورة العسكرية وبناء على الاتفاق حملت بعثة برئاسة جون فيلبي مبالغ طائلة من الجنيهات الذهبية والريالات ماريا تريزا إلى الوهابية وكانت موضوعة في صناديق متينة في الوقت الذي لم يكن فيه موارد الوهابية تتجاوز المائة ألف ريال إضافة إلى

المساعدات السنوية البريطانية مبلغة ستين ألف ريال[1] وقد سلم فيلبي إلى قائد الوهابية في حينه مائة ألف ريال على الحساب للبدء بتجنيد القبائل على أساس أن الأسلحة ستصل لاحقاً وقد بدأت كميات الأسلحة تصل تباعاً وكانت دفعة منها وصلت تبلغ خمسة آلاف بندقية ومائة صندوق ذخيرة ولما نشبت المعركة كان الذي خطط لها جون فيلبي يجرؤ العميل البريطاني[2] على المشاركة الفعلية خوفاً من مصير شبيه بمصر النقيب كسبير بل هو اكتفى بمراقبتها من شرفة عالية في برج قريب وخلال هذه الفترة عمد إلى تكتيك جديد وهو استخدام المال وتقديم المغريات وسيلة لتحريك الحساسيات والعصبيات فساعدهم بعض آل رشيد على الاستيلاء من قرى منطقة حائل عاصمة آل رشيد وكان هذا من مسهلات معركة (الروضة) حيث احتلت قريتا (بيضاء نشيل) (والشعبية) وقتل الوهابية المصلين عند الصباح بالمساجد في شهر رمضان على أساس أنهم من المشركين كما هتكت الأعراض ونهبت الأموال ثم استطاعوا بمعاونة بعض العملاء من الاستيلاء على جبل شمر(جبل طيئ سابقاً أجا سلمى)وأخذوا يمارسون الإرهاب ضد أهله ولا سيما في قرية (عقدة) وبعض القرى المجاورة حيث قتلوا عدداً من الفلاحين الآمنين وهكذا أنفتح الطريق أمام الوهابية إلى حائل وكان للخانة كما خطط لها فيلبي دور كبير في سقوطها بعد أن حشد لها الوهابية جيشاً كبيراً فسقطت في أيديهم في ٢٩ صفر ١٣٤٠ / ٢٠ نوفمبر عام ١٩٢٢ أما بالنسبة للمحور الثاني فبعد أن رفض الشريف حسين قبول الاتفاق التي نعرفها اليوم بين الإنكليز والفرنسيين والصهاينة بخصوص ما أسموه بمنطقة الشرق الأوسط من وعد بلفور إلى اتفاقية سايكس بيكو على الرغم من محولات الرشوة والتهديد من البريطانيين يقول الدكتور صلاح العقاد والحق أن معارضته (الشريف) الوطن القومي اليهودي في فلسطين وما ترتب ذلك من رفض معاهدة فرساي كان أقوى الأسباب التي باعت

---

(١) الدكتور محمد عوض الخطيب من تاريخ الجزيرة العربية ص٧٢.
(٢) خيري حماد (عبد الله فيلبي) ص ٢١٥.

بين الشريف حسين والحكومة البريطانية[1] ورداً على الشريف هيأ الإنكليز للوهابية الهجوم على الحجاز ولم يكتفوا بالمشورة والإمدادات العسكرية هذه المرة فهم قد استطاعوا إمدادهم بالتغطية الشرعية عن طريق استصدار الفتاوى لا من أتباع محمد بن عبد الوهاب فقط بل حتى من مستعمرات التاريخ البريطاني وكذلك بتخريب مقومات القوة العسكرية الشريفة ولا سيما الطائرات الحربية التي كانت بحوزتها والتي استطاع العملاء البريطانيون السريون تعطيلها وقد كان فيلبي هو الذي استطاع فراغ الشريف فطرح وساطته بينه وبين الوهابية فحد زحفهم على الحجاز فاستطاع أن يطلع على أوضاع الجيش الشريفي ليضع للوهابية خطط الكفيلة بالقضاء عليه فبعد أن زار جدة أكد فيلبي لقائد الوهابية أنها من ناحية عسكرية عاجزة عن الصمود كما أكد له أن غالبية أهلها يريدون نهاية سريعة يقول فيلبي بعده أيئسنا من الحسين فحركنا جنود الإخوان وكان هذا اسم جنود الوهابية الذين انشقوا في ما بعد بقيادة خالد بن لؤي وفيصل الدروش وسلطان بن حماد لسفك دماء غزيرة في الطائف لتوقع الرعب في قلوب الحجازيين البادية والحاضرة وفر بها على بقية المدن الحجازية دماء أُخرى إن أمكن الأمر وإلا فإن دماء غزيرة لا بد من إراقتها لأن الإنكليز قرروا إسقاط حكم الشريف حسين بأي ثمن بعد أن رفض الأمر لطلبات بإعطاء فلسطين لليهود والمشردين المساكين وبعد أن رفض الحسين ما عرضناه عليه بأن يكتفي بالحجاز وحده وأن يغير وجهة نظره في التوحيد البلاد العربية كلها تحت الكلمة[2] ومنذ بداية ١٩٢٦م أصبح فيلبي المستشار الخاص لزعماء الوهابية فبقي ملازماً لهم مدحاً طويلًا من الدهر وقد أسهم إسهاماً كبيراً في تعميق الروابط بين الوهابية والصهاينة حيث قدم حاييم وايزمان اليهودي رشوته لقادة الوهابية عن طريق الفيلبي هذا ليعينوهم على إقامة

---

(١) الدكتور صلاح العقاد جزيرة العرب في العصر الحديث معهد بحوث والدراسات العربية القاهرة ١٩٦٠ص٤١.

(٢) ناصر السعيد تاريخ المنشورات اتحاد شعب الجزيرة العربية مغفل التاريخ ص ٣٥٩.

دولة صهيونية في فلسطين وقد ذكرنا القصة بكاملها عند حديثنا عن دور الوهابية في الترسيخ الوجود الصهيوني في فلسطين هذا بإيجاز أما الكثير من أفعاله وأقواله فستجد خبرها في مقالاتنا المختلفة في هذا الكتاب والوهابية المجرمة تلميذة عبد الله الفيلبي ولو سألت عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب وهو كان طالب علم وقد حفظ القرآن لجعلوه بمكان عمر بن الخطاب وهذه الأمور تعود إلى الخلفاء السابقين الذين استعانوا باليهود سابقاً نسأل الله التوفيق والعفو وأن يقاتل أعداء الدين الوهابية المجرمين.



دور أهل البيت ﴿عليهم السلام﴾ في موجهة الابتداع

عرض روائي قال رسول الله ﴿صلى الله عليه وآله﴾ «إن لله عند كل بدعة تكون بعدي يكاد بها الإيمان ولياً من أهل بيتي موكلًا به يذب عنه ينطق بإلهام من الله ويعلن الحق وينوره ويرد كيد الكائدين ويعبر عن الضعفاء فاعتبروا يا أولي الأبصار وتوكلوا على الله»(١) في هذا الفصل نحاول أن نتعرض إلى مجمل الدور الذي تحمل أعباءه أهل البيت ﴿عليهم السلام﴾ في مواجهة البدع ومحدثات الأمور من خلال عرض مجموعة من النصوص الواردة عنهم بهذا المجال وسوف نقتصر في ذلك على النصوص التي عالجت أهم البدع ارتكازاً وأكثرها شيوعاً والتي تتعلق في الغالب بجانب الاعتقادات وأما المواقف الجبارة التي قام بها أهل البيت ﴿عليهم السلام﴾ في مواجهة كل ظاهرة دخيلة على التشريع وغير منسجمة مع المبادئ الإسلامية الصحيحة والدفاع عن كيان الإسلام بمختلف الوسائل ومن مختلف المواقع والأدوار وخصوصاً مواقف بطل الإسلام علي بن أبي طالب ﴿عليه السلام﴾ ودوره في قمع بدع الخوارج وأهل الأهواء والضلال ودور ثورة الإمام الحسين ﴿عليه السلام﴾ في تثبيت دعائم الدين وأركانه والمواقف الرسالية الأخرى لأئمة أهل البيت ﴿عليهم السلام﴾ فهو ما لا يسعنا بيانه في هذا العرض العاجل.

الجبر والتفويض والقضاة والقدر

عن أبي جعفر وأبي عبد الله ﴿عليهما السلام﴾ قالا إن الله عز وجل أرحم بخلقه من أن يجبر خلقه على الذنوب ثم يعذبهم عليها والله أعز من أن يريد أمراً فلا يكون فسألا ﴿عليهما السلام﴾ هل بين الجبر والقدرة منزلة ثالثة قالا نعم أوسع مما بين السماء

---

(١) أبو جعفر البرقي المحاسن ج١ ص ٣٢٩ باب البدع حديث ٦٦٩.

والأرض[1] وعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنه قال أن الله تبارك وتعالى أكرم من أن يكلف الناس ما لا يطيقونه والله أعز من أن يكون في سلطانه ما لا يريد[2] عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنه قال أن الناس في القدرة على ثلاث أوجه أجل أن الأمر مفوض إليهم فهذا قد أوهن الله في سلطانه فهو كافر ورجل يزعم أن الله كلف العباد ما يطيقون ولم يكلفهم ما لا يطيقون وإذا أحسن حمد الله وإذا أساء استغفر الله فهذا مسلم بالغ [3].

عن محمد بن عجلان قال قلت لأبي عبد الله عليه السلام فوض الله الأمر إلى العباد فقال الله أكرم من أن يفوض إليهم قلت فأجبر الله العباد على أفعالهم فقال الله أعدل من أن يجبر عبداً على فعل ثم عذبه عليه[4].

عن سليمان بن جعفر عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال ذكر عنده الجبر والتفويض فقال عليه السلام ألا أعطيكم في هذا أصلًا لا تختلفون فيه ولا تخاصمون عليه أحداً إلا كسرتموه فقلنا إن رأيت ذلك فقال عليه السلام إن الله عز وجل لم يطع بإكراه ولم يعص بغلبة ولم يهمل العباد في ملكه هو المالك لما ملكهم والقادر على ما أقدرهم عليه فإن ائتمر العباد بطاعته لم يكن الله عنها صاداً ولا منها مانعاً وأن ائتمروا بمعصية فشاء أن يحول بينه وبين ذلك فعل وأن لم يحل وفعلوه فليس هو الذي أدخلهم فيه ثم قال عليه السلام من يضبط حدود الكلام فقد خصم من خالفه [5].

عن أبي المفضل بن عمر عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال لا جبر ولا تفويض ولكن أمر بين أمرين قال قلت وما أمر بين أمرين قال عليه السلام مثل ذلك رجل رأيته على معصية فنهيته فلم ينته فتركته ففعل تلك المعصية فليس لم يقبل منك فتركته أنت الذي أمرته بالمعصية [6].

---

(١) أبو جعفر الصدوق التوحيد باب ٥٩ ج٣ ص ٣٦٠.
(٢) أبو جعفر الصدوق التوحيد باب ٥٩ ج٤ ص ٣٦٠.
(٣) أبو جعفر الصدوق التوحيد باب ٥٩ ج٥ ص ٣٦٠ و٣٦١.
(٤) أبو جعفر الصدوق التوحيد باب ٥٩ ج٦ ص ٣٦١.
(٥) أبو جعفر الصدوق التوحيد باب ٥٩ ج٧ ص ٣٦٢.
(٦) أبو جعفر الصدوق التوحيد باب ٥٩ ج ٨ ص ٣٦٢.

عن الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام إن الله تبارك وتعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ ولا يحملها فوق طاقتها ولا تكسب كل نفساً إلا عليها ولا تزر وازرة أخرى(1).

عن الحسن بن علي الوشاء عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال سألته فقالت له الله فوض الأمر إلى العباد قال عليه السلام الله أعز من ذلك قلت فأجبرهم على المعاصي قال عليه السلام الله أعدل وأحكم من ذلك ثم قال عليه السلام قال الله عز وجل يا ابن آدم أنا أولى بحسناتك منك وأنت أولى بسيئاتك في عملت المعاصي بقوتي التي جعلتها فيك(2).

عن محورات الزنديق مع أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنه قال له فأخبرني عن الله عز وجل كيف لم يخلق الخلق كلهم مطيعين موحدين وكان على ذلك قادراً فقال عليه السلام لو خلقتهم مطيعين لم يكن لهم ثواب لأن الطاعة إذاً ما كانت فعلهم ولم تكن جنة ولا نار ولكن خلق خلقه فأمرهم بطاعته ونهاهم عن معصيته واحتج عليهم برسله وقطع عذرهم بكتبه يكونوا هم الذين يطيعون ويعصون ويستوجبون بطاعتهم له الثواب وبمعصيتهم إياه العقاب قال فالعمل الصالح من العبد هو فعله والعمل الشر العبد يفعله والعمل الشر من العبد هو فعله قال عليه السلام العمل الصالح العبد يفعله والله به أمره والعمل الشر العبد يفعله والله عنه نهاه قال أليس فعله بالآلة التي ركبها فيه قال عليه السلام نعم ولكن بالآلة التي عمل بها الخير قدر بها على الشر الذي نهاه عنه فقال فإلى العبد من الأمر شيء قال عليه السلام ما نهاه عن شيء إلا وقد علم أنه يطيق تركه ولا أمره بشيء إلا وقد علم أنه يستطيع فعله لأنه ليس من صفته الجور والعبث والظلم وتكليف العباد ما لا يطيقون (3).

قال أبو حنيفة حججت في أيام أبي عبد الله الصادق عليه السلام فلما أتيت المدينة

(1) أبو جعفر الصدوق التوحيد باب ٥٩ ج٩ ص ٣٦٢.
(2) أبو جعفر الصدوق التوحيد باب ٥٩ ج ١٠ ص ٣٦٢ و٣٦٣.
(3) محمد باقر المجلسي بحار الأنوار ج١٠ ص ١٧٠ و١٧١ باب ١٣ ج٢.

دخلت داره فجلست في الدهليز انتظر إذنه إذ خرج صبي يدرج فقلت يا غلام أين يضع الغريب الغائط من بلدكم قال على رسلك ثم جلس مستند إلى الحائط ثم قال توق شطوط الأنهار ومساقط الثمار وأفنية المساجد وقارعة الطريق وتوار خلف جدار وشل ثوبك ولا تستقبل القبلة ولا تستدبرها وضع حيث شئت فأعجبني ما سمعت من الصبي فقلت له ما اسمك فقال أنا موسى بن جعفر بن محمد بن علي ابن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام فقلت له يا غلام ممن المعصية فقال إن السيئات لا تخلوا من إحدى ثلاث إما أن تكون من الله وليست منه فلا ينبغي للرب أن يعذب العبد على ما لا يرتكب وإما أن تكون منه ومن العبد وليست كذلك فلا ينبغي للشريك القوي أن يظلم الشريك الضعيف وإما أن تكون من العبد وهي منه فإن عفا فبكرمه وجوده وأن عاقب فبذنب العبد وجريرته قال أبو حنيفة فانصرفت ولم الق أبا عبد الله الصادق عليه السلام واستغنيت بما سمعت [1].

روى محمد بن سنان عن داود الرقي أنه قال إن أبا حنيفة قال لابن أبي ليلى مر بنا إلى موسى بن جعفر عليه السلام لنسأله عن أفاعيل العباد وذلك في حياة الصادق عليه السلام وموسى عليه السلام يومئذ غلام فلما صار إليه سلما عليه ثم قالا له أخبرنا عن أفاعيل ممن هي فقال لهما إن كانت أفاعيل العباد من الله دون خلقه فالله أعلى وأعز من أن يعذب عبيده على فعل قد شاركهم فيه وإن كانت أفاعيل العباد من العباد فإن عذب فبعدله وإن فغر فهو أهل التقوى وأهل المغفرة ثم أنشأ يقول:

لم تخل أفعالنا اللاتي نذم بها إحدى ثلاث معان حين نأتيها
إما تفرد بارينا بصنعتها فيسقط الذم عنا حين ننشيها
أو كان يشركنا فيها فيلحقه ما سوف يلحقنا من لائم فيها
أو لم يكن لإلهي في جنايتها ذنب فما الذنب إلا ذنب جانيها

وجاء في شرح العقائد للمفيد لو كان خالقاً لها لما تبرأ منها وقد قال سبحانه:

---

(١) محمد باقر المجلسي بحار الأنوار ج١٠ ص ٢٤٧ باب ١٦ ج ١٦.

﴿أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾[1] ولم يرد البراءة من خلق ذواتهم وإنما تبرأ من شركهم وقبائحهم[2].

وفي الاحتجاج فيما سأله عباية بن ربعي الأسدي عن أمير المؤمنين علي عليه السلام في معنى الاستطاعة فقال أمير المؤمنين عليه السلام تملكها من دون الله أو مع الله فسكت عباية بن ربعي فقال له عليه السلام قل يا عباية فقال وما أقول يا أمير المؤمنين قال عليه السلام تقول تملكها بالله الذي يملكها من دونك فإن ملككها كان ذلك من عطائه وإن سلبكها كان ذلك من بلائه وهو المالك لما ملكت والقادر على ما عليه أقدرك[3].

وروي في الطرائف أن رجلًا سمع جعفر بن محمد الصادق عليه السلام عن القدر والقضاء فقال عليه السلام ما استطعت أن تلوم العبد عليه فهو منه وما لم تستطيع أن تلوم العبد عليه فهو فعل الله ويقول الله للعبد لم عصيت لم فسقت لم شربت الخمر لم زنيت فهذا فعل العبد ولا يقول له لم مرضت لم قصرت لم ابيضضت لم اسوددت لأنه من فعل الله تعالى[4].

وسئل أمير المؤمنين عليه السلام عن التوحيد والعدل فقال عليه السلام التوحيد أن لا تتوهمه والعدل أن لا تتهمه[5].

عن جعفر بن محمد عن أبيه محمد بن علي عن أبيه عن جده علي عليه السلام قال دخل رجل من أهل العراق على أمير المؤمنين عليه السلام فقال أخبرنا عن خروجنا إلى

---

(١) سورة التوبة آية ٣.

(٢) محمد حسين الطباطبائي الميزان في التفسير القرآن ج١ ص ١٠٠ عن شرح العقائد ص ١٣.

(٣) محمد حسين الطباطبائي الميزان في التفسير القرآن ج١ ص ١٠٠ عن الاحتجاج ج٢ ص ٥٥٥.

(٤) محمد حسين الطباطبائي الميزان في التفسير القرآن ج١ ص ١٠٠ عن طرائف المحكم ص ٣٤٠.

(٥) نهج البلاغة قصار الحكم الحكمة ص ٤٧٠.

أهل الشام أبقضاء من الله وقدر فقال له أمير المؤمنين أجل يا شيخ فوالله ما علوتم تعلة ولا هبطتم بطن وادٍ إلا بقضاء من الله وقدر فقال الشيخ عند الله احتسب عنائي يا أمير المؤمنين فقال عليه السلام مهلًا يا شيخ لعلك تظن قضاءً حتماً وقدراً لازماً لو كان كذلك لبطل الثواب والعقاب والأمر والنهي والزجر ولسقط معنى الوعيد والوعد ولم يكن على مسيء لائمة ولا لمحسن محمدة ولكان المحسن أولى بالأئمة من المذنب والمذنب أولى بالإحسان من المحسن تلك مقالة عبدة الأوثان وخصماء الرحمن وقدرية هذه الأمة ومجوسها يا شيخ إن الله عز وجل كلف تخييراً ونهى تحذيراً وأعطى على القليل كثيراً ولم يعص مغلوباً ولم يطع مكرها ولم يخلق السماوات والأرض وما بينهما باطلًا ذلك ظن الذين كفروا فويل اللذين كفروا من النار قال فنهض الشيخ وهو يقول:

أنت الإمام الذي نرجو بطاعته يوم النجاة من الرحمن غفرانا
أوضحت من ديننا ما كان ملتبساً جزاك ربك عنا فيه إحسانا[١]

عن علي بن موسى الرضا عليه السلام عن آبائه عن علي عليه السلام قال الأعمال على ثلاثة أحوال فرائض وفضائل ومعاصي وأما الفرائض فبأمر الله عز وجل وبرضى الله وقضاء الله وتقدير مشيئته وعلمه وأما الفضائل فليست بأمر الله ولكن برضى الله وبقضاء الله وبقدر الله وبمشيئته وبعلمه وأما المعاصي فليست بأمر الله ولكن بقضاء الله وبقدر الله وبمشيئته وبعلمه ثم يعاقب عليها[٢] عن الأصبغ بن نباتة قال إن أمير المؤمنين عليه السلام عدل من عند حائط مائل إلى حائط آخر فقيل له يا أمير المؤمنين أتفر من قضاء الله فقال عليه السلام أفر من قضاء الله إلى قدر الله عز وجل[٣].

عن سفيان بن عيينة عن الزهري قال قال رجل لعلي بن الحسين عليه السلام جعلني الله فداك أبقدر يصيب الناس ما أصابهم أم بعمل فقال عليه السلام إن القدر والعمل بمنزلة الروح والجسد فالروح بغير جسد لا تحس والجسد بغير روح صورة لا

---

(١) أبو جعفر الطباطبائي التوحيد باب ٦٠ ج ٢٨ ص ٣٨٠.
(٢) أبو جعفر الصدوق التوحيد باب ٦٠ ج٨ ص ٣٦٩ و٣٧٠.
(٣) أبو جعفر الصدوق التوحيد باب ٦٠ ج٨ ص ٣٦٩.

حراك بها فإذا اجتمعا قوياً وصلحاً كذلك العمل والقدر فلو لم يكن القدر واقعاً على العمل لم يعرف الخالق من المخلوق وكان القدر شيئاً لا يحس ولو لم يكن العمل بموافقة من القدر لم يمض ولم يتم ولكنهما باجتماعهما قويا ولله فيه العون لعباده الصالحين ثم قال عليه السلام إلا أن من أجور الناس من رأى جوره عدلًا وعدل المهتدي جوراً ألا أن للعبد أربعة أعين عينان يبصر بهما أمر أخرته وعينان يبصر بهما أمر دنياه فإذا أراد الله عز وجل بعبد خيراً فتح له العينين اللتين في قلبه فابصر بهما الغيب وإذا أراد غير ذلك ترك القلب بما فيه ثم التفت عليه السلام إلى السائل عن القدر فقال هذا منه هذا منه (١).

وروي في طرائف الحكم أن الحجاج بن يوسف كتب إلى الحسن البصري وإلى عمرو بن عبيد وإلى واصل بن عطاء وإلى عامر الشعبي أن يذكروا ما عندهم وما وصل إليهم في القضاء والقدر فكتب إليه الحسن البصري أن أحسن ما انتهى إلي ما سمعت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال أتظن أن الذي نهاك دهاك وإنما دهاك أسفلك وأعلاك والله بريء من ذلك وكتب إليه عمرو بن عبيد أحسن ما سمعت في القضاء والقدر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام لو كان الزور في الأصل محتوماً لكان المزور في القصاص مظلوماً وكتب إليه واصل بن عطاء أحسن ما سمعت في القضاء والقدر قول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أيدلك على الطريق ويأخذ عليك المطيق وكتب إليه الشعبي أحسن ما سمعت في القضاء والقدر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام كلما استغفرت الله منه فهو منك وكلما حمدت الله عليه فهو منه فلما وصلت كتبهم إلى الحجاج ووقف عليها قال لقد أخذوها من عين صافية (٢).

وروي أنه سئل أمير المؤمنين عليه السلام عن القضاء والقدر فقال لا تقولوا وكلهم

---

(١) أبو جعفر الصدوق باب ٦٠ ج٤ ص ٣٦٦ و٣٦٧.

(٢) محمد حسين الطباطبائي الميزان في تفسير القرآن ج١ ص ١٠٣ عن طرائق الحكم ص ٣٢٩.

الله إلى أنفسهم فتوهنوه ولا تقلوا أجبرهم على المعاصي فتظلموه ولكن قولوا الخير بتوفيق الله والشر بخذلان الله وكل سابق في علم الله [1].

وروي أن رجلًا قال لأمير المؤمنين عليه السلام فما القضاء والقدر الذي ذكرته يا أمير المؤمنين فقال عليه السلام الأمر بالطاعة والنهي عن المعصية والتمكين من فعل الحسنة وترك المعصية والمعونة على القربة إليه والخذلان لمن عصاه والوعد والوعيد والترغيب والترهيب كل ذلك قضاء الله في أفعالنا وأما غير ذلك فلا تظنه فإن الظن له محبط للأعمال فقال الرجل خرجت عني يا أمير المؤمنين خرج الله عنك[2].

روي أن المأمون سأل الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام عن قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ﴾[3] فقال الرضا عليه السلام حدثني أبي موسى بن جعفر عن أبيه جعفر عن أبيه جعفر بن محمد عن أبيه محمد بن علي عن أبيه عن أبيه علي بن الحسين عن أبيه الحسين بن علي عن أبيه علي بن أبي طالب عليه السلام قال إن المسلمين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وآله لو أكرهت يا رسول الله من قدرت عليه الناس على الإسلام لكثر عددنا وقوينا على عدونا فقال رسول الله صلى الله عليه وآله ما كنت لألقى الله عز وجل ببدعة لم يحدث إلي فيها شيئاً وما أنا من المتكلفين فأنزل الله عز وجل عليه يا محمد ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًاۚ﴾ على سبيل الإلجاء والاضطرار في الدنيا كما يؤمنون عند المعاينة ورؤية البأس في الآخرة ولو فعلت ذلك بهم لم يستحقوا مني ثواباً ولا مدحاً وكني أريد منهم أن يؤمنوا مختارين غير مضطرين ليستحقوا مني الزلفى والكرامة ودوام الخلود في جنة الخلد ﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ﴾ وما قوله عز وجل: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ﴾ فليس ذلك على سبيل تحريم الإيمان

---

(١) أحمد بن علي الطبرسي الاحتجاج ج١ رقم ١٢٢ ص ٤٩٢ و٤٩٣.
(٢) أحمد بن علي الطبرسي الاحتجاج ج١ رقم ١٢١ ص ٤٩٢.
(٣) سورة يونس آيتان ٩٩ - ١٠٠.

عليها ولكن على معنى أنها ما كانت لتؤمن إلا بأذن الله وإذنه أمره لها بالإيمان ما كنت مكلفة متعبدة وإلجاؤه إياه إلى الإيمان عند زوال التكليف والتعبد عنها فقال المأمون خرجت عني يا أبا الحسن خرج الله عنك(١).

القياس والرأي

عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال إن أصحاب المقاييس طلبوا العلم بالمقاييس فلم تزدهم المقاييس من الحق إلا بعداً وأن دين الله لا يصاب بالمقاييس(٢)، وعن يونس بن عبد الرحمن قال قلت لأبي الحسن الأول عليه السلام بما أوحد الله فقال يا يونس لا تكونن مبتدعاً من نظر برأيه هلك ومن ترك أهل البيت نبيه ضل ومن ترك كتاب الله وقول نبيه كفر(٣)، وعن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال (لا رأي في الدين)(٤)، وعن أبي جعفر الباقر عليه السلام أنه قال إن السنة لا تقاس وكيف تقاس السنّة والحائض تقضي الصيام ولا تقضي الصلاة(٥)، وعن سعيد الأعرج قال قلت لأبي عبد الله عليه السلام أن من عندنا ممن يتفقه يقولون يرد علينا ما لا نعرفه في كتاب الله ولا في سنّة نقول فيه برأينا فقال أبو عبد الله عليه السلام كذبوا ليس شيء إلا وقد جاء في الكتاب وجاءت فيه السنّة(٦)، وعن أبي بصير قال قلت لأبي عبد الله عليه السلام ترد علينا أشياء ليس نعرفها في كتاب الله ولا السنة فنظر فيها فقال عليه السلام لا أما أنك أن أصبحت لم تؤجر وأن أخطأت كذبت على الله عز

(١) محمد باقر المجلسي بحار الأنوار ج١٠ باب ١٩ حديث ٤ ص ٣٤٢ و٣٤٣.
(٢) محمد بن يعقوب الكليني الأصول من الكافي ج١ باب البدع والرأي والمقاييس ج ٧ ص ٥٦.
(٣) محمد بن يعقوب الكليني الأصول من الكافي ج١ باب البدع والرأي والمقاييس ج١٠ ص ٥٦.
(٤) أبو جعفر البرقي المحاسن ج١ ح ٧٨ ص ٣٣٣.
(٥) أبو جعفر البرقي المحاسن ج١ ح ٩٥ ص ٣٣٨.
(٦) محمد باقر المجلسي بحار الأنوار ج٢ باب ٣٤ ج٤٧ ص ٣٠٤.

وجل[1]، وعن أبان بن تغلب عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال أن السنة لا تقاس ألا ترى أن المرأة تقضي صومها ولا تقضي صلاتها يا أبان إن السنة إذا قيست محق الدين[2]، وعن عثمان بن عيسى قال سألت أبا الحسن موسى عليه السلام عن القياس فقال ما لكم والقياس أن الله لا يسأل كيف أحل وكيف حرم [3]، وروي عن سماعة أنه قال قلت لأبي الحسن عليه السلام عن عندنا من قدر أدرك أباك وجدك وأن الرجل منا يبتلي بالشيء لا يكون عندنا فيه شيء فيقيس فقال عليه السلام إنما هلك من كان قبلكم حين قاسوا [4]، وروي عن علي عليه السلام أنه قال من نصب نفسه للقياس لم يزل دهره في التباس ومن دان الله بالرأي لم يزل دهره في ارتماس[5]، وعن أبي جعفر الباقر(ع) أنه قال من أفتى الناس برأيه دان الله بما لا يعلم ومن دان الله بما لا يعلم فقد ضاد الله حيث أحل وحرم فيما لا يعلم[6]، وعن عيسى بن عبد الله القرشي قال دخل أبو حنيفة على أبي عبد الله الصادق عليه السلام فقال له يا أبا حنيفة بلغني أنك تقيس قال نعم فقال عليه السلام لا تقس فإن أول من قاس إبليس حين قال: ﴿خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ فقاس ما بين النار والطين ولو قاس نورية آدم بنورية النار عرف فضل ما بين النورين وصفاء أحدهما على الآخر[7]، عن عبد الرحمن بن سالم قال

---

(١) محمد بن يعقوب الكليني الأصول من الكافي ج١ باب البدع والرأي والمقاييس ج ١١ ص ٥٦.

(٢) محمد بن يعقوب الكليني الأصول من الكافي ج١ باب البدع والرأي والمقاييس ج١٥ ص ٥٧.

(٣) محمد بن يعقوب الكليني الأصول من الكافي ج١ باب البدع والرأي والمقاييس ج١٦ ص ٥٧.

(٤) أبو جعفر البرقي المحاسن ج١ ح ٨٦ ص ٣٣٥.

(٥) حمد بن يعقوب الكليني الأصول من الكافي ج١ باب البدع والرأي والمقائيس ج١٧ ص ٥٧ و٥٨.

(٦) محمد بن يعقوب الكليني الأصول من الكافي ج١ باب البدع والرأي والمقاييس ج١٧ ص ٥٨.

(٧) محمد بن يعقوب الكليني الأصول من الكافي ج ١ باب البدع والرأي ج ٢٠ ص ٥٨.

دخل ابن شبرمة وأبو حنيفة على الصادق عليه السلام فقال لأبي حنيفة اتق الله ولا تقس الدين برأيك فإن أول من قاس إبليس إذ أمره الله تعالى بالسجود فقال: ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ ثم قال عليه السلام هل تحسن أن تقيس رأسك من جسدك قال لا فقال فأخبرني عن الملوحة في العينين والمرارة في الأذنين والبرودة في المنخرين والعذوبة في الشفتين لأي شيء جعل ذلك قال لا أدري فقال عليه السلام إن الله تعالى خلق العينين فجعلهما شحميتين وجعل الملوحة فيهما منّاً على بني آدم ولولا ذلك لذابتا، وجعل المرارة في الأذنين منّاً على بني آدم لولا ذلك لقمحت الدواب فأكلت دماغه، وجعل الماء في المنخرين ليصعد النفس ويجد منه الريح الطيبة والرديئة، وجعل العذوبة في الشفتين ليجد ابن آدم لذة مطعمه ومشربه. ثم قال عليه السلام له أخبرني عن كلمة أولها شرك وآخرها إيمان قال لا أدري فقال عليه السلام لا إله إلا الله ثم قال عليه السلام أيما اعظم عند الله تعالى القتل أو الزنا فقال بل القتل قال عليه السلام فإن الله تعالى قد رضي في القتل بشاهدين ولم يرضى في الزنا إلا بأربعة ثم قال عليه السلام إن الشاهد على الزنا شهد على اثنين وفي القتل على واحد لأن القتل فعل واحد والزنا فعلان، ثم قال عليه السلام أيما أعظم عند الله الصوم أو الصلاة قال لا بل لا صلاة فقال عليه السلام فما بال المرأة إذا حاضت تقضي الصوم ولا تقضي الصلاة ثم قال عليه السلام لأنها تخرج إلى الصلاة فتداومها ولا تخرج إلى صوم ثم قال عليه السلام المرأة أضعف أم الرجل قال المرأة فقال عليه السلام فما بال المرأة وهي ضعيفة لها سهم واحد والرجل وهو قوي له سهمان ثم قال عليه السلام لأن الرجل يجبر على الانفاق على المرأة ولا تجر المرأة على الانفاق على الرجل ثم قال عليه السلام البول أقذر أم المني قال البول فقال عليه السلام يجب على قياسك أن يجب الغسل من البول دون المني وقد أوجب تعالى الغسل من المني دون البول ثم قال عليه السلام لأن المني اختيار ويخرج من جميع الجسد ويكون في الأيام والبول ضرورة ويكون في البول مرات قال أبو حنيفة كيف يخرج الجسد والله يقول: ﴿يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ﴾[1]

---

(١) سورة الطارق آية ٧.

فقال أبو عبد الله عليه السلام فهل قال لا يخرج من هذين الموضعين [1]، وجاء في دعائم الإسلام أن أبا عبد الله الصادق عليه السلام قال لأبي حنيفة وقد دخل عليه يا نعمان ما الذي تعمدت عليه فيما لم تجد فيه نصاً في كتاب الله ولا خبراً عن الرسول صلى الله عليه وآله قال: «أقيسه على ما وجدت من ذلك» فقال عليه السلام له أول من قاس إبليس فأخطأ إذ أمره الله عز وجل بالسجود لآدم عليه السلام فقال: ﴿أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ﴾ فرأى أن النار أشرف عنصراً من الطين فخلده ذلك في العذاب المهين يا نعمان أيهما أطهر المني أو البول قال المني قال عليه السلام فقد جعل الله عز وجل في البول الوضوء وفي المني الغسل ولو كان يحمل على القياس لكنا الغسل في البول، وأيهما أعظم عند الله الزنا أم قتل النفس قال قتل النفس قال عليه السلام فقد جعل الله عز وجل في قتل النفس شاهدين وفي الزنا أربعة ولو كان على القياس لكان الأربعة شهداء في القتل لأنه أعظم أيهما أعظم عند الله الصلاة أم الصوم قال الصلاة قال عليه السلام فقد أمر رسول الله صلى الله عليه وآله الحائط بأن تقضي الصوم ولا تقضي الصلاة ولو كان على القياس لكان الواجب أن تقضي الصلاة فاتق الله يا نعمان لا تقس فإنّا نقف غداً نحن وأنت ومن خالفنا بين يدي الله عز وجل فيسألنا عن قولنا ويسألهم عن قولهم فنقول قلنا قال عز وجل وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «وتقول أنت وأصحابك رأينا وقسنا فيفعل بنا وبكم ما يشاء» [2] وعن ابن الحجاج قال قال لي أبو عبد الله عليه السلام إياك وخصلتين فيهما هلك من هلك إياك أن تفتي برأيك أو تدين بما لا تعلم [3] وقد ورد في نهج البلاغة عن أمير المؤمنين(ع) أنه قال ترد على أحدهم القضية في حكم من الأحكام فيحكم فيها برأيه ثم يرد تلك القضية بعينها على غيره فيحكم فيها بخلاف قوله ثم تجتمع القضاة بذلك عند الإمام الذي استقضاهم فيصوب آرائهم جميعاً وإلههم واحد وكتابهم واحد أفأمرهم الله سبحانه بالاختلاف فأطعوه أم نهاهم عنه فعصوه أم أنزل الله ديناً ناقصاً

---

(١) محمد باقر المجلسي ج١٠ باب ١٣ ح ١٣ ص ٢١٢ و٢١٣.
(٢) محمد باقر المجلسي بحار الأنوار ج١٠ باب ١٣ ح٢٢ ص ٢٢١.
(٣) محمد باقر المجلسي بحار الأنوار ج٢ باب ١٦ ح٢٢ ص ١١٨.

فاستعان بهم على إتمامه ام كانوا شركاء له فلهم أن يقولوا وعليه أن يرض أم أنزل الله ديناً تاماً فقصر الرسول ﷺ عن تبليغه وأدائه والله سبحانه يقول: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَـٰبِ مِن شَىْءٍ﴾(١) وفيه: ﴿تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾(٢) وذكر أن الكتاب يصدق بعضه بعضاً وأنه لا اختلاف فيه فقال سبحانه: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا﴾(٣) وأن القرءان ظاهره أنيق وباطنه عميق لا تفنى عجائبه ولا تنقضي غرائبه ولا تكشف الظلمات إلا به(٤).

وروي عن البيزنطي أنه قال قلت للرضا عليه السلام جعلت فداك إن بعض أصحابنا يقولون نسمع الأمر يحكي عنك وعن آبائك عليهم السلام فنقيس عليه ونعمل به فقال عليه السلام سبحان الله لا والله ما هذا من دين جعفر هولاء قوم لا حاجة بهم إلينا قد خرجوا من طاعتنا وصاروا في موضعنا فأين الذي كان يقلدون جعفراً وأبا جعفر قال جعفر لا تحملوا على القياس فليس من شيء يعدله القياس إلا والقياس يكسره(٥) عن خالد بن طليق قال سمعت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام يقول ذمتي بما أقول رهينة وأنا به زعيم أنه لا يهيج على التقوى زرع قوم ولا يظمأ على التقوى سنخ أصل ألا أن الخير كل الخير فيمن عرف قدره وكفى بالمرء جهلًا أن لا يعرف قدره أن بعض خلق الله إلى الله رجل قمش علماً من أغمار غشوة وأوباش فتنة فهو في عمى الهدى الذي أُتي به من عند ربه وضال عن سنة نبيه ﷺ يظن أن الحق في صحفه كلا والذي نفس ابن أبي طالب بيده قد ضل وأضل من افترى سماه رعاع الناس عالماً ولم يكن في العلم يوماً سالماً فكر فاستكثر ما قل منه خير مما كثر حتى إذا ارتوى من غير حاصل واستكثر من غير طائل جلس للناس مفتياً ضامناً لتخليص ما اشتبه عليهم فإن نزلت به إحدى

---

(١) سورة الأنعام آية ٣٨.
(٢) مقتبس من آية ٨٩ من سورة النحل.
(٣) سورة النساء آية ٨٢.
(٤) نهج البلاغة خطبة ١٨.
(٥) محمد باقر المجلسي بحار الأنوار ج٢ باب ٣٤ ح ٢٨ ص ٢٩٩ و٣٠٠.

المهمات هيأ لها حشواً من رأيه ثم قطع على الشبهات خباط جهالات ركاب عشوات والناس من علمه في مثل غزل العنكبوت لا يعتذر مما لا يعلم فيسلم ولا يعض على العلم وضرس قاطع فينعم تصرخ منه المواريث وتبكي من قضائه الدماء وتستحل به الفروج الحرام غير مليء والله بإصدار ما ورد عليه ولا نادم على ما فرط منه أولئك الذين حلت عليهم النياحة وهم أحياء فقال الرجل يا أمير المؤمنين فمن نسألك بعدك وعلى ما نعتمد فقال عليه السلام استفتحوا كتاب الله فإنه إمام مشفق وهادٍ مرشد وواعظ ناصح ودليل يؤدي إلى الجنة الله عز وجل[1].

روى المعلى بن خنيس أن الإمام أبا عبد الله الصادق عليه السلام قال في قول الله عز وجل: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ﴾[2] يعني من اتخذ دينه رأيه بغير هدى إمام من أئمة الهدى[3].

روي عن علي بن الحسين عليه السلام أنه قال إن دين الله لا يصاب بالعقول الناقصة والآراء الباطلة والمقاييس الفاسدة ولا يصاب بالتسليم فمن سلم لما سلم ومن اهتدى بنا هدي ومن دان بالقياس والرأي هلك[4] وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: (لا تقيسوا الدين فإن أمر الله لا يقاس وسيأتي قوم يقيسون وهم أعداء الدين)[5].

روي عن زرارة أنه قال قال لي أبو جعفر عليه السلام يا زرارة إياك وأصحاب القياس في الدين تركوا علم ما وكلوا به وتكلفوا ما قد كفوه يتأولون الأخبار ويكذبون على الله عز وجل وكأني بالرجل منهم ينادي من بين يديه قد تاهوا وتحيروا في الأرض والدين[6].

---

(١) محمد باقر المجلسي بحار الأنوار ج٢ باب ٣٤ ح٢٩ ص ٣٠٠.
(٢) سورة القصص آية ٥٠.
(٣) محمد باقر المجلسي بحار الأنوار ج٢ باب ٣٤ ح ٣٦ ص ٣٠٢.
(٤) محمد باقر المجلسي بحار الأنوار ج٢ باب ٣٤ ح ٤١ ص ٣٠٣.
(٥) محمد باقر المجلسي بحار الأنوار ج٢ باب ٣٤ ح ٦٠ ص ٣٠٨.
(٦) محمد باقر المجلسي بحار الأنوار ج٢ باب ٣٤ ح ٧٠ ص ٣٠٩.

روي عن محمد بن حكيم أنه قال قلت لأبي عبد الله عليه السلام تفقهنا في الدين وروينا وربما ورد رجل قد ابتلى بشيء صغير ما عندنا فيه بعينه شيء وعندنا ما هو يشبه مثله أفنفتيه بما يشبهه فقال عليه السلام لا وما لكم والقياس في ذلك هلك من هلك بالقياس قال جعلت فداك أتى رسول الله صلى الله عليه وآله بما يكتفون به قال عليه السلام أتى رسول الله صلى الله عليه وآله بما استغنوا به في عهده وبما يكتفون به من بعده إلى يوم القيامة قال ضاع منه شيء فقال عليه السلام لا هو عند أهله (١).

وروي عن محمد بن حكيم أيضاً أنه قال قلت لأبي عبد الله عليه السلام إن قوماً من أصحابنا قد تفقهوا وأصابوا علماً ورووا أحاديث فيرد عليهم الشيء فيقولون برأيهم فقال عليه السلام لا وهل هلك من مضى إلا بهذا وأشباهه(٢) وورد عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال لعن الله أصحاب القياس فإنهم غيروا كلام الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله واتهموا الصادقين عليهم السلام في دين الله عز وجل (٣).

روي عن داود بن سرحان قال سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول إني لأحدث الرجل الحديث وأنهاه عن الجدال والمراء في دين الله وأنهاه عن القياس فيخرج من عندي فيأول حديثي على غير تأويله أني أمرت قوماً أن يتكلموا ونهيت قوماً فكل يأول لنفسه يريد المعصية لله ولرسوله فلو سمعوا وأطاعوا لأودعتم ما ودع أبي أصحابه أن أصحاب أبي كانوا زيناً أحياءً وأمواتاً (٤).

وجاء في المحاسن عن أبي عبد الله عليه السلام في رسالته إلى أصحاب الرأي والقياس أما بعد فإنه من دعى غيره إلى دينه بالارتياء والمقاييس لم يصب حظه لأن المدعو إلى ذلك لا يخلوا أيضاً من الارتياء والمقاييس وحتى ما لم يكن بالداعي قوة دعائه إلى المدعو لم يؤمن على الداعي أن يحتاج إلى المدعو بعد قليل لأنا قد رأينا المتعلم الطالب ربما كان فائقاً لمعلم ولو بعد حين ورأينا المعلم الداعي ربما

---

(١) محمد باقر المجلسي بحار الأنوار ج٢ باب ٣٤ ح ٤٩ ص ٣٠٥.
(٢) محمد باقر المجلسي بحار الأنوار ج٢ باب ٣٤ ح ١٥ ص ٣٠٥.
(٣) محمد باقر المجلسي بحار الأنوار ج٢ باب ٣٤ ح ٧١ ص ٣٠٩.
(٤) محمد باقر المجلسي بحار الأنوار ج٢ باب ٣٤ ح ٧٣ ص ٣٠٩.

احتاج في رأيه إلى رأي من يدعو وفي ذلك تحير الجاهلون وشك المرتابون وظن الظانون ولو كان ذلك عند الله جائز لم يبعث الله الرسل بما فيه الفصل ولم ينه عن الهزل ولم يعب الجهل ولكن الناس لما سفهوا الحق وعظموا النعمة واستغنوا بجهلهم وتدابيرهم عن علم الله واكتفوا بذلك دون رسله والقوام بأمره وقالوا لا شيء إلا ما أدركته عقولنا وعرفته ألبابنا فولاهم الله ما تولوا وأهملهم وخذلهم حتى صاروا عبدة أنفسهم من حيث لا يعلمون ولو كان الله رضي منهم اجتهادهم وارتياءهم فيما ادعوا من ذلك لم يبعث الله إليهم فاصلًا لما بينهم ولا زاجراً عن وصفهم وإنما استدللنا أن رضا الله غير ذلك ببعثه الرسل بالأمور القيمة الصحيحة والتحذير عن الأمور المشكلة المفسدة ثم جعلهم أبواب وصراطه والإدلاء عليه بأمور محجوبة عن الرأي والقياس فمن طلب ما عند الله بقياس ورأي لم يزدد من الله إلا بعداً ولم يبعث رسولًا قط وإن طال عمره قابلًا من الناس خلاف ما جاء به حتى يكون متبوعاً مرة وتابعاً أُخرى ولم ير أيضاً فيما جاء به استعمال رأياً ولا مقياساً حتى يكون ذلك واضحاً عنده كالوحي من الله وفي ذلك دليل لكل ذي لب وحجى أن أصحاب الرأي والقياس مخطئون مدحوضون وإنما الاختلاف فيما دون الرسل لا في الرسل فإياك أيها المستمع أن تجمع عليك خصلتين أحدهما القذف بما جاش به صدك واتباعك لنفسك إلى غير قصد ولا معرفة حد والأخرى استغناؤك عما فيه حاجتك وتكذيبك لمن إليه مردك وإياك وترك الحق سأمه وملالة وانتجاعك الباطل جهلًا وضلالة لأنا لم نجد تابعاً لهواه جائزاً عما ذكرنا قط رشيداً فأنظر في ذلك(١).

روي عن ميسرة بن شريح أنه قال شهدت أبا عبد الله عليه السلام في مسجد الحنيف وهو في حلقة فيها نحو من مائتي رجل وفيهم عبد الله بن شبرمة فقال يا أبا عبد الله إنّا نقضي بالعراق فنقضي ما نعلم من الكتاب والسنة ترد علينا المسألة فنجتهد فيها بالرأي قال فأنصت الناس جميع من حضر للجواب وأقبل أبو عبد الله عليه السلام على

---

(١) أبو جعفر البرقي المحاسن ج١ باب المقاييس والرأي ح٦٧٤ ص ٣٣١ و٣٣٢.

من على يمينه يحدثهم فلما رأى الناس ذلك أقبل بعضهم على بعض وتركوا الإنصات قال ثم تحدثوا ما شاء الله ثم إن ابن شبرمة قال يا أبا عبد الله إنّا قضاة العراق وإنّا نقضي بالكتاب والسنة وأنه ترد علينا أشياء ونجتهد فيها بالرأي قال فأنصت جميع الناس للجواب وأقبل أبو عبد الله عليه السلام على من يساره يحدثهم فلما رأى الناس ذلك أقبل بعضهم على بعض وتركوا الإنصات ثم إن ابن شبرمة مكس ما شاء الله ثم عاد لمثل قوله فأقبل أبو عبد الله عليه السلام فقال أي رجل كان علي بن أبي طالب فقد كان عندكم بالعراق ولكم به خبر فأطراه ابن شبرمة وقال فيه قولًا عظيماً فقال له أبو عبد الله عليه السلام فان علياً أبى أن يدخل في دين الله الرأي وأن يقول في شيء من دين الله بالرأي والمقاييس فقال أبو ساسان فلما كان الليل دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فقال لي يا أبا ساسان لم يدعني صاحبكم ابن شبرمة حتى أجبته ثم قال عليه السلام لو علم ابن شبرمة من أين هلك الناس ما دان بالمقاييس ولا عمل بها(١).

وروي عن أبان بن تغلب أنه قال قلت لأبي عبد الله عليه السلام رجل قطع إصبع امرأة

٢- أبو جعفر البرقي المحاسن ج١ باب المقاييس والرأي ح٦٧٥ ص ٣٣٢.

فقال عليه السلام فيها عشرة من الإبل قلت قطع اثنين فقال عليه السلام فيهن عشرون من الإبل قلت قطع ثلاث أصابع قال عليه السلام فيهن ثلاثون من الإبل ويقطع أربعاً وفيها عشرون من الإبل فقال عليه السلام نعم أن المرأة إذا بلغت الثلث من دية الرجل سلفت المرأة وارتفع الرجل أن السنة لا تقاس ألا ترى أنها تؤمر بقضاء صومها ولا تؤمر بقضاء صلاتها يا أبان حدثتني بالقياس وأن السنة إذا قيست فحق الدين(٢).



---

(١) أبو جعفر البرقي المحاسن ج١ باب المقاييس والرأي ح ٦٧٥ ص ٢٣٣.
(٢) أبو جعفر البرقي المحاسن ج١ باب المقاييس والرأي ح ٦٩٤ ص ٣٣٩.

دور الوهابية في ترسيخ الوجود الصهيوني في فلسطين

الوهابية وليدة مخطط نصراني إنجليزي محكم للقضاء على روح الإسلام وتعمية عيون المسلمين بالزخارف منه والمظهر لا غير وقد كانت للوهابية أدوار بارزة في خيانة الإسلام وتشويه صورته وسنركز في هذا المقال على القضية الفلسطينية وخدمة الوهابية لمصالح بريطانية ومن ورائها الصهيونية وسندعم ذلك بأفعال الوهابية وأقوالهم ونشرك القادة مع العلماء الترابط الوثيق بين القيادة والعلماء منذ ساعة نشأة هذه الحركة الخبيثة حيث لا انفصال بينهما في التوجه.

الوهابية عصا النصارى:

بعد ضرب حكم الشريف حسين وابنه علي بتحريض من الإنجليز لمعارضتهم منح فلسطين إلى اليهود أكدت الحركة الوهابية موقفها المنطبق مع الموقف الإنجليزي وذلك في المؤتمر الذي انعقد عام ١٩٢٦ للنظر في أسلوب حكم الحجاز فعندها طرحت بعض الوفود الإسلامية اقتراحاً يدعوا إلى تطهير البلاد العربية من الحكم الأجنبي على أساس أن يشمل ذلك فلسطين وسوريا والعراق وسواحل الجزيرة العربية احتج الوهابية على المشروع وأصروا على حذفه من جدول الأعمال.

مساهمة الوهابية في سقوط الدولة العثمانية وأثر ذلك على سقوط فلسطين:

دور الوهابية مخلص في هذا السبيل وكانوا لا يألون جهداً في عون النصارى على ذلك ويكفي أن نذكر هاهنا بمشاغلة الوهابية لآل الرشيد عن نجدة المسلمين في البصرة ساعة هجوم الإنجليز واعتراف بريطانيا رسمياً بهذا الجهد الوهابي مما سبب اختراقاً استعمارياً في بلاد الإسلام وهذا مطمح من مطامح الصهاينة في سقوط الخلافة الرافضة لتهوير يعني التسلل إليها بعد ذلك بسهولة واقرأ مذكرات حاييم وايزمان حين يقول (لن نستطيع اختراق العالم العربي للوصول إلى فلسطين ما دام طوق الخلافة العثمانية باقياً لذلك تعاونا مع بريطانيا لاختراق هذا الطوق.

لماذا ينادي الوهابية بعدم كروية الأرض ودورانها

الوهابية في الحقيقة يرون العلوم العصرية عامة علوم عمت بها البلوى منها علوم مفسدة للاعتقاد كالقول بدوران الأرض وغيره من العلوم الملاحدة هداية الحيران ص١١ وهذا هو بيت القصيد فالقول بدوران الأرض يفضي إلى التعطيل ص ١٣ فعقيدة التجسيم والعلو الحسي تنهدم إذا ثبت دوران الأرض لذا فهم يرون أن القول بدوران الأرض من اعتقاد تسلسل الإنسان من القرود بكثير ص ٣٢ نقول عسى أن يكون في فتاويهم هذه الفرصة لكثير من الناس مراجعة أنفسهم وعدم لأتباع خطرات هؤلاء في عقائدهم المنحرفة التي ليس لها قرار والحق أنه لأمر الموحدين لا لسبب وإنما لغبائها تتحكم في أقدس مسجدين بينما يتحكم اليهود في الثالث.

تخلف الوهابية التكنولوجي

حرمان الجنة لمقتني الدش وفيه برهان على تناقضهم عقائدياً أيها الإخوة بين أيدينا الآن فتوى لأحد أساطين الوهابية المتخصص في تكفير المسلمين يكفر فيها من اقتنى الدش ويجزم بحرمانه من الجنة هكذا وإليكم هل يحرم من الجنة من مات وقد خلف في بيته جهاز الاستقبال (الدش) نص كلام الشيخ (قال صلى الله عليه وعلى آله وسلم ما من عبد يسترعيه الله رعية يموت وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة وهذه الرعاية تشمل الرعاية الكبرى الواسعة والرعاية الصغرى وتشمل رعاية الرجل في أهله لقول النبي ﷺ : «الرجل راع في أهله ومسؤول عن رعيته» وعلى هذا فمن مات وقد خلف في بيته شيئاً من صحون الاستقبال (أي الدش) فإنه قد مات وهو غاش لرعيته وسوف يحرم من الجنة كما جاء في الحديث هكذا وبكل جرأة قرر المفتي وبفهم أعمى للنص حرمان أغلب المسلمين في هذا العصر من دخول الجنة بلفظة سوف يحرم من الجنة وكأن مفاتيحها بيده.

فأولاً: ماذا سيكون جوابه لمن اشتراها لمشاهدة البرامج الإسلامية ولمتابعة الصلاة في الحرمين الشريفين ويتحكم فيها.

ثانياً: هذه الأقمار الصناعية تعطي المسلم حرية أكبر للهرب من الضار والبحث عن النافع فينتقل المشاهد من القناة فضائية إلى أخرى بحثاً عن كل برنامج ملتزم وهرباً من أن يكون أسير برامج فيها ما يكره لأبنائه مشاهدته وفوق هذا فقد علمهم حسن استغلاله وتوظيفه.

ثالثاً: ماذا سيقول للمسلم في البلاد الغرب الذي يشتري الصحن الهوائي يصل أبنائه بلغة القرآن الكريم ومتابعة أخبار المسلمين سبحان الله كم هو سهل لدى هؤلاء القوم تكفير الخلق وتقرير حرمانهم من الجنة من غير دراسة للذي يفتون فيه تمعن فشبكة عربسات مثلًا ما الفرق بين ما يعرض فيها وبين ما يعرض في التلفزيون الذي يرضى عنه الشيخ ستعرفونه عما قريب والذي لم نسمع منه تكفير لمن يشاهده.

رابعاً: هذه مخالفة صريحة لعقيدة الشيخ لا يقر بتخليد من مات مصراً على كبيرة في النار فهم يكفرون الإباضية بسبب ذلك وهو هاهنا يقرر حرمان مرتكب الكبيرة على حسب ظنه من الجنة ليت شعري أن هذا التناقض أصحاب العقائد الباطلة فالحديث الذي أساؤوا تأويله له حجة واضحة عليهم كما جلي لكل بصير.

خامساً: أما من اشترك في الانترنيت فعقابه بناءً على فتوى الشيخ ليس بالأهون ففي الانترنيت الإباحية أبشع من الدش لمن أراد الفساد سادساً يلزم الشيخ بناء على فتواه أن يكون اقتناء الهاتف في البيت غير جائز ومقتنيه محروم من الجنة لأن الرعية قد تستخدم الجهاز في ما لا يرضي الله وقس على ذلك غيره من الأجهزة

سابعاً: فوق هذا فهؤلاء الوهابية يحاربون الهواء فأجهزة البث في تطور مستمر ولعل القنوات الفضائية ستصل إذا من غير دش والمخرج من هذا ليس إلا المسارعة إلى حسن استغلالها وتوظيفها في ما يرضي الله وينفعنا مع حسن تربية

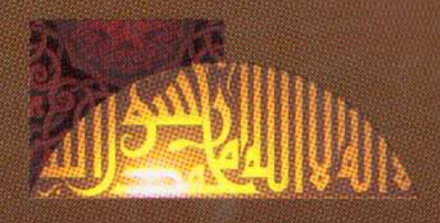
أبنائنا على التقوى التي تمنع المسلم الصائم من الأكل والشراب مع توفيره وإن لم يكن عليه رقيب من الخلق أما أن ننصح الناس بدفن رؤوسهم في الرمل وتكفيرهم إن لم يفعلوا ما نقرر نحن لهم فهذا جهل وأيم الحق بروح الإسلام وجوهره.

ثامناً: نعم أن المسلم سيكون غاشاً لرعيته إذا رباهم على الانحلال ووفر لهم وسائل الضلال وتركهم من غير توجيه فليت فضيلة الشيخ حض الناس على تقوى الله وغرسها في الناشئة فهي ملاك ذلك.

تاسعاً: ألم يكن الأولى بالشيخ لو لم تعمه العقيدة الوهابية أن تنفي بأن صحن الاستقبال الهوائي جهاز كغيره من الأجهزة طريقة استخدامه هي مناط الحل والحرمة فيه فيما يباح على الطبيعة فعرضه مباح فيه وما يحرم على الطبيعة فهو حرام وعلى المسلمين المسارعة إلى السيطرة عليه لتقديم النافع المفيد ونشر الدعوة الإسلامية عاشراً لقد أدت هذه الفتوى إلى الكثير من الإشكال حيث بدأ أحد أبواقهم في مكان مجاور لهم بعدم جواز تزويج من لديه دش ولقد بلغ الحال بكلابهم المسعورة التي يدعونها زوراً بهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر صاحبة الجرأة البلهاء والتدين الأعمى برشق الصحون الهوائية على بيوت الناس ببنادق الصيد فيا سبحان الله من أين استحل الوهابية الاعتداء على ممتلكات الناس نعم أنها الفتوى الجائرة تحل وتحرم من شئت من غير رادع ولا برهان ختاماً أن المفتي هو فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الرجل الثاني لدى الوهابية قال هذا في الخطبة الثانية يوم الجمعة ٢٥/ ٣/ ١٤١٧ هـ والفتوى بين أيدينا مطبوعة وقد علق علينا الشيخ بخط يده لا مانع من نشرها وقد وقعها بتاريخ ٢٨/ ٣/ ١٤١٧ للهجرة الشريفة.



فهرس المحتويات



العقدة السلفية

من المقدسات الإسلامية



دار الكاتب العربي للطباعة والنشر والتوزيع

هاتف : ۰۳/۲٥۷۹۸٤ ـ فاكس : ۰۱/٥٥۳٤٥٦ ـ ص.ب : ۲٥/۲٥٥ ـ غبيري ـ بيروت

E-Mail : daralkatebalarabi@hotmail.com

Designed by R. Sedik